نيسان (ابريل) ١٩٨٠ – جمادى الاولى ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د

سيكون التلفزيون أكثر متعة
لو أنتجت البرامج بنفسك

يكتسب تسجيل البرامج التلفزيونية (الفيديو) في منزلك ابعادا جديدة اكثر اثارة حين تضيف الى نظامك التلفزيوني آلة تصوير ملون (فيديو) وتبدأ انتاج البرامج بنفسك ؛ ولا سيما حين تكون هذه الآلة نقالة وسهلة الاستعمال ولها خصائص "آلات تصوير هوليوود" مثل عدسة ٦ اكس ذات القدرة الفائقة على تغيير بعد اللقطة وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.

بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج.س. – ٤١٠٠. فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت هـ.ر – ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تنغيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

اننا نعرف ذلك. فنحن JVC – شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٥٢ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة. زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

VHS

JVC جي في سي

نيسان (ابريل) ١٩٨٠ – جمادى الاولى ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

وقتها ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٥٥ف – الامارات العربية
المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م –
ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د –
الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

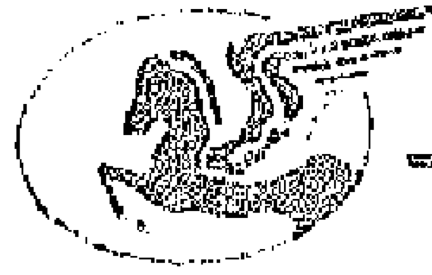
تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V
75008 PARIS, FRANCE



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين .
رئيس التحرير : ادمون صعب .
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب .
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم .
امانة التحرير : رينا نداف .
الاخراج : اروى سيف الدين .

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس .

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية .
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح .

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
TAMAM شركة تمام
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس .

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا .

الخط: محمد ماجد .

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا .
مدير التحرير: آلان دوليرو .

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية .

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

نسيج لحيوان خرافي (متحف المتروبوليتان للفن - نيويورك) .

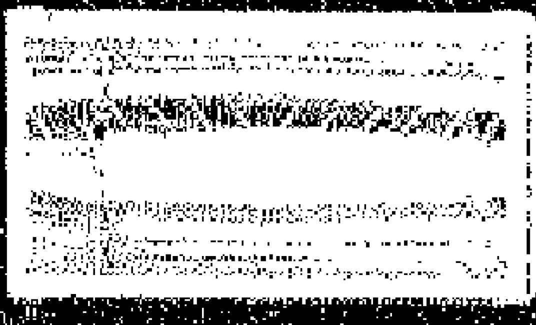
AL MUKHTAR min Reader's Digest
April 1980 N° 17 *(New Series)*. VOL.2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

كولورباريست للتصوير الفوري

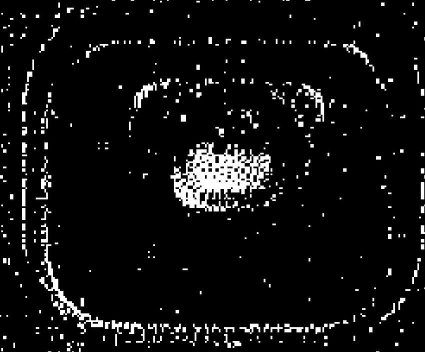
بجهاز مبين للضوء الخافت!

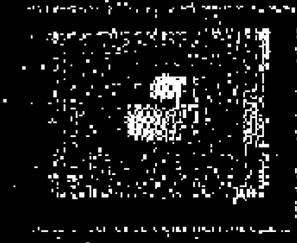


ELECTRONIC FLASH

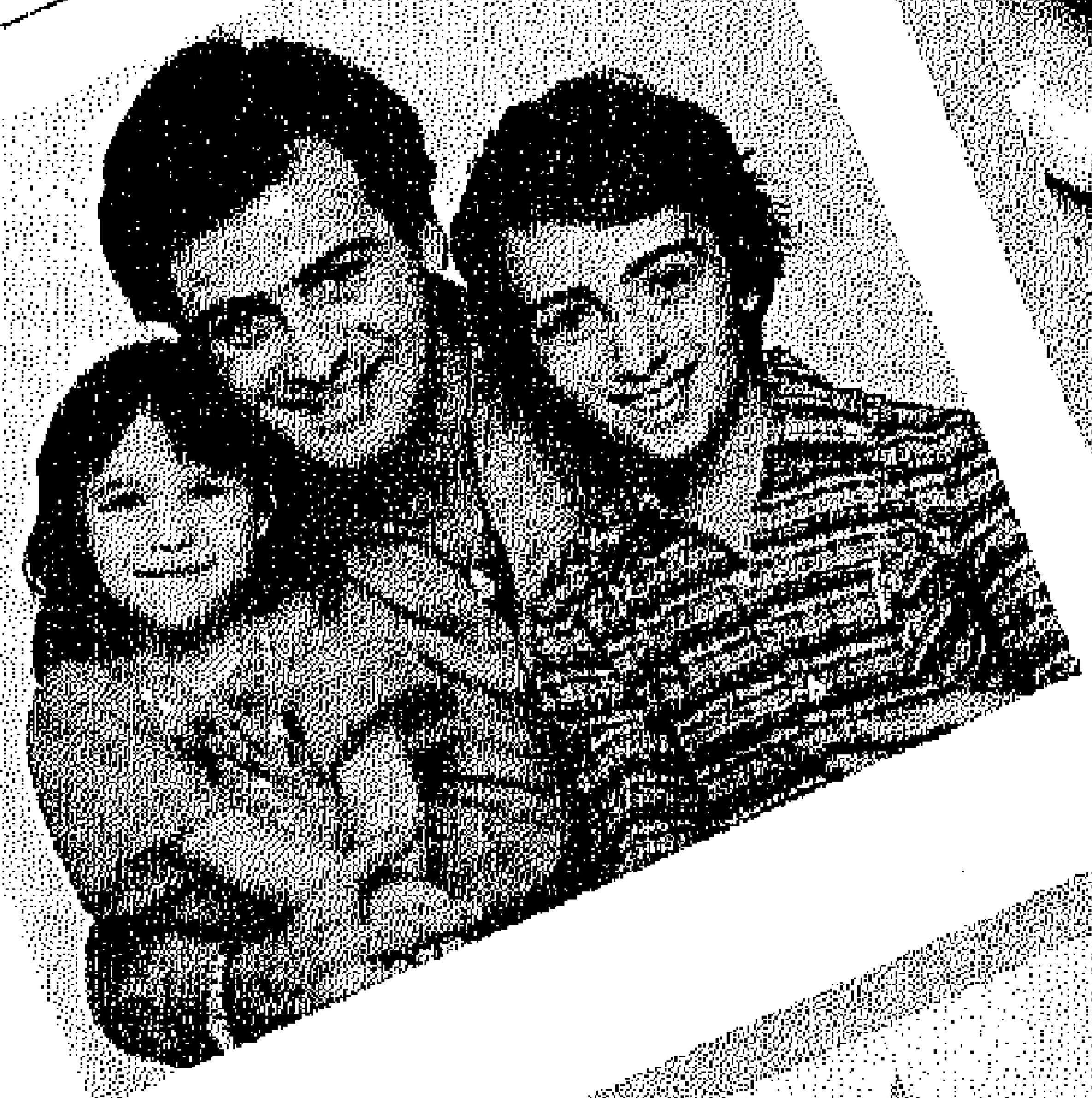
LIGHTEN

DARKEN





COLORBURST
A KODAK INSTANT CAMERA MADE IN USA



COLORBURST

كولورباريست
للتصوير الفوري
ألوان ساطعة من كوداك



أكتُب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي٠

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق٠ ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة٠

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين٠

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب٠

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين٠

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية٠ وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين٠

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل٠

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة٠

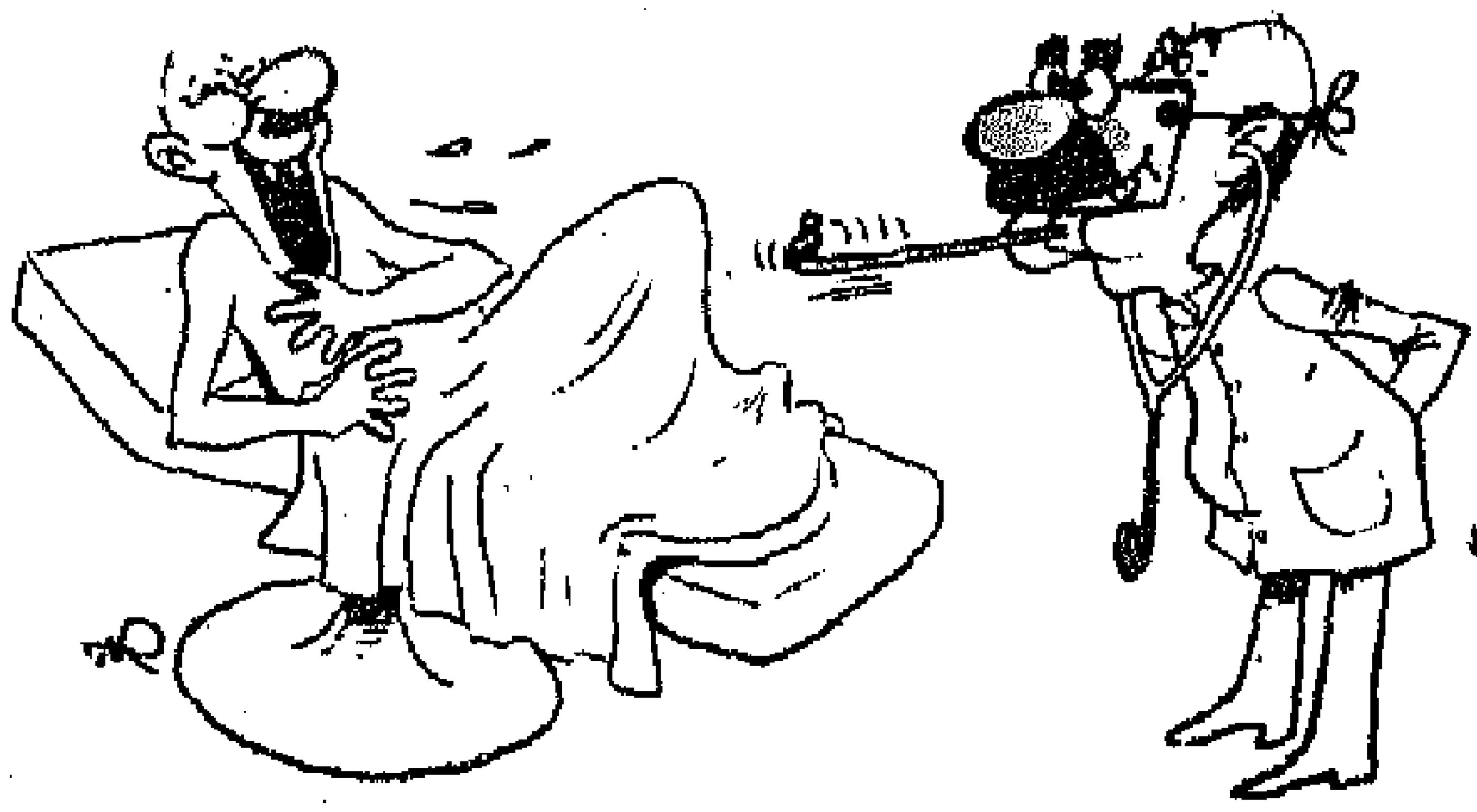
الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة٠
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...)٠
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد٠
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة٠ ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن٠
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية٠
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر٠

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

الضحك خير دواء



لفقير والشاوي

قف فقير بباب شوّاء يشوي اللحم رائحته تفوح منه. وكان الفقير جائعاً، فاشترى رغيفاً، وجلس بالقرب من دكان لشواء واكل الرغيف على رائحة لشواء، فرآه الشواء فخرج اليه وطلب منه ثمن رائحة الشواء، فلم يدفع له الفقير شيئاً، فامسك بخناقه وساقه الى القاضي(جحا) وقال له:"يا سيدي القاضي، ان هذا الرجل اكل رغيفاً على رائحة الشواء، وقد طلبت منه ان يدفع لي ثمن رائحة الشواء فلم يرضَ بدفع شيء". ففكر القاضي قليلا ثم قال:"كم قرشاً تطلب ثمناً لرائحة شوائك؟" فقال الشوّاء:"اطلب خمسة قروش".

فاخرج القاضي قطعة فضية من ذات الخمسة قروش، ورنها على رخامة امامه وقال للشوّاء:"هل سمعت رنين النقود؟" فقال الشوّاء:"نعم يا سيدي القاضي". فقال جحا:"خذ الرنين فهو ثمن رائحة الشواء".

عاصم هاشم، عن كتاب "جحا العربي"

نغمة مألوفة

في احدى الامسيات، ادرت قرص التلفون الى الرقم الذي كنت اظنه رقم مسرحنا المحلي. ويبدو ان الرجل كان قد عانى طويلاً، وربما تلقى مكالمات كثيرة مماثلة، وانتهى الى قرار حسم الامور وفقاً للمثل العامي:"الذي لا يجيء معك، اذهب معه".

وسألته:"ما هو برنامجكم الليلة، من فضلكم؟"

فاجاب:"كان في نيتي ان آخذ حماماً ثم آوي الى فراشي، فبماذا عساك تفكرين انت يا عزيزتي؟"

ب. س.

تجارة حرة

المريض: لقد بت اشعر بأن كل شخص يستغلني.

الطبيب النفسي: لا تقلق لذلك.

المريض: حقاً؟ شكراً دكتور. ما المبلغ الذي يجب ان ادفعه لك في مقابل معالجتي؟

الطبيب النفسي: ما هو المبلغ الذي معك؟

ت. م.

الحمية بالابر والدبابيس

كانت الفتاة على موعد مع بالع السيوف في السيرك. ولما كانت لم تر ذلك العرض من قبل، فقد طلبت ان يعرض فنه امامها. فابتلع عدداً من الدبابيس والابر.

فقالت الفتاة متهكمة:"لكن هذه ليست سيوفاً، وانما هي مجرد دبابيس وابر". فرد بالع السيوف:"اعرف ذلك. لكنني اتبع نظاماً غذائياً لتخفيف وزني هذه الايام".

ا. ب.

"ليت جميع المطارات لها ما لمطار فرانكفورت"

هذا تقرير حقيقي ومعتمد لأحد الركاب

Frankfurt Main



Lufthansa

الخطوط الجوية الألمانية



مملكة النحل

إن داخل كل قفير عالماً متكاملا يشهد نظامه على عظمة الحياة

غمرتني بهجة عظيمة حين عثرت على اربعة قفران نحل تـوارت تحت الحشائش عند طرف حديقتي. انها قفران ابني وقد نسيت أمرها بعد ان تزوج وغادر المنزل. وأخذت اقطع الاعشاب المتشابكـة، لكنـي وثبت جانباً عندما انطلقت من احد القفران آلاف الاجسام الدقيقة المندفعة بغضب وطنين.

ولما كنت من المتحمسين للاكتفاء الذاتي فقد راقتني فكرة انتاج عسل منزلي. وقررت ان اشارك النحل، فأرعى خلاياه وازوده بمؤونته من السكر خلال الشتاء في مقابل عسل الخريف. وفي سقيفة الحديقة اهتديت الى القبعة الخاصة ذات الحافة العريضة التي كان ابني يرتديها، والى خمار طويل وقفازين جلديين ومئزر أبيض (فالنحل لا يحب الالوان القاتمة). وحصلت على ثلاثة اسراب نحل اخرى لبقية القفران. وها انذا الآن ــ وان لم اكن خبيراً بعد ــ أوفر السعادة لنحلي كي يعطيني حاجتي من العسل.

وقفراني من النوع الخشبي المستطيل البسيط، ولها سقف مسطح يفتح

كغطاء علبة. لكن النحل لا يعبأ بهذا كله، بل اني سمعت أن أحد مربي النحل يستخدم صناديق شاي مقلوبة، ويجني من العسل مقدار ما تقدمه القفران المجهزة الغالية. والنحل يلصق اقراص العسل بسقف بيته غريزياً. لكن جني العسل يكون ايسر اذا وضع المربي اطارات خشبية متحركة تساعد على صنع الاقراص. وفي كل من قفراني احد عشر اطاراً معلقة جنباً الى جنب.

وكنت في البداية اقضي ساعات قلقة الى جانب القفران، أراقب ما يفعلهالنحل واتساءل عما اذا كان يؤدي عمله على خير وجه. ثم ادركت ان النحل ليس في حاجة الى عوني، فتركته وشأنه. وفي الجوار مرعى طيب للرحيق فيه ممرات وأسيجة نما عليها الزهر البري، وقد ازدان بشجر الزيزفون والاجاص (الكمثرى) والكستناء. فكانت المساعدة التي قدمتها الى نحلي زراعة زهره المفضل، وخصوصاً زهر الاضاليا والخزامى والبدلية، كذلك اعشاب الحبق والصعتر التي تعطي العسل نكهة طيبة.

وربما بلغ محصول العسل ٥٠ كيلوغراماً لكل قفير. وأفضل وسيلة لجني هذه الكمية الوافرة هي ان توضع القفران في اماكن غنية بالرحيق، بحيث لا يتوجب على النحل ان يطير بعيداً للحصول عليه. لكنك لا تستطيع ان تتكهن بما يفعله النحل. فقد نقل احد اصدقائي كل قفرانه الى بستان تفاح وأطلق النحل هناك، فتجاهل النحل كل الزهر المتفتح وانطلق بعدها نحو الاعشاب البرية.

وحين تعلمت المزيد عن النحل، من الكتب ومن الدروس المسائية التي تنظمها هيئة التعليم المحلية ومن مربي النحل ذوي الخبرة، بدأت افهم ذلك الاحترام شبه الصوفي الذي احس به الانسان تجاه هذه الحشرات الصغيرة طوال قرون. لقد اعتبر النحل من آلهة العالم القديم، وكان العسل تقدمة ونذراً. وربما كان هناك صدى لذلك في ما لدينا من معتقدات خرافية بأنه ينبغي اعلام النحل بأنباء الوفيات والمواليد في العائلة. وثمة مربي نحل عجوز اعتاد ان يذهب الى قفرانه حاملا الرسالة التي استلمها من ابنه في اوستراليا، فيقرأ امام النحل في وقار نبأ مولد أصغر احفاده.

لغة النحل ـ لقد ربطت الفضيلة دائماً بالنحل، وربما كان ذلك بسبب نقاء عسله وشمعه. ويقال ان النحل ينفر من مدمني المسكرات ومن القذرين وانه يلدغهم عمداً. وفي ذلك مقدار من الحقيقة. فالنحل يشعر بالضيق من رائحة الكحول والعرق، كما يكره الشعر المتطاير والحركات السريعة ويمقت الخيول.

ولا شك في ان مشهد سرب يضم نحو ٤٠ الف نحلة، وقد التصق موقتاً باحدى الاشجار او بعمود كهرباء في كتلة طنانة نابضة بعدما ترك قفيره المزدحم، مشهد يثير الرعب. لكنه ليس خطراً. فقبل ان يغادر النحل قفيره يملأ اكياس عسله بالمؤن لداره الجديدة. وبهذا الحمل الثقيل يكون صعباً عليه ان ينحني. ولا بد للنحلة من احناء جسدها اذا ارادت ان تلدغ. لكن اللدغات ليست خطرة ما لم تكن

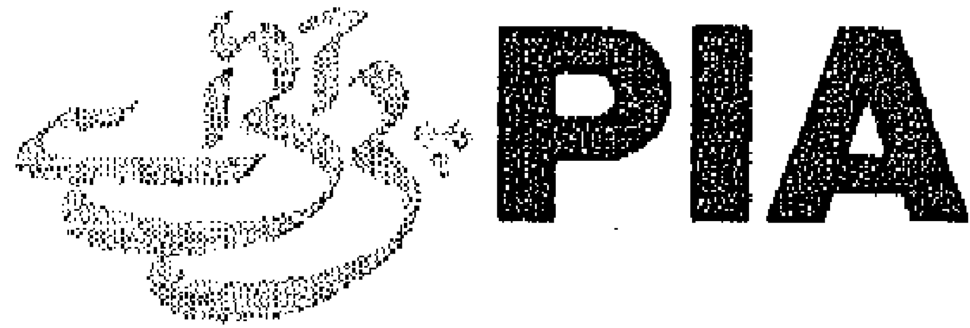
لخطوط الجوية الباكستانية تشعر وكأنك تقصد منزلك.
ليس هناك افضل من ذلك.

نحن نطير بك اكثر من ١٥٠ رحلة أسبوعيا من والى الشرق الأوسط . إن طائراتنا النفاثة الفسيحة تنقلك الى مايزيد عن ستين وجهة حول العالم .

نحن نشعرك بانك فى بيتك تماما منذ لحظة صعودك على متن طائراتنا حتى لحظة وصولك إلى وجهتك . ابتسامات تدغدغ وتنعش فؤادك . خدمه ممتازه تدوم فى الذاكرة إلى امد بعيد .

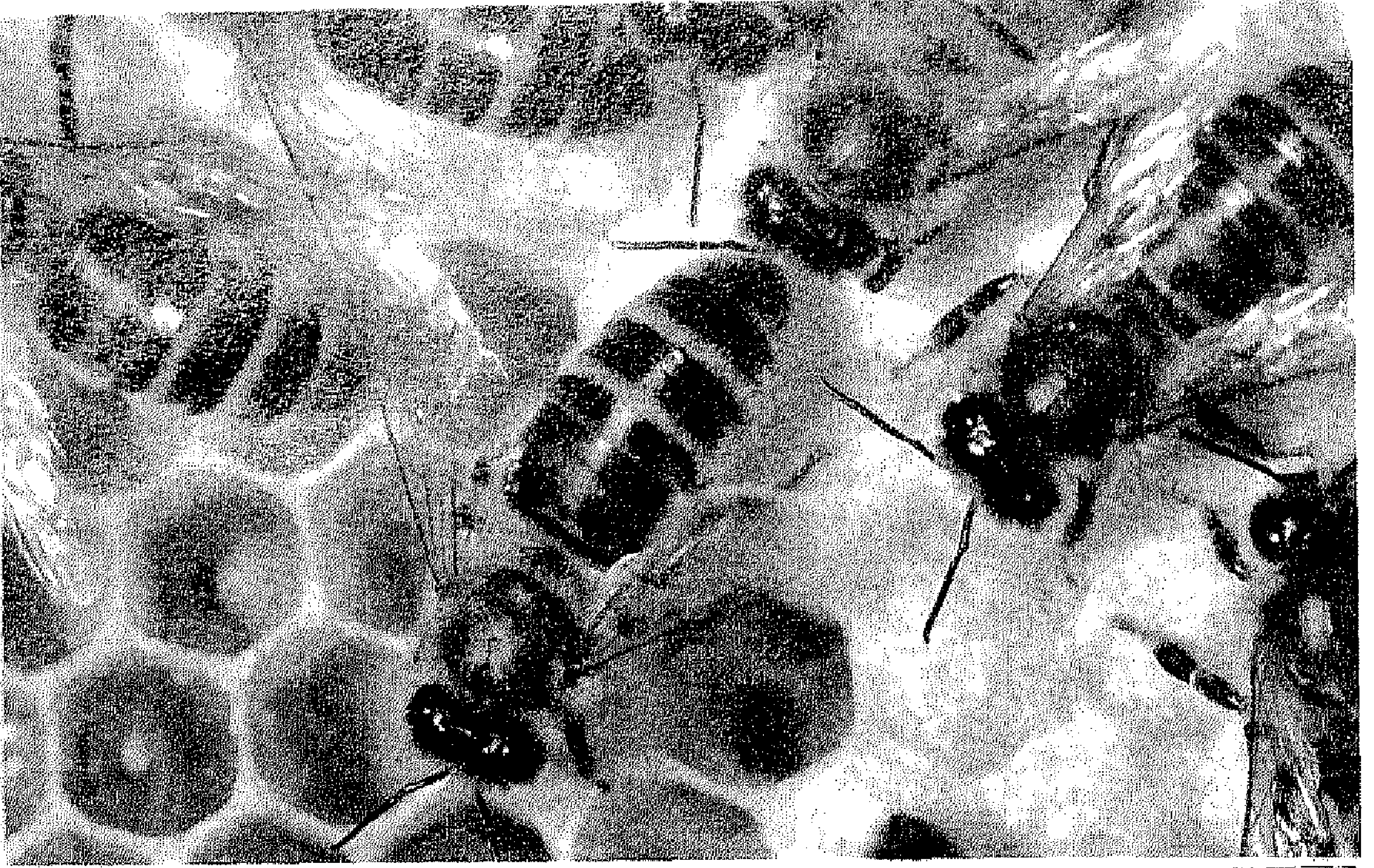
ان طيارى المليون ميل فى طيارى الخطوط الجوية الباكستانية يعدون فى بين افضل الطيارين خبرة فى العالم . ولهذا فان احدى عشر من الخطوط الجوية يرسلوا لنا طياريهم للتدريب . واثنان وعشرون من الخطوط الجوية يرسلوا لنا مهندسيهم وطاقم صيانتهم . وعشر خطوط جوية يرسلوا لنا طائراتهم لفحص وإصلاحها طبقا لأحدث الأساليب .

فى طيرانك للمرة القادمة الى امريكا ، اوروبا ، الشرق الأوسط ، افريقيا وأسيا ، اركب مع النجاح على متن الخطوط الجوية الباكستانية تشعر وكانك تقصد منزلك .



خيرة القوم لتطير معهم .

زيد من المعلومات والحجوزات يرجى الاتصال بوكيل مبيعاتنا
عام او مكتب الخطوط الجوية الباكستانية
وظبى ، البحرين ،دبى ،الدوحة ،الكويت ،مسقط ،الشارقة ، جدة ، عمان ، بغداد ، دمشق



بضع نحلات على القفير · اما الخلايا المختومة فتضم نحلات لم يكتمل نموها بعد ·

لديك حساسية تجاهها · والحق ان بعض الاشخاص يقصدون المناحل كي يتعرضوا للدغات، ظناً منهم أن سمها يشفي من داء المفاصل (الروماتيزم) ·

ولكن هل يعمل النحل بالغريزة وحدها ام ان لديه نوعاً من الذكاء؟ إذا نظرنا الى "لغة" النحل التي اكتشفها عالم الطبيعة الاوسترالي كارل فون فريش، وجدنا ان النحلة العاملة، حين تريد ان تهدي شقيقاتها الى مصدر جديد للرحيق، تندفع في خط مستقيم كي تريهن الاتجاه الدقيق لمصدر الرحيق بالنسبة الى موقع الشمس، وفي الوقت نفسه تهز الجزء الخلفي من جسدها مشيرة الى بعد المسافة التي يتوجب عليهن اجتيازها · وبمقدار ما تكون الهزات بطيئة تكون المسافة بعيدة · لكن النحل يواجه، كالبشر، مشاكل لغوية · فحين ادخلت نحلات اوكرانية (من احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي) على مجموعة من النحل الايطالي، كانت تسيء فهم اتجاهات المراعي وتدور عبثاً بعيداً عن المكان الصحيح ·

ويبدو النشاط المحموم داخل القفير ضرباً من الفوضى في نظر المبتدىء · غير اني تبينت مع الوقت ادوار سكانه المختلفة · وهناك نحلة معينة يسهل على الناظر اكتشافها · تلك هي الملكة، وان لم تكن حاكمة او قائدة بأي معنى من المعاني، وإنما مجرد منتجة للبيض · وهي اكبر حجماً من حاشيتها العاملات اللواتي يحطن بها عادة، لكن دماغها اصغر حجماً وليست لديها اعضاء خاصة لحضن الصغار او للبحث عن الطعام · ولو لم تتعهد العاملات نسلها لهلك ·

وتضع الملكة بيضاً صغيراً يكاد لا

يرى بالعين المجردة بمعدل يصل الى ٢٠٠٠ بيضة في اليوم، وذلك في خلايا سداسية الشكل من الشمع • وبعد ثلاثة ايام يفقس البيض وتخرج منه يرقات (كائنات صغيرة تشبه الدود) تهتم العاملات بإطعامها، ويكون غذاؤها معجوناً ابيض كالحليب تفرزه من غدد في رأسها • وذلك هو الطعام الملكي الذي يدفع البعض نحو ١٠٠ دولار ثمناً لما يقل عن ٣٠ غراماً منه، مؤمنين - وان لم يؤكد العلم ذلك حتى الان - بأنه يشفي الصلع ويعيد القدرة الجنسية ويزيد متوسط العمر ويضفي على النساء شباباً وجمالا • ومهما يكن فعل الغذاء الملكي هذا في البشر، فهو ولا شك مفيد ليرقات النحل، ومعظمها يتغذى به ثلاثة ايام ثم ينتقل الى غذاء من العسل وحبيبات اللقاح يشكل "خبز النحل"، ليصبح بعد ٢١ يوماً من العاملات •

وهناك يرقات تخرج من بيض مماثل وضع في خلايا اكبر حجماً على شكل الكشتبان • وهي تتغذى بالطعام الملكي • ومع الوقت يتغير شكل هذه الكائنات ويكتمل نموها • وبعد ١٦ يوماً تزحف اولى الحشرات مترنحة الى الخارج ••• لقد ولدت ملكة •

واول ما تفعله الملكة هو ان تغرز معقصها في الخلايا التي تضم بيض الملكات الاخريات لتقتل منافساتها المحتملات • وخلال هذه الفترة تكون الملكة الحاكمة غادرت القفير على رأس سرب • لكن العاملات يتجاهلن الملكة الجديدة، الى ان يأتي يوم مشمس فيدفعنها الى خارج القفير لتقوم بأولى رحلاتها الزواجية المتعددة • ويشم ذكور النحل رائحة الملكة عن بعد كيلومترات • وقد تزاوج الملكة خلال الرحلة نحو خمسة عشر ذكراً يلقون حتفهم في العملية • وبعد بضعة ايام تبدأ وضع البيض •

جنى العمر - اما النحلة العاملة فهي تستحق اسمها عن جدارة • فما ان تستطيع السير حتى تأخذ في تنظيف الخلايا التي خرجت منها اخواتها الصغيرات وتصقلها بمادة شمعية، جمعتها العاملات الاكبر سناً من براعم الشجر وورقه، كي تكون جاهزة لاستقبال الدفعة الجديدة من البيض • وفي اليوم الرابع من عمرها تبدأ العاملة اداء واجبها في تلقي الرحيق وحبوب اللقاح من النحل الذي يجمعها، وتخزنها في خلايا خاصة • وفي اليوم الرابع عشر من عمرها تتجمع وشقيقاتها ليشكلن ما يشبه مصنعاً صغيراً، فيلتهمن العسل ويحولنه شمعاً، ثم يبدأن بناء الخلايا السداسية • ومن كل خمس كيلوغرامات من العسل تنتج العاملات نحو نصف كيلوغرام من الشمع • والى جانب ذلك تشكل العاملة جزءاً من جهاز تكييف الهواء في القفير، اذ تقف عند مدخل الخلية وتصفق بجناحيها كي تدخل الهواء البارد •

وبعد فترة من اداء العاملة واجب الحراسة عند المدخل - تكون خلالها على استعداد للموت وهي تقاتل اي غاز سواء أكان زنبوراً (دبوراً) او حتى مربي النحل ذاته - تنطلق الى العالم الواسع بحثاً عن الطعام • وهي تطير خافقة جناحيها نحو ٢٠٠ مرة في الثانية بسرعة تبلغ حوالى ٢٥ كيلومتراً في الساعة وعلى ارتفاع يصل الى ستة امتار، وهي مزودة بكمية من الرحيق تكفيها مدة ١٥

دقيقة. ولو انها خاطرت بالابتعاد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن الخلية ولم تجد رحيقاً فربما نفد وقودها وهلكت في رحلة العودة.

وتبعاً لحاجات القفير تمضي العاملة الى جمع المادة الشمعية من البراعم، او تعود بالماء في اكياس العسل لتخفيف حدة حبوب اللقاح والعسل التي تتغذى بها اليرقات، او تجمع حبوب اللقاح فتحمل منها ما يعادل خمس وزنها في جيبين خاصين فوق قائمتيها الخلفيتين، محاطين بشعيرات كثيفة. وتندفع العاملة من زهرة الى اخرى، منفذة عملية التلقيح التي لولاها لما حملت معظم نبتات العالم ثماراً.

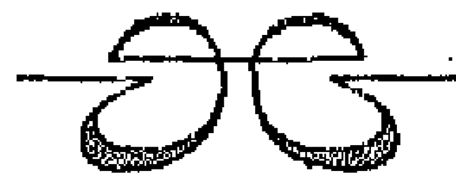
وبعد بضعة ايام تبدأ العاملة آخر وظائفها: جمع الرحيق. فترتشف ذلك السائل المائي الحلو بلسانها الانبوبي وتصفيه وتخزنه في بطنها، ثم تصبه في افواه نحلات الخلية اللواتي يتناقلنه، فتضيف كل منهن اليه مقداراً من انزيمات الهضم (الخمائر) لتحويل سكر الرحيق الى مادتي الغلوكوز والفركتوز. وتكون النتيجة عسلا يخزن في خلايا تغلق على نحو صحي بسدادات من الشمع.

والعاملات اللواتي يولدن في الخريف، حين يكون جمع الرحيق خفيفاً، يعشن الشتاء بكامله. اما النحلة التي تولد في الربيع او الصيف فهي تموت في اسبوعها الخامس او السادس بعد ان يبلى جناحاها ويهدها التعب. وربما تكون خلال حياتها القصيرة هذه قطعت مسافة ٣٠٠ كيلومتر، وحملت ما يفوق وزنها ١٨٠٠ مرة من الماء والرحيق وحبوب اللقاح، وزارت مليون زهرة. وجدير بالذكر ان مربي نحل عجوزاً اعتاد ان يقول، وهو يضرب بملعقته عميقاً في وعاء العسل: "هذا جنى عمر نحلة واحدة". وهو كان مخطئاً تماماً، فان انتاج ما يكفي من العسل لشريحة واحدة من الخبز المحمص يتطلب مئات من النحل العامل بدأب طوال حياته.

ولقد حصلت في العام ١٩٧٨ على اكثر من ٤٠ كيلوغراماً من العسل من كل قفير، ووضعت مكانه نصف تلك الكمية من السكر المذاب في الماء الدافىء كي يحوله النحل الى عسل رخيص يستعمله في غذائه ايام الشتاء.

وتسألونني ماذا اصنع بالعسل الذي أجنيه. إني ابيع نصفه وآكل منه وأهدي، أو اقايض به جيراني في مقابل اي شيء احتاج اليه، وخصوصا سماد الحظائر. فعلى هذا السماد ينمو الزهر الذي يوفر لنحلي رحيقاً يحوله عسلا. وهذا هو الاكتفاء الذاتي الذي به استمتع.

■ آرشي لونغ



كان الحلزون يقضي اجازته حين صادف مجموعة من اليرقان، فتأوه معتذرا: "يبدو اني دخلت مخيما للعراة".

جريدة "فرانس سوار"، باريس



المسلمون في اوروبا

إن تدفق ملايين المسلمين على اوروبا هدأ الصراع القديم، بدلا من أن يقويه، بين الهلال والصليب. وبدأ الاوروبيون يدركون أن الاسلام ليس ديناً فحسب، بل هو طريقة حياة مستمرة

بالقرب من حديقة ريجنت العامة في لندن جامع جديد، تومض قبته النحاسية فوق رؤوس الشجر. وفوق شارع مزدحم في مدينة آلميلو الهولندية تشرئب مئذنة في وجه السماء. وفي ميونيخ ومانشستر وكوبنهاغن وكوفنتري جوامع تعلن للقارة الاوروبية عودة الاسلام. حتى روما، مدينة الآثار الوثنية والكنائس المسيحية، سيقوم فيها جامع قريباً.

وفضلا عن دلالتها على استمرار الحضور الاسلامي في اوروبا، تعكس هذه الجوامع روح التقارب بين المسيحية والاسلام، هذين الدينين اللذين تحارب أتباعهما يوماً ما بضراوة برهاناً على تمسك كل فريق بإيمانه. كما تشهد هذه الجوامع على أن بعض السلطات الاوروبية اعترفت أخيراً بحاجات مسلميها من مواطنين وعابرين.

ليس الاسلام بالوافد الجديد على اوروبا. فالبرتغال وصقلية اليوم كان يطغى عليهما العنصر الاسلامي. وفي اوروبا الشرقية مجموعات إسلامية كبيرة مستمرة منذ تسعة قرون، وبعضها يتحدر من الفاتحين المغول

جامع في شفيتزينغن في المانيا الغربية، بناه الامير كارل ثيودور قبل مئتي سنة.

Condensed from Aramco World Magazine, January February 1979, published by Aramco: a Corporation: New York, N.Y



الذين وصلوا الى بولونيا وليتوانيا. وهناك سلالات اسلامية لاتزال مستمرة في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وهولندا، وبالطبع في اسبانيا حيث أضاف الحكم الاسلامي فصولا مجيدة الى تاريخ الاسلام وتاريخ اوروبا على السواء.

كان دخول المسلمين اوروبا عام ٧١١ للميلاد. وهناك أنشأوا مدنية مزدهرة في القسم الأكبر من شبه الجزيرة الايبيرية دامت نحو ثمانية قرون. وفي العام ٨٣١ للميلاد استولت قوات الفتح الاسلامي على جزيرة صقلية وحكمتها طوال ٢٦٠ سنة. وأخيراً جاء العثمانيون الذين حكموا بلاد البلقان قرابة ستة قرون (من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر). وفي القرن السابع عشر، الذي شهد ذروة قوتهم، امتد سلطانهم غرباً حتى أبواب فيينا.

وكانت النتيجة، كما يقول سالم عزام، الأمين العام للمجلس الاسلامي الاوروبي، "أن الغرب عرف الاسلام عموماً كعدو وخطر داهم". وكنتيجة اخرى، يقول خورشيد أحمد، المدير العام السابق للمؤسسة الاسلامية، وهي مؤسسة تربوية في مدينة لستر (انكلترا)، "كان الاسلام هو الدين الذي يعاني أكبر سوء فهم في اوروبا اليوم".

وللاسلام أتباع كثيرون في أوروبا، يبلغ عددهم اليوم ستة ملايين في بلدان السوق الاوروبية المشتركة. وقد ساهم هؤلاء، وهم من العرب والأسيويين والافريقيين والاتراك، في ازدهار اوروبا من خلال عملهم وفي ازدهار أوطانهم من خلال المدخرات التي أرسلوها الى عائلاتهم هناك.

ولكن كان لا بد من نشوء مشكلات عن هذا التدفق الجماعي للقوة العاملة. فالمهاجرون المسلمون، بما حملوه من تقاليد وثقافة ودين تختلف - كما هي حال المهاجرين جميعاً - عما هو سائد في البلدان المضيفة، واجهوا سوء فهم وعداوة، كما واجهوا قيوداً ثقافية ودينية فرضتها عليهم تقاليدهم.

وإذا كان المسلمون في اوروبا يتفقون في الايمان والعقيدة، إلا انهم يختلفون من حيث العدد والخلفية والطابع العام. وبما ان لكل من هذه الجماعات أصلها وتاريخها الخاص، فان طرائق حياتها في اوروبا متباينة.

فرنسا: اكبر جماعة

ان اكبر جالية إسلامية في اوروبا تعيش في فرنسا. ويبلغ عدد أفرادها مليونين، وهي تشكل سدس عدد العمال الاجانب في بلدان السوق الاوروبية. وبما ان عدداً كبيراً من العمال المسلمين في فرنسا اتوا من بلدان كانت خاضعة للحكم الفرنسي سابقاً، فهم دخلوا فرنسا حاملين رصيداً حاسماً هو أنهم يتكلمون الفرنسية. وكانوا، الى ذلك، مطلعين على طرق الحياة الفرنسية، مما أتاح لهم سرعة التكيف مع المجتمع الجديد. وهكذا ارتقوا سلم الاقتصاد بخطى سريعة. وفي فرنسا اليوم عديد من المسلمين الذين احتلوا مراتب عالية في عالم الاعمال والتجارة وحتى الفن. ويقول أحد المراقبين إنهم تركوا طابعاً لا يمحى في المجتمع الفرنسي الحديث.

لكن روابط الماضي لها سيئاتها

أيضاً. فالمسلمون الآتون من مستعمرات فرنسية سابقة، وخصوصاً الجزائر، واجهوا في فرنسا شيئاً من الصد والمعارضة. وحين اضطرب الوضع الاقتصادي، ظهرت آثار التضخم المالي والبطالة اولا على العمال المهاجرين. حتى إذا أتى التضخم على القسم الاكبر من اجورهم، وجد هؤلاء العمال أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بالادخار ولا بالعودة الى أوطانهم. والاسوأ من هذا أنهم وجدوا أنفسهم يتنافسون مع العمال الفرنسيين على اعمال كان يأنفها هؤلاء يوم اعطيت للمهاجرين.

ومن أجل حل هذه المشاكل، أغلقت الحكومة الفرنسية الباب قبل ست سنوات في وجه المهاجرين الجدد. وعلى رغم سماحها السخي لعائلات العمال المقيمين سابقاً بالانضمام إليهم، فقد شجعت الحكومة الفرنسية هؤلاء العمال، في الوقت نفسه، على الرحيل في مقابل تعويضات وهبات.

المانيا الغربية: الاتراك

في المانيا كما في فرنسا، كان للهبوط الاقتصادي المفاجىء أثره السلبي على العمال المسلمين. لكنهم، مع ذلك، صمموا على البقاء. وهنا أيضاً أدخلوا عنصراً مفعماً بالحياة على الانماط الاجتماعية الجامدة.

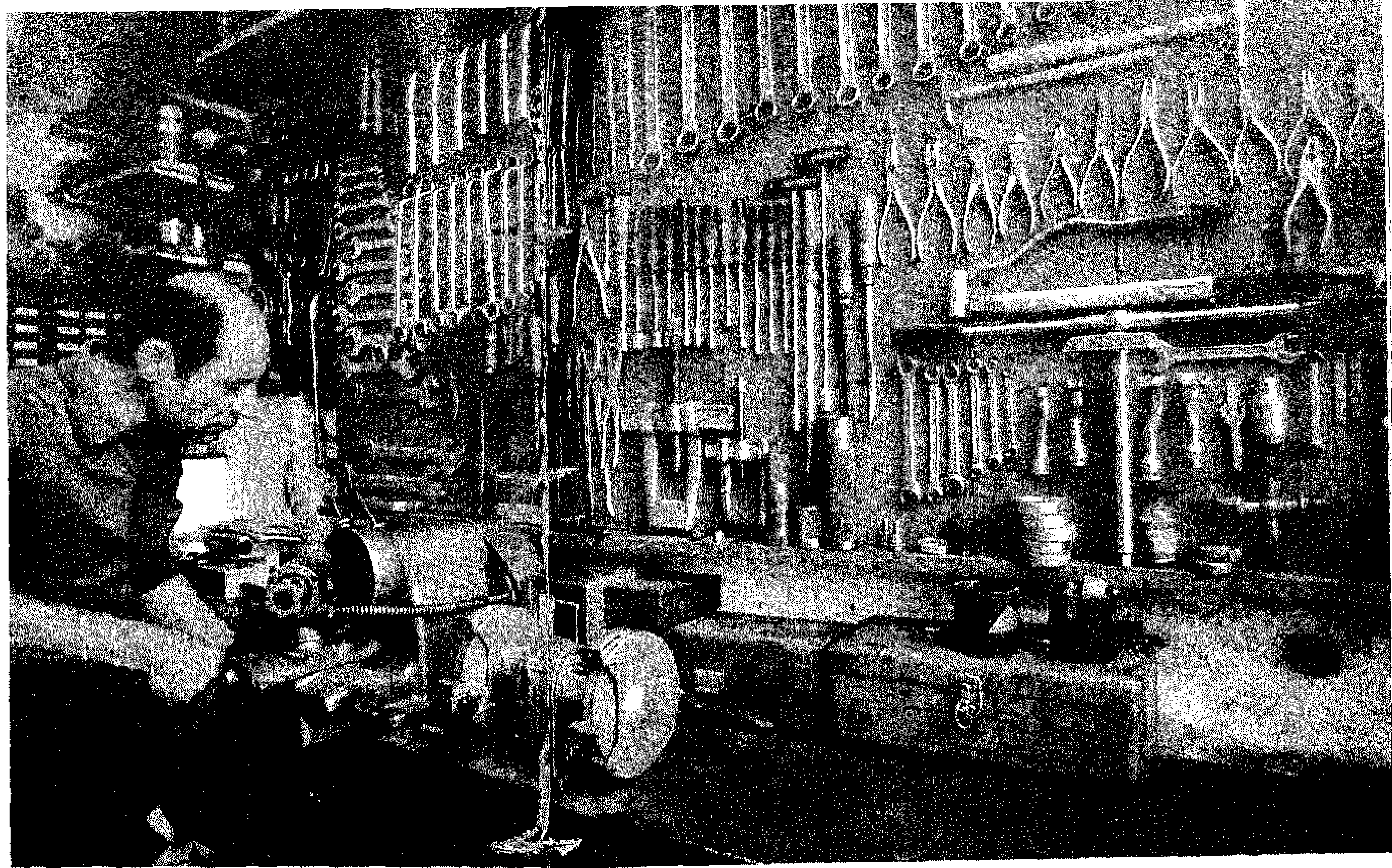
غير أن هذا العنصر تركي أكثر منه افريقياً شمالياً. ففي المانيا مئة ألف مسلم من شمال افريقيا والشرق الاوسط. لكن عدد الاتراك فيها يتجاوز المليون. فلا عجب إذا وجدنا شوارع في برلين الغربية وميونيخ تعج بالنساء اللواتي يرتدين السراويل التركية الملونة بينما رؤوسهن مغطاة بالمناديل وهن يشترين الخبز ولحم الضأن والزيتون والجبن.

وكما حصل في فرنسا، فقد كان من أثر المشكلات الناجمة عن البطالة أنها أقنعت المسؤولين الحكوميين في المانيا بحظر توظيف العمال الأجانب وبفرض قيود اخرى. ويعارض الكثيرون من المهاجرين هذه التدابير، قائلين ان على الحكومة الاهتمام بتحسين أوضاع العمال الذين على ارضها بدلا من اعادتهم الى بلادهم. ويعيش معظم المسلمين في المانيا في مناطق صناعية، ولذلك يواجهون ازمات سكنية فضلا عن ازمات تربوية تتعلق باطفالهم.

ولكن من ناحية اخرى، يزداد التأييد للعمال المسلمين. فهناك شركات المانية تعترف بأن صناعات كثيرة ستتأذى إذا كفت ايدي هؤلاء العمال، كما ان الحكومة على علم تام بأن الاقتصاد الالماني مدين لمقدرة هؤلاء العمال ومثابرتهم.

ويقول هيرمان بوشفورت، أحد المسؤولين في وزارة العمل في بون: "إنه لأمر مهم أن تتاح لأولاد العمال المهاجرين فرص التربية نفسها التي يتمتع بها الاولاد الالمان، وإلا سيدفعون الى هامش المجتمع". وقد وعت حكومة بون هذا الخطر، مما حثها على تأمين المزيد من المساعدة الخاصة للتلاميذ المهاجرين، سواء أكانوا في المدارس العادية أم المهنية.

وقد وعت المنظمات الاسلامية هذه المشكلة قبل وقت طويل، ونظمت برامج للغة الالمانية والنشاطات



عامل تركي عاد الى بلده
نهائيا ليؤسس مشغلا
خاصا قرب اسطنبول.
Photo: Tor Eigeland Aramco

الثقافية في المراكز التابعة لها. وهذه المنظمات تعزز جهود الاهل الرامية الى نشر التعليم الديني.

هولندا: قضية مشتركة

المسلمون في هولندا لم يأتوا من بيئة واحدة. وعلى رغم أن عددهم قليل بالنسبة الى عدد المسلمين في بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا، إلا أنهم يأتون من مناطق مختلفة. ففي هولندا ٢٠٠ ألف مسلم، معظمهم عمال هاجروا من تركيا والمغرب. لكن بين مسلمي هولندا مهاجرين من مصر والهند واندونيسيا والعراق وايران والاردن وماليزيا وباكستان وسورينام (امريكا الجنوبية) وتونس والجزائر واوغندا ويوغوسلافيا. ونشاطاتهم خير برهان على تخطي الفروق القومية والجغرافية واللغوية وتوحيد الجهود من أجل قضية مشتركة.

وفي بيلمرمير، وهي ضاحية جديدة في أمستردام، شاهدت مجموعة نساء متحلقات حول طاولة في غرفة كانت

مخزناً. وكانت إحداهن ترتدي ثوباً هندياً فضفاضاً زاهي الالوان، واخرى تكتسي بجلباب بسيط من القطن الرمادي حملته من افريقيا الشمالية، فيما كانت امرأة ثالثة، وهي هولندية اعتنقت الاسلام، تضع عليها "توجة" أنيقة، وهي ثوب روماني طويل. وكانت النسوة يتكلمن الهولندية والانكليزية والعربية وحتى الاوردية، وبينهن مشتركات يتولين ترجمة الحديث الى اللواتي لا يعرفن سوى لغة واحدة. وكان هدف الاجتماع تنظيم حملة تبرعات من أجل شراء مطبعة "اوفست" لكتب حول الاسلام، يعود ريعها الى صندوق لتشييد مركز إسلامي في امستردام يكلف ١٧ مليون غيلدر (نحو ٩ ملايين دولار) ليحل مكان المراكز الموقتة التي تلبي بعض حاجات مسلمي المدينة الثقافية والروحية، وعددهم أربعون ألفاً.

وقد عرف الهولنديون في التاريخ – وهذا يميزهم عن شعوب اخرى – بالتسامح. وتظهر هذه الفضيلة في جوانب عدة من علاقتهم مع المسلمين

المقيمين بينهم. ومن الامثلة على هذا أن أكثر من نصف المبلغ اللازم لإقامة جامع في مدينة آلميلو - وهو ٢٢٠ ألف غيلدر (نحو ١١٥ ألف دولار) - تبرع به مواطنو المنطقة المسيحيون. وهذا سيكون أول جامع حقيقي في هولندا.

بريطانيا: الاستقرار

على رغم ان بعض المسلمين هاجروا الى بريطانيا في اوائل الستينات وكانوا عنصراً في الانفجار السكاني آنذاك، إلا أن كثيرين منهم دخلوا بريطانيا قبل وقت طويل كمواطنين بريطانيين من دول الكمنولث. وهذا جعل المسلمين في بريطانيا من اكثر الجاليات الاسلامية استقراراً في اوروبا الغربية. كما ان الدين الاسلامي في بريطانيا نزع عن نفسه صفة "الدين الاجنبي". ويقول المطران الانكليكاني ديفيد براون، وهو من الثقات في الدراسات الاسلامية: "الاسلام اليوم دين يعتنقه مليون شخص من مواطنينا البريطانيين".

كذلك نجد ان أثر المسلمين في المجتمع البريطاني يختلف عنه في المجتمعات الاوروبية الاخرى. ولأن بريطانيا كانت تحكم في الماضي أجزاء كثيرة من العالم العربي، فقد وفد رجال الاعمال العرب اليها لاستثمار عوائد النفط في شراء البنايات والمصانع والمزارع والفنادق.

وكان للمال الذي يصرفه المستثمرون المسلمون في بريطانيا، فضلا عما يصرفه آلاف السياح والمتبضعين العرب، أثره الملحوظ في الحضور الاسلامي هناك. كذلك نجد الشوارع تعج بالطلاب العرب الذين ارسلوا الى بريطانيا، خصوصاً لدراسة الهندسة والطب.

ونظراً الى أن المسلمين الآسيويين والافريقيين رعايا بريطانيون وليسوا مقيمين عابرين، فهم يتمتعون بنسبة من الحقوق القانونية اوسع من تلك التي يتمتع بها كثير من المهاجرين المسلمين في البلدان الاوروبية الاخرى. ولكن، كما يرى خورشيد أحمد، رئيس معهد الدراسات التخطيطية في باكستان، "الديموقراطية في بريطانيا ذات وجه سياسي وليست ذات وجه ثقافي، غير ان المسلمين يريدون ان يعيشوا في اوروبا كمسلمين، لا كقوم مغربين ثقافياً. وعلى الاوروبيين ألا يتوقعوا من المسلمين تقليد الغرب في جميع امورهم".

ان ما يريده المسلمون هو، على الاخص، الاعتراف بالشرع الاسلامي والاعياد الدينية والسماح للمسلمين بالانصراف من أعمالهم ومدارسهم في أوقات الصلاة اليومية واداء صلاة الجمعة.

وبما أن المشكلات التي تعانيها الجاليات الاسلامية تختلف من بلد اوروبي الى آخر، فقد بذلت الجهود الرامية الى المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لأبناء هذه الجاليات مع المواطنين الاوروبيين على أساس فردي. ولهذا الغرض احدثت الجمعية الاسلامية في ايرلندا مركزاً للشبيبة المسلمة. ولكن كخطوة مهمة نحو توحيد المساعي، يحاول المجلس الاسلامي الذي أسس في لندن عام ١٩٧٣ تنسيق جهود نحو سبعين منظمة إسلامية في بريطانيا

والمانيا الغربية وفرنسا والبلدان الاسكندينافية وايطاليا وسويسرا والنمسا وبلجيكا وهولندا واللوكسمبور.

ويقول سالم عزام، الامين العام للمجلس الاسلامي الاوروبي، ان للمجلس هدفين رئيسيين: "الاول هو حماية الحياة الدينية والثقافية للمسلمين في اوروبا والمحافظة عليها وتعزيزها، والثاني خلق فهم أفضل للاسلام في الغرب".

وفي محاولة لبناء جسور من المعرفة والتعاون بين الغرب المسلم والغرب المسيحي، نظم المجلس برامج ومؤتمرات عدة. وفي مناسبة افتتاح أحد هذه المؤتمرات، شدد الامير محمد الفيصل على أثر الاسلام الهائل في تاريخ العالم ومساهماته الفذة في حقول التربية والفن والعلم والتكنولوجيا. وحث الامير السعودي أصحاب العقائد الاخرى على "التفحص النزيه لذلك الدين الذي يعتنقه اكثر من ثمانمئة مليون من اخوتهم في الانسانية".

وربما كان غريباً أن يكون تدفق ملايين المسلمين على اوروبا هدأ الصراع القديم، بدلا من أن يقويه، بين الهلال والصليب. ويقول القس مايكل فيتزجيرالد من المعهد البابوي للدراسات العربية في روما: "صحيح أن الاحتكاك اليومي بين المهاجرين ومحيطهم الجديد يخلق المشكلات، لكنه في النهاية يفضي الى فهم أفضل". ومن التطورات التي طرأت زيارة العاهل السعودي الراحل فيصل بن عبد العزيز لروما عام ١٩٧٣ وما أسفرت عنه من تمهيد الطريق لبناء جامع في العاصمة الايطالية.

وهناك أمثلة اخرى. ففي مناسبة "يوم المهاجرين" عام ١٩٧٧، نشر مجمع الكنيسة الاسقفية البروتستنتية الهولندية كراساً رعائياً يدعو الى العمل فوراً من أجل ضمان حقوق جميع الاجانب المقيمين في هولندا، وأكثر من نصف هؤلاء مسلمون. كما حاز كتيب ألفه ديفيد براون، اسقف أبرشية غيلفورد الانكليزية، بعنوان "بداية جديدة"، إطراء المسلمين والمسيحيين معاً.

وهناك جسر آخر من التفاهم تعاونت طوائف مسيحية عدة على إقامته. وهو كذلك دعوة الى العمل المباشر. فبعد الاضطرابات التي شهدتها المناطق الصناعية وسط بريطانيا عام ١٩٧٦، عملت الكنائس المحلية بحماسة في أوساط الشبيبة من مختلف الاديان من أجل تحسين العلاقات في ما بينها.

والمدهش أن الكنائس نجحت حيث أخفقت سواها من الجماعات غير الدينية. وسر هذا النجاح، في رأي القس جاك اندروز من الكنيسة المتجددة المتحدة في بلدة وولسول البريطانية، هو "أن المسيحيين عندما يقتربون من الاسلام بتلك الروح التي يختص بها الدين، فلا شك في أنهم سيلقون ترحيباً حتى من أكثر الفئات الاسلامية تطرفاً". ويضيف القس اندروز: "إنه لأمر يؤسف له أن يكون المسيحيون، لا المسلمون، هم الذين يأتون الى الحوار على مضض. أما المسيحيون الذين اختبروا البلدان الاسلامية فقد اكتشفوا أن عيسى القرآن ويسوع الانجيل يمكنهما الاتفاق اذا هما وقفا وجهاً لوجه".

■ هشام بدوي

مقال مقتبس من عدد خاص اعده لمجلة ارامكو جون لوتون.

إختبر زواجك في ٩ أسئلة

لئن كان الزواج امتن النظم الاجتماعية التي عرفتها الحضارة، الا أن اقامة العلاقة الزوجية الطيبة ليست أمراً سهلا. وما اكثر من ينتابهم اليأس من حياتهم الزوجية فيسارعون الى نفض ايديهم منها. فهل لديك من الصبر والتفاهم ما تتطلبه العلاقة الزوجية المستديمة؟

لكي نساعدك على التحقق من ذلك رأينا ان نزودك في ما يأتي بمجموعة من الاسئلة اقتطفناها من برنامج تلفزيوني قدمته احدى المحطات الامريكية وأعده المشرف على قسمها العلمي الدكتور فرانك فيلد. اما الاجوبة فقد عني بوضعها فريق من اطباء النفس الامريكيين البارزين ضم الدكتورة هيلين سينجر كابلان مديرة برنامج النشاط الجنسي الانساني في مستشفى نيويورك الجديد التابع لمركز كورنل الطبي، والدكتور وليم ابلتون الذي اشترك في وضع كتاب "كيف تقي أسرتك من التفكك"، والدكتور هارولد ليف مدير مجلس الزواج في ولاية فيلادلفيا، والدكتور سيدني ليكر مدير قسم العلوم السلوكية لدى الفريق التنفيذي للممتحنين الصحيين.

١ • ما هي الشكوى الأكثر شيوعاً التي يواجه بها الاطباء النفسانيون والعلماء المتخصصون في معالجة مشاكل الحياة الزوجية؟

هل هي تدور حول الافتقار الى:

☐ الجنس؟
☐ المال؟
☐ التفاهم؟

٢ • هل تؤدي الصراحة المفرطة بين الزوجين الى خلق مصاعب كبيرة؟

☐ نعم.
☐ لا.

٣ • هل تتعرض المرأة التي تلازم البيت للمشاكل الزوجية:

☐ اكثر من الزوجة العاملة؟
☐ اقل من الزوجة العاملة؟

٤ • كلما زاد ايرادك المالي طال عمر زواجك•
☐ صحيح•
☐ غير صحيح•

٥ • ما هي العاطفة التي تعدّ الحافز الأقوى لدى الزوج او الزوجة على اقامة علاقة غرامية خاصة؟
☐ الغيرة•
☐ الغضب•
☐ الكراهية•

٦ • هل يحتمل ان تكون لزوجك او زوجتك علاقة واحدة على الأقل مع شخص آخر؟
☐ نعم•
☐ لا•

٧ • اذا تورطت في علاقة تبعث على تأنيب الضمير، فان الاقرار بالذنب يساعدك على استعادة راحتك النفسية•
☐ صحيح•
☐ غير صحيح•

٨ • الزواج الذي يتمتع الزوجان فيه بعلاقة جنسية ممتازة يدوم اكثر من ذلك الذي تتخذ فيه حياة الزوجين الجنسية طابعاً عادياً او سيئاً•
☐ صحيح•
☐ غير صحح•

٩ • لنفترض ان شخصاً عزيزاً يعاني مصاعب زوجية خطرة ويرغب في التحدث اليك عن تلك المشاكل، عندئذ عليك:

☐ ان تشجعه على الافصاح عن اي مشاعر مكتومة•

☐ ان ترشده اذا شعرت بضعفه امام تلك الصعوبات•

☐ ان تكتفي بالاصغاء اليه من دون اي تعليق•

الاجابات الصحيحة

١ • الافتقار الى التفاهم•

تقول الدكتورة هيلين سينجر كابلان ان الناس يعانون هذه المشكلة عندما يعجزون عن الاعراب عن مشاعرهم الخاصة، او عن الاحساس بمشاعر الطرف الآخر• لنفرض ان الزوجة ترى ان زوجها اسرع مما يجب او هو ميكانيكي في علاقتهما الجنسية• تلك الزوجة قد تخشى المجاهرة بما تشعر به، فتعبر عما تعانيه من خيبة عن طريق مطالبة زوجها بشراء اثاث جديد على رغم ادراكها انه يمر في ضيق مالي• وهكذا فبدلا من ان تقدم اقتراحاً بنّاء مثل: "دعنا، يا حبيبي، نمارس حياتنا الجنسية بطريقة افضل"، تقول انها تريد تجديد اثاث غرفة الطعام• وينتهي الامر بشجار بينهما•

٢ • نعم•

في نظر الدكتور وليم ابلتون ان الصراحة المفرطة تدل احيانا على قلة اعتبار مشاعر الطرف الآخر• فلا حاجة بك الى الاعراب عن كل ما يجول في ذهنك• وهناك فرق شاسع بين مشاركة الرفيق في افكاره بلباقة ومحبة والتدفق المتواصل لمشاعر المرء وما يجول في ذهنه من انتقادات• فكثيراً ما تكون الصراحة خصلة حميدة، الا ان الامعان فيها يجعلها ضرباً من القسوة• فحري بالزوج ان يتجنب جرح مشاعر رفيقه لان ذلك لا يعود بأي نفع على احد•

٣ • انها اكثر تعرضاً للمشاكل الزوجية•

يرى الدكتور هارولد ليف ان الدراسات تبين على نحو يدعو الى

الدهشة ان ربة البيت اكثر تعرضاً للعلل الجسدية والعقلية من الزوجة العاملة. والسبب هو ان ربة البيت غالباً ما تكون عاجزة عن تحقيق ذاتها وبلوغ المكانة التي تتمناها. ولذلك فان عبء الزواج يقع على عاتقها ثقيلا. ان المرأة التي تلازم بيتها تحتاج الى اتصالات جماعية خارجية، سواء في الجمعيات الخيريـة ام فـي المؤسسات الترفيهية او غير ذلك، مما يوفر لها الشعور بالتعاضد والصلة بالآخرين. وينبغي للزوج ان يدرك، من جهته، طبيعـة المشكلـة الخطيـرة التي تواجهها زوجته.

٤ . صحيح.

في ضوء استقصاء جدي يحتمل ان يكون زواج من يفوق دخلهم السنوي العشرين الف دولار ابقى من زواج اصحاب الدخل الضئيل.

٥ . الغضب.

ان الدكتور سيدني ليكر يحذر من ان هذا الانفعال ليس سوى دليل على مشاعر اخرى. ومن المهم ان نقف على الدافع الى الغضب. فالزوج الذي يخون رفيقه يقول عادة في سريرته: "سوف اريه/ او اريها/ ان احداً لا يمكنه ان يعاملني بهذه الطريقة". ووراء مثل هذا الانفعال يكمن عادة شعور بالوحدة ورغبة في الحصول على الحب. غير ان البحث عن ذلك الحب لدى شخص آخر يضني كلا الزوجين، ولكن في امكانهما الافادة من الدرس الذي يلقيه عليهما تورط احدهما في مثل تلك العلاقة الغرامية، فيعملان على تدعيـم زواجهمـا بـأن يحـاولا اكتشاف مواطن الخلل في علاقتهما والاهتمام الصادق بتحسينها.

٦ . نعم، لسوء الحظ.

تعتبر الدكتورة كابلان ان تورط احد الزوجين في علاقة ما لا يؤدي بالضرورة الى وضع نهاية للزواج. والى حد ما، فان اي زواج قد يواجه هذه الأزمة او غيرها. وهذا يعتبر من مخاطر الزواج، وهو، في الوقت ذاته، فرصة لتعميق التفاهم بين الزوجين وتقوية التزامهما بعلاقتهما الزوجية.

غير ان علامة الخطر التي ينبغي الانتباه اليها هي وقوع تغير في المشاعر. هل تشعرين بالغبطة، مثلا، عندما تسمعين صوت مفتاحه في قفل الباب الخارجي؟ هل تضع لنفسك برنامجاً مشحوناً بالاعمال في عطلة نهاية الاسبوع بقصد الابتعاد عنها؟

ان هذا التغير في المشاعر يعني ان زواجك لم يعد كسابق عهده وان الوقت حان للتبصر في الأمر وفي نفسك. والخطوة الأولى نحو حل اي مشكلة هي الاعتراف بوجودها.

٧ . صحيح.

ان الاقرار بالذنب يريح ضميرك. لكن الدكتور ابلتون ينصح بأن يسأل الزوج نفسه عن السبب الذي يحمله على الاقرار. اهو رغبته في ان يمنعه رفيقه من تكرار غلطته؟ في هذه الحال يجب التنبه الى ان احدا لا يستطيع ان ينهاك عن امر ما لم تنه انت نفسك عنه. ام هو طلب للمغفرة؟ ان المشكلة هنا هي ان تغفر انت لنفسك. ولا تنس ان اعترافك سيؤلم رفيقك وقتاً طويلا. ولذا فمن الأفضل للمرء عادة الا يزيد المشكلة تعقيداً من غير داع من خلال الاعتراف بذنبه.

٨ . غير صحيح.

يقول الدكتور ليف ان ليس هناك ما

يضمن ان تمتع الزوجين بحياة جنسية جيدة يحول دون فشل الزواج. واضافة الى ذلك، فان العلاقة الجنسية الجيدة لا تستمر بالضرورة طوال مدة الزواج. فالاثارة الجنسيةالتي يشعر بها المرء في بداية الزواج تتضاءل مع الوقت او يحل الضجر محلها. وعلى الزوجين ان يجعلا زواجهما باعثاً على الاثارة.

٩ . عليك ان تسمع فقط.

يقول الدكتور ليكر انه من الأهمية بمكان ان تعرف ما يجدر بك تجنبه في مثل هذا الموقف وما يتعين عليك ان تفعله. فمحاولتك التعمق في المشكلة، ما لم تكن انت خبيراً، ربما سببت اذى يفوق نفعها. اضف الى ذلك انك اذا استأثرت بمعالجة الوضع، فسوف تحرم صديقك فرصة السعي الى انماء قدرته على التحكم في الموقف، علماً بأن الأزمة التي نجتازها كثيراً ما تكون لنا فرصة جيدة للنمو. ان عليك ان تتيح لصديقك الفرصة كي يتعلم من الأزمة التصرف.

ان هذا الاختبار لا يخضع لدرجات، الا ان الفائز فيه هو من يتعلم من خلاله كيف يحسن حياته الزوجية.



مشاكل الزواج

الزواج هو تلك المؤسسة العجيبة التي تمكن شخصين من المعاناة المشتركة لصعوبات ما كانا ليواجهاها مطلقا لو لم يتزوجا".

ك. ف.

ما يهواه الصبية

كان ابني ذو الاعوام التسعة على وشك انهاء اجازة قضاها مع جدته في بيتها، فسألته قبل رحيله: "قل لي ما افضل شيء احببته في زيارتك هذه". ففكر الصبي لحظة ثم اجاب: "حسناً يا جدتي. لو صحبتني الى مباراة لكرة القدم لكان ذلك افضل ما احببته".

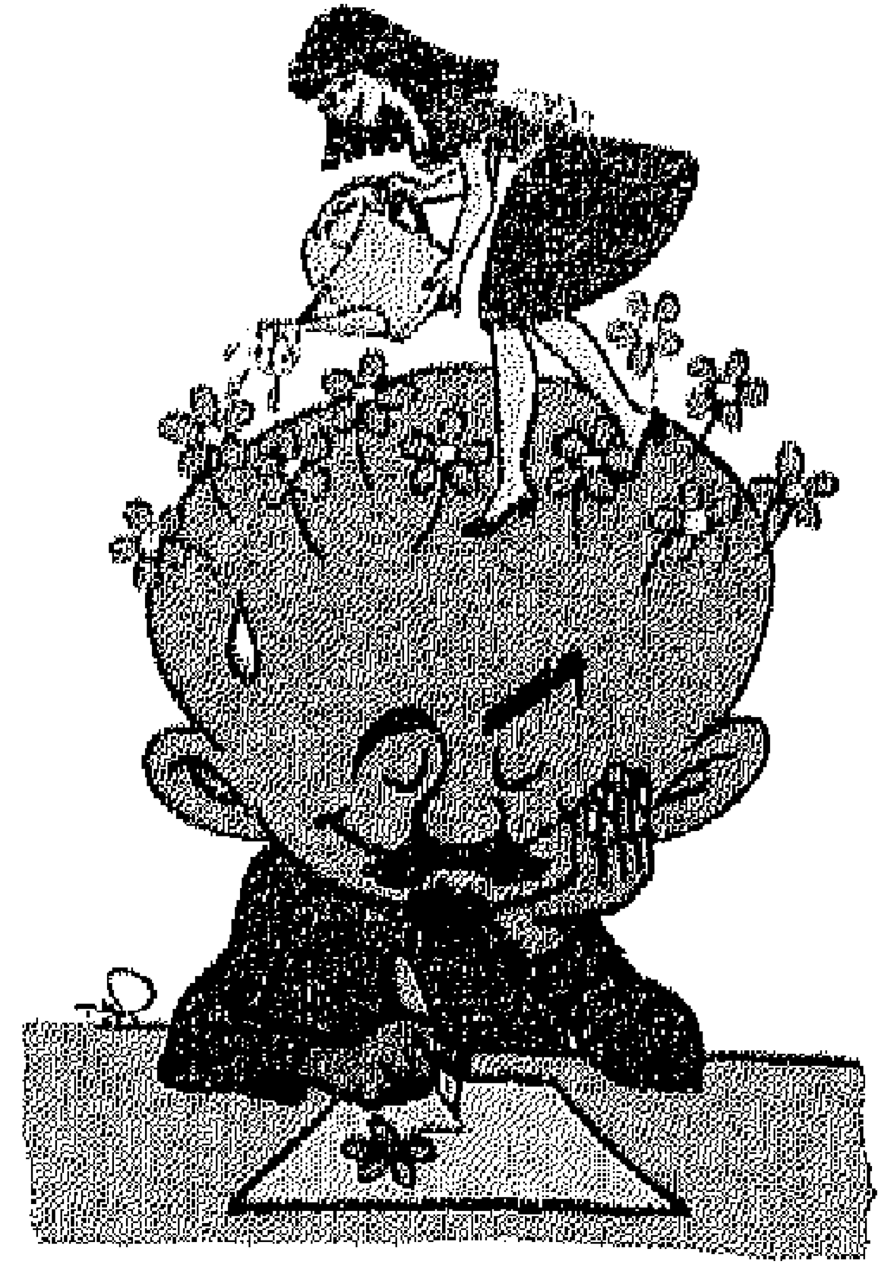
هـ. س.

الاتفاق والتأويل

قال سهل بن هارون:

عدد حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً على عدد منازل القمر، وغاية ما تبلغ الكلمة منها مع زيادتها سبعة احرف على عدد النجوم السبعة. وحروف الزوائد اثنا عشر حرفاً على عدد البروج الاثني عشر. ومن الحروف ما يدغم مع لام التعريف، وهي اربعة عشر حرفاً مثل منازل القمر المستترة تحت الارض، واربعة عشر حرفاً ظاهرة لا تدغم مثل بقية المنازل الظاهرة. وجعل الاعراب ثلاث حركات: الرفع والنصب والخفض، لان الحركات الطبيعية ثلاث: حركة من الوسط كحركة النار، وحركة الى الوسط كحركة الارض، وحركة على الوسط كحركة الفلك. وهذا اتفاق ظريف وتأويل طريف.

ابن النديم (الفهرست)



حديقة أفكار

■ الحسم سكين حادة تحدث قطعاً نظيفاً مستقيماً. والتردد سكين مثلومة تهلهل وتمزق وتخلف وراءها اطرافاً قبيحة رثة.

ج. م. ك.

■ السلطة مثل الخمر: كلما زادت سرعة تعاطيها زاد تأثيرها على العقل.

ل. هـ.

■ انا اعد ذكرياتي كالبخيل الذي يعد هانئاً دراهمه.

كارل ساندبرغ

■ الحظ وحده يمكنه حمل سفينة بلا ربان الى الشاطىء الامين.

وليم شكسبير

■ الثناء هو ان يقول لك شخص آخر ما كنت تعتقد طوال الوقت انه من صفاتك.

ف. ف. و.

■ اننا نتوصل الى رؤية الاشياء الغامضة بعد حين. لكن رؤية الاشياء الواضحة تستغرق وقتاً أطول.

ا. م.

■ صحيح انك تعيش مرة واحدة، ولكن اذا احسنت التصرف فستكفيك هذه المرة.

ف. ا.

■ من لا يقضي بعض الوقت احياناً من غير ان يصنع شيئاً، لا يمكن ان يكون رجلا حراً.

شيشرون

■ النجاح يغطي عورات كثيرة.

برنارد شو

■ الفرق بين الخبر والاشاعة ان الخبر يقال بصوت عال، بينما تقال الاشاعة همساً.

ف. ج.

قنديل البحر

الدكتور لويس توماس، رئيس مركز سلون - كيتيرينغ لعلاج السرطان في نيويورك، عالم يتميز عن سائر العلماء؛ فهو ليس من أبرز الاطباء والبيولوجيين فحسب، وإنما هو أيضاً شاعر معروف وكاتب مقالات من الطراز الاول؛ وفي المختارات التي نوردها هنا من كتابه الرائع "القوقعة وقنديل البحر"، يتحدث الدكتور توماس عن الخفايا الكامنة في الانسان وفي الطبيعة بالبلاغة نفسها التي حققت له الفوز بالجائزة القومية للكتاب عن مجموعة مقالاته السابقة التي نشرها بعنوان "حيوات الخلية".

ذكاؤنا الخارق

ان الثآليل (المعروفة بالشامات او الشاميات) تركيبات مثيرة للعجب، تبرز بين ليلة وضحاها في اي ناحية من الجلد كما يبرز الفطر على المرج الرطب، فتنمو نمواً رائع التعقيد والتكوين. وأغرب ما في هذه الثآليل انها، على رغم صلابة مظهرها وقابليتها للدوام، فان ازالتها تتم بمجرد الاعتماد على امر يمكن ان نسميه التفكير. وتلك من اعظم الغرائب التي حار فيها العلم، فإن في الامكان أمر الثآليل بالاختفاء من الجلد عن طريق الايحاء المغناطيسي.

ولربما صعب على المرء ان يصدق هذا الواقع، لكن اجيالا متتابعة من الاطباء والاختصاصيين في الامراض الجلدية اقتنعت بهذه الظاهرة. كما ان دراسات اجريت في هذا الصدد على ايدي باحثين طبيين اعتمدوا في دراستهم ضوابط دقيقة. وفي احدى هذه الدراسات اجري تنويم مغناطيسي لأربعة عشر مريضاً يشكون ثآليل بدت عسيرة المعالجة. واوحي الى المرضى، بعد تنويمهم، بأن جميع الثآليل ستختفي من احد جانبي الجسم. وكانت النتائج التي تحققت خلال الاسابيع القليلة التالية ايجابية على نحو لا يقبل الشك، اذ حدث في

تسع حالات ان اختفى معظم الثآليل من جانب الجسم المعني، بينما احتفظ الجانب الذي لم يشمله الايحاء بجميع ثآليله.

ومنذ ان نشرت نتائج هذه التجربة وأنا احاول اكتشاف طبيعة التعليمات التي اصدرها العقل اللاواعي في هذا الشأن. فالعقل قلما يستسيغ الاعتقاد بأن مجرد امر الثآليل بالاضمحلال يكفي لزوالها، ما لم تتح له بعض التفاصيل عن طريقة حدوث هذه العملية.

ومن المحتمل ان تكون هذه التعليمات بالغة البساطة، تقتصر على اصدار الامر بوقف تدفق الدم في الاوعية الصغيرة الموجودة في الثآليل وحولها، مما يؤدي الى قطع الاوكسيجين عن هذه الثآليل فتموت خلاياها. وانما يصعب علي فهم الطريقة التي يتوصل بها العقل بدقة تامة الى قطع تيار الدم عن ثؤلول معين مع الابقاء على الثآليل الاخرى. وآثرت أن اتقبل الامر كما هو. غير ان المشكلة ازدادت تعقيداً في الآونة الاخيرة، بعدما اكتشف الباحثون ان الثآليل تنشأ عن نوع من الفيروس، وان من المحتمل جداً ان تكون لجهاز المناعة في الجسم مساهمة في عملية نبذ تلك الثآليل.

واذا تمكن عقلي اللاواعي من معرفة طريقة التحكم بالاجهزة اللازمة لمقاومة ذلك الفيروس، واستطاع توجيه مختلف فئات الخلايا الليمفاوية، التي تختص كل منها بوظائف يفوتني فهمها، وفقاً للمراحل التي تقتضيها مهمة رفض النسيج غير المرغوب، فذلك يعني، بلا شك، ان عقلي اللاواعي يتميز في هذه الحال بذكاء خارق يتجاوز ذكائي وبمعلومات تفوق معلوماتي الى حد بعيد.

انها حقاً لمشكلة عجيبة تحتاج الى حل. فلنتأمل ذلك المدى الذي تبلغه معارفنا اذا ما تسنى لنا ان نفهم بوضوح ما يحدث عندما يضمحل احد الثآليل بمجرد امره بالاضمحلال. لو تيسر لنا ادراك ذلك لامكننا ان نعرف طبيعة الخلايا والمواد الكيميائية الموجودة داخل الجسم كي تصد عنه غزو الاجسام الغريبة، ولعرفنا كيف تجري حركة اولئك المدافعين بمثل هذه الدقة وهذا الاحكام. والاكثر من هذا كله اننا سنكتشف آنئذ نوعاً من الذكاء الخارق في طوية كل منا، ومقداراً من البراعة والحذق يتجاوز حدود ادراكنا الحالية بمراحل كبيرة.

الدهشة الكبرى

منذ فترة وجيزة كانت احدث اعاجيب الطب التي احتلت الصفحات الاولى في الصحف هي مولد طفل انكليزي تم حمله داخل انبوب. اما الاعجوبة السابقة التي مازالت، حتى اليوم، تثير حيرتنا فهي ان خلية منوية منعزلة وبييضة واحدة يمكنهما ان تندمجا في اي ظروف وتواصلا النمو حتى تصبحا طفلا بشرياً وزنه ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. غير ان هذه العملية تتكرر منذ زمن طويل، فألفناها ولم تعد تدهشنا. ومن هنا كانت صيحات العجب والذهول امام امر هو في الحقيقة انجاز تقني بسيط لا يزيد على مجرد ابدال المكان الذي تبدأ فيه العملية، وهو احدى القناتين اللتين تنتقل

البييضة عبرهما من المبيض الى الرحم، بانبوب خارجي من البلاستيك.

اما الاعجوبة الحقيقية فهي ما يأتي: كل انسان يبدأ بخلية واحدة تنقسم خليتين، فتنقسمان بدورهما اربع خلايا، ثم ثمان وهلم جرا. وفي مرحلة معينة، عندما تبدأ الخلايا التمايز بعضها عن بعض يظهر بينها عنقود من الخلايا ينتهي الى تكوين الدماغ البشري.

ان مجرد وجود هذه الخلايا الخاصة لجدير بأن يكون اعظم بواعث العجب والدهشة على ظهر الارض. فهي تبدأ مثل غيرها، ثم تتحول لتصبح ذلك الجهاز الخطير المشتمل على نحو الف مليار من الخلايا والذي يضطلع بمهمات التفكير والتخيل. فجميع المعلومات اللازمة لتعلم القراءة والكتابة او للقيام بالحركة الرائعة عندما يمد المرء احدى يديه ويتكىء الى شجرة، كامنة في تلك الخلية الاولى، الى جانب كل ما تملكه البشرية من علوم اللغة والنحو والحساب والموسيقى.

ولا يدري احد كيف يتم تحول الخلايا على هذا النحو. ففي البداية الباكرة لحياة الجنين، وهو لايزال مجرد عنقود من الخلايا، تكون هذه المعلومات جميعها كامنة في كل واحدة من خلايا العنقود. وليس لدى اي انسان ادنى فكرة عن طريقة تحول بعض هذه الخلايا فجأة واضطلاعها بميزاتها الدماغية. واذا نجح احد في كشف هذا السر، وكنت لا ازال حياً، فسوف اصرف كل ما املكه على استئجار طائرة، بل اسطول من الطائرات، يخط علامات التعجب الهائلة بالدخان الملون على صفحة السماء، علامة تلو اخرى حتى آخر فلس من اموالي.

حول الموت الطبيعي

من المشاهد التي رأيتها مراراً في طفولتي مشهد موت فأر من فئران الحقول بين فكي قطتي المنزلية اللطيفة. وكان المشهد يؤلمني دائماً، فأوجه كلمات قاسية الى القطة وامطرها بوابل من الاتهامات لعلها تفهم اي نوع من الحيوانات اصبحت. وبدت لي الطبيعة في ذلك الوقت بغيضة منفرة.

غير اني اعدت التفكير اخيراً في امر ذلك الفأر، ورحت اتساءل عما اذا كان موته على ذلك النحو يختلف كثيراً عن موت شجرة صفصاف في حديقتي اصابتها آفة هذا الصيف. ان الفرق الرئيسي بين موت الاثنين - ان وجد - سيكون فرقاً في الشعور بالالم. ولست اعتقد ان لشجرة الصفصاف خلايا عصبية تستقبل الشعور بالالم، اما الفأر المتدلي بذيله الى اسفل بين اسنان قطة رمادية فان امره يبدو لك مختلفاً، لانك تظن ان كل جزء من جسمه الصغير يجتاحه الم لا يحتمل.

لكن هناك الآن بعض الاسباب الوجيهة للاعتقاد بان الامر ليس كذلك على الاطلاق، وان في وسعك ان تروي قصة مختلفة تمام الاختلاف عن مصرع الفأر. ففي لحظة وقوعه بين اسنان القطة التي تخترق جسده، تبدأ خلايا معينة في دماغه اطلاق هرمونات الببتيد التي تسمى "اندورفينات"،

فتلتصق على الفور بسطوح الخلايا الاخرى المسؤولة عن الاحساس بالالم. ولهذه الهرمونات خواص عقارية هي نفسها التي للافيون المخدر، ومن ثم ينعدم الاحساس بالالم.

ولست ادري مدى صحة هذا القول، ولا كيف اثبته اذا كان صحيحاً. ولعلك، اذا استطعت ان تتدخل في الاشتباك بين القط والفأر بسرعة كافية تتيح لك ان تحقن الفأر بمادة "النالوكسون" المضادة للمورفين فتبطل بذلك مفعول الاندروفينات وتعيد الى الفأر احساسه بالالم وتتسنى لك ملاحظة ذلك. اما انا فلست ابالي بأن افعل ذلك ولا بأن اشاهده، وأفضل ان اترك الامر عند هذا الحد، كتخمين لا بأس به عن مصرع الفأر الذي يقضمه القط وربما عن الموت عموماً.

واسوأ حادث شهدته في حياتي كلها وقع في جزيرة اوكيناوا اليابانية فياواخر الحرب العالمية الثانية عند بدء الغزو الامريكي لجزر المحيط الهادىء. فقد اصطدمت سيارة جيب بناقلة جنود ضخمة، فانسحقت سيارةالجيب حتى اصبحت شبه مسطحة. وكان فيداخلها شابان من رجال الشرطة العسكرية حصرتهما قطع الصلب الملتوية واصابتهما بجروح قاضية، ولم يبق ظاهراً من جسديهما غير الرأس والكتفين. وجرى بيني وبين الشابين حديث خاطف بينما كان فريق الانقاذ يعمل على انتشال جسديهما بالادوات اللازمة. وقال الشابان انهما آسفان لهذه الحادثة، كما ذكرا انهما في حال جيدة. واستعلم احدهما عما اذا كان الآخرون جميعهم بخير، وأضاف الثاني انه لم يعد هناك ما يدعو الى العجلة. ثم اسلم الاثنان الروح.

ان الالم مفيد لتفادي الخطر وللهرب قبل فوات الاوان. ولكن عندما تكون اللعبة منتهية ولا سبيل هناك الى التراجع، فالاوفق ان يتوقف الالم وان تتكفل بايقافه تلك الاجهزة الرائعة الدقة والسرعة. ولو قدر لي ان اضع تصميم نظام بيئي تعيش فيه المخلوقات بالتهام بعضها البعض،ويكون فيه الموت جزءاً لا يتجزأ من الحياة، لما استطعت ان افكر في وسيلة افضل من هذه لتدبير الامور.

اصغرها سناً واكثرها نبوغاً

اني اؤمن بالبشرية ايماناً حاراً، ولا اطيق تلك البدعة الرائجة للتقليل من قيمة الانسان واعتباره مجرد جزء مفيد من الطبيعة. فنحن، على عكس ذلك تماماً، مظهر رائع ومذهل لعبقرية الحياة: اننا نتحلى بميزة الكلام وخاصية العاطفة، ونمتلك فوق ذلك كله موهبة الموسيقى. واذا اخذنا في اعتبارنا مقاييس الوجود الزمنية التي تحسب بعشرات الملايين من السنين، لتبين لنا ان الجنس البشري لا يزال في طفولته الباكرة ولم يكد يتخطى مرحلة الميلاد. ومع ذلك فانه، على رغم حداثته، انتج روائع خالدة كموسيقى يوهان سباستيان باخ، وذلك ليس بالامر اليسير.

يضاف الى ذلك اننا نعد، من جميع النواحي، اكثر الكائنات الحية اقبالا على الحياة الاجتماعية وتمسكاً بها،

وأكثرها اعتماداً على بعضها البعض، مما يفوق، الى حد بعيد، ما تتميز به الحشرات الاجتماعية المعروفة كالنمل والنحل. كما أننا نتمتع بخيال اوسع وأكثر ابداعاً في تنظيم الحياة الاجتماعية من خيال اي كائنات اخرى. وقد بلغنا في هذا الامر شأوا بعيداً، ويشهد على ذلك ما انتجته حضاراتنا من ثقافات وآداب. ونحن نضع المقاييس المثلى لسلوكنا الاجتماعي. وعندما نخفق في الالتزام بها ونعرض جنسنا للخطر، كما حدث مراراً في هذا القرن، فان اقسى ما ندين به انفسنا على هذا الاخفاق ينحصر في عبارة واحدة: "لا انساني".

وليس في وضع الانسان ما يعتبر منافياً للعقل، فنحن بشر لنا اهميتنا. ويبدو لي ان التخمين الصادر عن كثيرين ممن تناولوا هذا الموضوع بالتفكير، والقائل بأننا ربما نكون عاكفين على صنع شيء يمكن ان نسميه عقلا للحياة على هذا الكوكب، هو تخمين سليم. واذا صح هذا الافتراض، فلا بد اننا لا نزال فيالمراحل البدائية الساذجة من هذه العملية الخطيرة، نتعثر في مجالات اللغة والتفكير، لكن لدينا قدرات غير محدودة لبناء المستقبل.

واذا نظرنا الى الامر على هذا النحو، فلا بد لنا من الاعجاب بقدرتنا على قطع هذا الشوط فيهذه الفترة القصيرة التي لا تذكر اطلاقاً اذا قورنت بالمقاييس الزمنية التي يعتمدها الجيولوجيون. فنحن احدث ما انجبتهالحياة على هذه الارض وأصغره سناً وأكثره نبوغاً.

■ لويس توماس



المشي العصري

هل لاحظت كيف يمشي كل شخص في الطريق هذه الايام؟ فهو اما شخص يريد المحافظة على رشاقته، واما مواطن يريد النجاة بحافظة نقوده.

ر.ف.

امانة

كان مارك توين يلقي حديثاً عن الامانة، فروى القصة الآتية:

"ذات مرة وانا صبي صغير كنت اسير في الشارع، فلمحت عربة مليئة بثمار البطيخ. ولما كنت مغرماً بالبطيخ، فقد تسللت الى العربة بهدوء واختلست احدى الثمار، وركضت بها الى زقاق قريب وغرست فيها اسناني. الا اني لم اكد افعل ذلك حتى انتابني شعور غريب. ومن غير ان اتردد لحظة واحدة، اتخذت قراري. فقد سرت عائداً الى العربة واعدت البطيخة... واخذت اخرى ناضجة".

اذا كان الغرب يريد حقاً مساعدة الدول الحديثة الاستقلال، فعليه اولا عدم النفور من كونها "ماركسية" او "متطرفة"

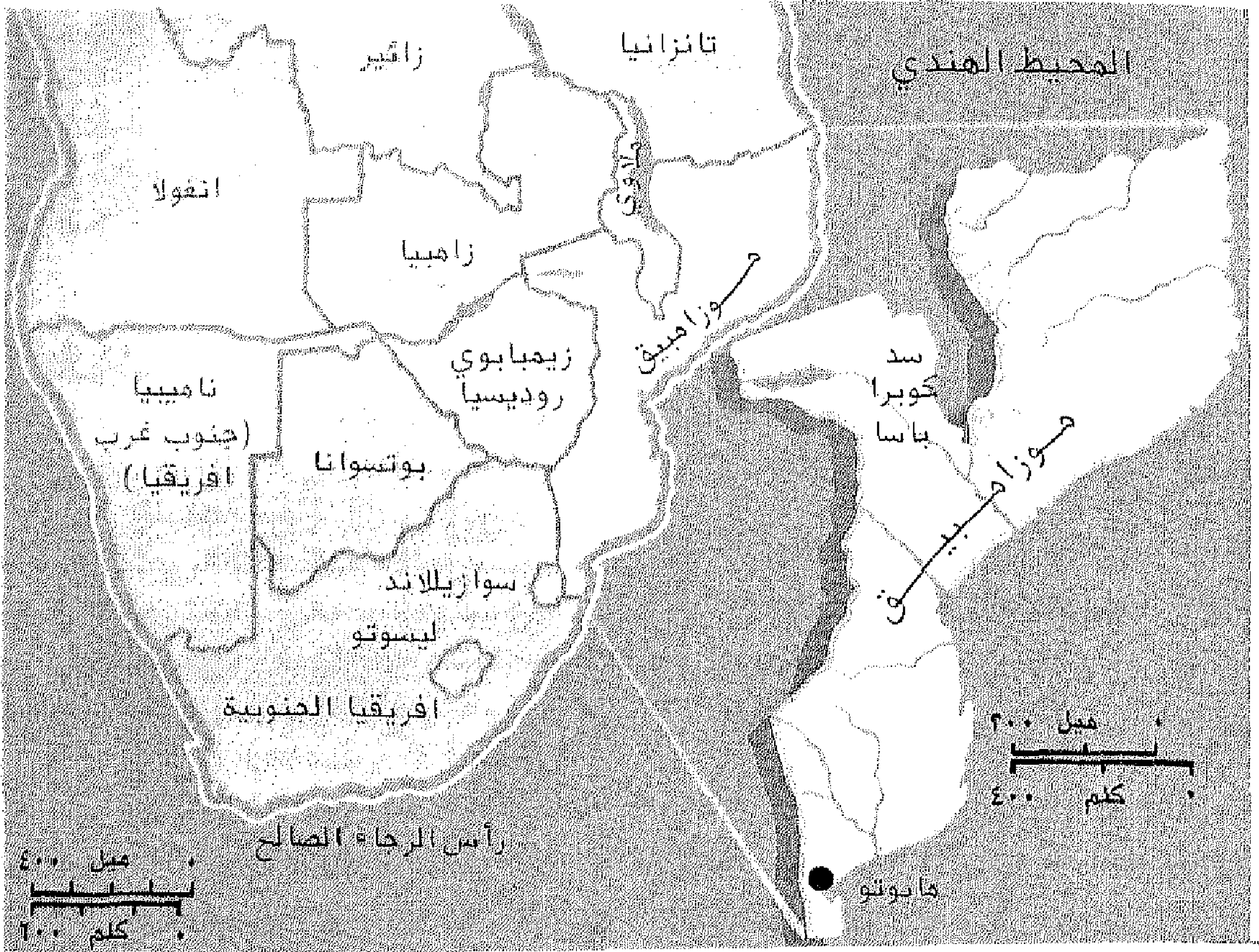
موزامبيق :

تعايش الماركسيّة والقوميّة في الدول الناشئة

ان ميلاد امة ما يكون عادة مناسبة بهيجة. ولكن حين انهت موزامبيق يوم ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ ليل الحكم البرتغالي الذي دام نحو ٥٠٠ سنة، لم تجد لديها سوى هذا الانجاز الباعث على الذهول والحيرة، والتي كانت فرص استمراره ذاتها مشكوكاً فيها.

وكان سبب تلك الحال واضحاً على نحو موجع. فقد كانت موزامبيق مستعمرة يحكمها البيض لمصلحة البيض. وقد امتلك البرتغاليون جميع المزارع، وتحكموا بكل المشروعات الاقتصادية، وشغلوا كل الوظائف ذات الاجر، حتى تلك الخاصة بسائقي سيارات الاجرة ومنظفات الغرف في الفنادق. في حين كان الافريقيون يعيشون في الاحياء البائسة، ويمنعون حتى من السير في احياء البيض المعزولة من غير تصريح خاص، ويحرمون كل الوظائف عدا اشدها ضعة، كما كانوا يصرفون من غير رحمة اذا حملوا مريضاً الى مستشفى البيض.

لكن رياح التغيير كانت تعصف بافريقيا. وبدأت الامبراطورية البرتغالية تتصدع وتنهار. ولاحت في الافق نذر الثأر الاسود المهددة، مما دفع البرتغاليين ببساطة الى ترك موزامبيق التي غادروها بين ليلة وضحاها، مخلفين بلداً يستبد به الفقر، ولا أثر فيه عملياً للاطباء او المدرسين او الفنيين، ولا حتى للسيارات. وحين انتهت تلك الموجة



من الرحيل الجماعي، بقي في موزامبيق ٢٠ ألف برتغالي فقط. وكان التدمير شاملا كل نواحي الحياة في البلاد، حتى غدا البلد وكأنه ضرب بقنبلة نووية اقتصادية.

وقد ورثت هذه الدولة التي تقع في شرق افريقيا، من عهد الاستعمار البرتغالي ديناً يبلغ ٦٤٠ مليون دولار، ونسبة من الامية تصل الى ٩٠ في المئة، ومتوسط عمر يقدر باربعين سنة للمواليد الجدد. وليس في موزامبيق، التي يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، سوى ستة من حملة الشهادات الجامعية، واقل من الف طالب مسجل في المدارس الثانوية. وهذا البلد الذي يقوده اليوم الرئيس ساموراً ماشيل ذو النزعة المثالية، يواجه مشاكل هائلة وهو يخطو خطواته الاولى المترددة على طريق الاستقلال.

ووفق معايير الغرب، يعتبر ماشيل متطرفاً. فهو يتبنى العقيدة الماركسية - اللينينية، ويربط توجهات امته بسياسة "حلفائها الطبيعيين" الذين ساندوا موزامبيق على مدى عشر سنين في حربها التحريرية. ومن بين هؤلاء الحلفاء كوبا والاتحاد السوفياتي. وهناك اليوم في موزامبيق جهاز للشرطة السرية دربته المانيا الديموقراطية (الشرقية)، ومعسكرات "اصلاحية" تغص بالوف المواطنين الذين لم يتمكنوا من فهم الثورة. وهناك ايضاً مستشارون كوبيون

واساحة سوفييتية ونظام سياسي قائم على حزب واحد على الطراز السوفييتي.

نظرة واقعية ـ ربما كان من السهل وصف موزامبيق بانها دمية شيوعية اخرى. الا انها تستحق نظرة اكثر واقعية. فهي من اهم بلدان افريقيا من الناحيتين السياسية والجغرافية، اذ يبلغ طول ساحلها ٢٦٠٠ كيلومتر، مما يكسبه اهمية قصوى بالنسبة الى طرق نقل النفط حول رأس الرجاء الصالح والى التحكم بالمحيط الهندي. وساهمت موزامبيق، باعتبارها احدى "دول المواجهة" الخمس ضد الحكم الابيض في روديسيا، بنحو عشرة آلاف من ممتهني حرب العصابات ضد النظام الروديسي. وتتاخم موزامبيق ايضاً جنوب افريقيا، مما يجعلها موقعاً مناسباً للنفاذ السوفياتي الى جنوب افريقيا.

ولكن في افريقيا السوداء، كثيراً ما يكون اللجوء الى الماركسية ـ اللينينية مرتبطاً بنقص في رأس المال اكثر من ارتباطه بالعداء المتعمد للرأسمالية او للغرب، وبالرغبة في الحفاظ على عدم الانحياز اكثر من ارتباطه بالرغبة في اقامة علاقات وثيقة مع المعسكر الشرقي.

ومن المؤكد ان موزامبيق لا تدور في الفلك السوفييتي ولا تعتزم ان تصبح كذلك. والواقع ان ماشيل احاط موسكو علماً بأنها لا تستطيع الحصول على تسهيلات عسكرية في موزامبيق. وتحاول هذه الدولة الناشئة اتباع مسار مستقل، وتسعى الى اقامة علاقات جيدة مع المعسكر الغربي ومع مؤسسات الاستثمار الخارجية.

ولم يقدم حليف موزامبيق السوفييتي سوى القليل لمساعدتها على مواجهة الدمار الاقتصادي الذي حاق بها من جراء الرحيل الجماعي للبيض ونتيجة الفيضانين الخطرين اللذين اصاباها، اضافة الى موجة الجفاف ومئات الغارات الروديسية على الثوار الذين ينطلقون ضدها من موزامبيق، والمشقة التي تكابدها في رعاية ٥٠ ألف لاجيء روديسي لديها.

وفي مواجهة هذه المشاكل الهائلة، اظهرت حكومة ماشيل مقداراً غير متوقع من المرونة والواقعية والصبر، وحققت تقدماً ملفتاً في بعض المجالات، خصوصاً في مجالي التعليم والصحة، على رغم الصعوبات الضخمة.

بيد ان مشاكل موزامبيق لا تزال هائلة. فكل يوم تصطف النساء في المدن، منذ ما قبل الفجر، في طوابير طويلة للحصول على القليل من الخبز والسكر واللحم وملح الطعام. اما بضائع الترف التي تحتوي عليها المتاجر فهي تلك التي خلفها البرتغاليون. وكثيراً ما يضطر الزوار في مطار مابوتو الى التماس مكان في سيارة خاصة لكي يصلوا الى فنادقهم، اذ ليست هناك عملياً سيارات اجرة، كما ان السيارات الخاصة قليلة.

وقد هبط الانتاج الزراعي منذ الاستقلال بنسبة ٧٠ في المئة. ولا تبذل المصانع سوى ٥٠ في المئة من طاقتها. وسلم ماشيل بتلك الحقائق في قوله: "لا شك اننا ضعفاء من حيث

القدرة وسيئون من حيث الادارة الرأسمالية. لكن ما نستطيع تنظيمه حقاً هو عملية بناء النظام الشعبي. اننا امة افريقية تبني نظاماً اشتراكياً، ودولة غير منحازة تواجه مشكلات حقيقية".

شخصية الرئيس — ان ماشيل رجل ناحل، ذو شخصية جذابة وعينين بنيتين واسعتين تلوح فيهما نظرة حزينة، وله لحية مشذبة. وكثيراً ما يرتدي حلة ميدان عسكرية مكوية بعناية وقد شمرت اكمامها باناقة، ويبدو حذاؤه البني لامعاً براقاً. وهو ولد لأبوين من الفلاحين وغادر موزامبيق الى تانزانيا عام ١٩٦٢ ليشارك في حرب تحرير بلاده ويخطط لها، واخيراً ليقودها.

وكان ماشيل واحداً من ٢٥٠ مقاتلا هاجموا مخفراً للشرطة البرتغالية عام ١٩٦٤ خلال العملية الاولى التي نفذتها جماعة "الفريليمو" (جبهة تحرير موزامبيق) التي تحكم البلاد اليوم والتي كانت حينذاك حركة تخوض حرب عصابات. ولايزال ماشيل، البالغ من العمر ٤٧ عاماً، يتصرف اليوم، من وجوه كثيرة، كقائد لحركة كفاح مسلح اكثر منه كرئيس دولة. فهو دائم السفر في طول البلاد وعرضها لكي يتفقد المصانع والمزارع والمستشفيات والسجون، ولكي يسجل الملاحظات وهو يصغي الى شعبه.

وعلى رغم ان موزامبيق قدمت في نضالها ضد البرتغال نحو ٢٥ ألف شهيد، الا ان ماشيل، ذا اللون الاسود كأغلبية بني قومه، يرئس اليوم احدى الحكومات الافريقية القليلة التي يشارك فيها افراد يتحدرون من اجناس متعددة. ففي الوزارة التي يرئسها ثلاثة مواطنين بيض يحملون جنسية موزامبيق، وتضم دائرة معاونيه القريبين افراداً من البيض والهنود اضافة الى السود. واذا كانت موزامبيق اليوم احدى اكثر دول القارة الافريقية التي تمتزج فيها الاجناس بتآلف ووفاق، فذلك لان ماشيل فسح دائماً مجال العمل للبيض الراغبين في التعاون بدلا من الاستغلال. والشائع انه لم يحدث، طوال سنوات حرب التحرير، ان مات شخص واحد ممن سجنتهم جماعة الفريليمو من جراء سوء المعاملة. وقد صرح ماشيل عام ١٩٧٥ بالآتي: "يجب ان نحصل على تأييد كل الشعوب من كل الاجناس في كل القارات من اجل خير الوطن وبنائه".

ولايزال ماشيل اليوم يرحب بالاوروبيين الذين يرغبون في مساعدة موزامبيق على انعاش اقتصادها، ويشجعهم على القدوم اليها عن طريق السماح لهم بتحويل نصف مداخيلهم الى احد المصارف الخارجية باي عملة صعبة يختارونها.

وقد استجاب لهذا النداء قرابة عشرة آلاف برتغالي، واكتسب خمسة آلاف آخرون جنسية البلاد.

بيروقراطية — ان هؤلاء، وان كانوا يأتون المعجزات، الا ان عملية النهوض بالاقتصاد تواجه عوائق مذهلة. فنتائج التأميم الذي شمل الملكية العقارية ومعظم المشروعات التي خلفها البرتغاليون كانت متفاوتة. ذلك لان موزامبيق، مثلها مثل معظم البلدان الاشتراكية، تنوء تحت وطأة القوانين والقيود. فلكي

يغير مواطن موزامبيقي مسكنه، عليه ان يحصل على بضعة عشر تصريحاً. واذا اراد صاحب مصنع توظيف خراط، فانه يحتاج الى ترخيصات من خمسة مستويات في لجان العمل. ونتيجة لذلك، يظل الاقتصاد، في افضل احواله، راكداً، ويعوقه ان ماشيل يصرف ٢٩ في المئة من موازنته لتحويل جيشه البدائي المكون من ٢٠ ألف رجل الى قوة ضاربة تستطيع رد اعتداءات روديسيا المجاورة.

الا ان الحياة في موزامبيق اليوم افضل على الاغلب، بالنسبة الى المواطن العادي، مما كانت وقت الاحتلال البرتغالي. فاليوم يبلغ متوسط اجر العامل في الصناعة ١٠٠ دولار شهرياً، اي اربعة اضعاف اجره في الماضي. وتعتبر المساكن في موزامبيق من ارخص مساكن افريقيا السوداء وافضلها حالا. وقد زاد عدد طلاب المدارس ثلاثة اضعاف، وبنيت المستشفيات في مقاطعات البلاد العشر، كما تم تلقيح جميع السكان ضد الكوليرا والجدري، وانتقل ١٥ في المئة من السكان الى قرى جماعية.

وترجع قدرة ماشيل على تحمل كلفة القيام بالتجارب الاجتماعية، في جانبها الاكبر، الى انه لم يواجه حتى الآن معارضة ذات وزن. فما زالت الفريليمو حزباً طليعياً محكم البنيان، صارماً لا يقبل المساومة. والذين لا يشاطرون ماشيل نظرته جزاؤهم العقاب السريع الحاسم. وقد قال ماشيل بصراحة قبل وقت غير بعيد: "اننا لا نستطيع انقاذ ثورة عن طريق توزيع الحلوى". كما ان هناك مراكز "اصلاحية" اعدت على نمط مثيلتها في فيتنام.

واذا كان ماشيل قاسياً مع المعارضة، الا انه يتحلى بنزعة عملية قصوى في ما يخص العلاقات الاقتصادية. ويكفي ان ننعم النظر في العلاقات الوثيقة الملفتة التي تربط موزامبيق الماركسية وجنوب افريقيا، جارتها التي تمارس التمييز العنصري. وليس في افريقيا كلها بلدان آخران كهذين، يمثل كل منهما قطباً ايديولوجياً وسياسياً مضاداً للآخر وفي الوقت نفسه يعتمد احدهما اقتصادياً على الآخر الى هذا الحد. فمن جنوب افريقيا يحصل ماشيل على ٦٠ في المئة من عملات موزامبيق الاجنبية و٤٥ في المئة من انتاجها القومي القائم، في حين تحصل جنوب افريقيا سنوياً على طاقة كهربائية تعادل قيمتها ٢٥ مليون دولار من مولدات الكهرباء في سد كابورا باسا في موزامبيق.

ويعتبر اعتماد كل من الدولتين على الاخرى من قبيل تقديم الخط الواقعي على الخطوط الايديولوجية المثالية في السياسة. وقد شجعت موسكو هذه الخطة، ونصحت ماشيل بألا يقطع صلاته بجنوب افريقيا لانها، اي موسكو، لا تريد ان تتحمل عنه ما يترتب على ذلك.

أهلا بالمساعدة ــ ولعل صلة موزامبيق بجنوب افريقيا هي افصح دليل على استعداد موزامبيق لالتماس معونة اي طرف يستطيع المساهمة في تنمية البلاد. كما ان علاقات موزامبيق الاقتصادية مع العالم غير الشيوعي هي اكثر اهمية من علاقاتها مع

المعسكر الشيوعي. فعلى سبيل المثال، تشتري الولايات المتحدة وجنوب افريقيا واوروبا الغربية اكثر من ٧٠ في المئة من صادرات موزامبيق، في حين يشتري الاتحاد السوفييتي ٤ في المئة فقط.

ولا سبيل الى انكار حقيقة كون موزامبيق تريد، بل تحتاج، كسب جانب الغرب. لكن الحكومات في واشنطن وبعض العواصم الاوروبية لا تشجعها صورة موزامبيق المتطرفة. ولا يقوم، في نظر كثير من الغربيين، سبب يدعوهم الى التعاون مع حكومة مؤلفة من ثوريين متعصبين تستخدم لغة الماركسية وتحكم من خلال بيروقراطية الحزب الواحد. وينبغي، في نظرهم، ترك موزامبيق وحدها حتى يطلب ماشيل معونة الغرب او حتى يخفق ويغرق معه اقتصاد البلاد. الا ان هذه السياسة تدفع ماشيل قدماً في اتجاه المعسكر الاشتراكي. فهو يحتاج فعلا الى المعونة، واذا لم يجدها في الغرب فانه لا شك متوجه الى المعسكر الاشتراكي.

ويعتقد بعض المراقبين الغربيين ان في الامكان اقامة علاقات اقتصادية جيدة مع موزامبيق، وان المعونة الغربية يمكن ان تكون بديلا من المعونة الشرقية. كما يلاحظون ان المساعدة العسكرية من الكتلة السوفييتية، التي قد توفر نوعاً من الأمن الموقت، لا تقدم سوى القليل من اجل زيادة قدرة موزامبيق في الاعتماد على نفسها اقتصادياً، الامر الذي لا يستقيم بدونه استقلال حقيقي. وقد بدأ عدد متزايد من الدول الافريقية التي كانت تتبع سياسات متطرفة في السابق يتحقق من ان الغرب وحده هو الذي يمكن ان يوفر الخبرة التقنية ورأس المال الذي تحتاج اليه من اجل التنمية.

ولكن لكي تتبنى الحكومات الغربية النهج الاخير، عليها اولا التغلب على نفورها من كل ما يحمل لافتة ماركسية، والتسليم بان الحماسة المتطرفة التي تتميز بها البلدان الافريقية الحديثة الاستقلال لا تزيد، معظم الاحيان، على كونها تعبيراً قوياً عن النزعات القومية والواقعية. انها معضلة ستظل تواجه الغرب في عدد آخر من بلدان العالم الثالث، مثل انغولا. ولذلك، فان قرار الغرب في موزامبيق لن يحدد مستقبل هذه الامة فقط، بل سيحدد كذلك مصير عدد كبير من دول جنوب القارة السوداء.

■ ديفيد لامب



مكتب التوظيف الزوجي

الزوج: لقد وجدت وظيفة ممتازة ـ راتب جيد، تأمين مجاني ضد الحوادث، تأمين صحي مجاني، اجازات مدفوعة الاجر، وفترات استراحة لتناول القهوة.

الزوجة: هذا رائع يا حبيبي.

الزوج: كنت اعرف ان هذا يسعدك. وستبدئين العمل صباح الاثنين.

م. هـ. و.

٨ طرق لجعل حياتك أكثر سعادة

الحلول لكثير من مشاكلنا الشخصية المحيرة غالباً ما يمكن العثور عليها باللجوء الى نوع من العمليات الحسابية الخلاقة

كنت واحدى صديقاتي القدامى نتناول أخيراً وجبة الغداء، فأخذنا نتحدث عن الحياة. أقرت لي صديقتي بأنها تشعر بالوحدة منذ وفاة زوجها. واضافت: "ومع ذلك لا اشكو ضيراً. فقد نعمت بزواج سعيد واصبح الاولاد مسؤولين عن أنفسهم. صحيح ان عملي ليس مثيراً، لكنه مضمون. وسوف اتقاعد في غضون خمسة عشر عاماً. فماذا يبقى هناك؟".

ماذا يبقى هناك؟

ان امرأة في الخمسين من عمرها، قديرة ومجربة وجذابة مثل صديقتي، تفترض ان حياتها انتهت. لقد صادفت ذلك في عدد من الاشخاص الذين يقلون عن صديقتي تلك سناً، وقرأت في ملامحهم الاعتقاد بأن التغيير في نمط حياتهم أمر مستحيل. لكن المشكلة هي ان معظمنا لا يدرك انه في الامكان تحسين نوعية حياتنا في اي مرحلة.

علينا ان نبدأ التغيير بأنفسنا، وذلك بان نضطلع بعمل جديد او ننتقل الى منطقة سكنية اخرى. عندئذ

نشعر بأننا ندفع انفسنا بعنفوان واثارة في مسيرة الحياة. وهذه العملية أشبه بتشذيب شجرة معمرة، تكون نتيجته نمواً جديداً وزيادة في الثمار.

اعرف ارملة باعت بيتها واشترت بيتاً متنقلا على عجلات (كارافان) لتذرع به البلاد طولا وعرضاً بغية عرض اشغالها الفضية في معارض المصنوعات اليدوية. وبذلك استطاعت ان تنشىء كثيراً من الصداقات اينما حلت. وهي تمضي فصول الشتاء في الجنوب وفصول الصيف في الشمال، ويبدو عليها انها صغرت عشر سنين. وهي تقول: "هناك الكثير مما لم أره بعد، ولكن لم يفتني الوقت لمشاهدة المزيد من المعالم".

غالباً ما لا يكون الوقت قد فاتك لتفعل ما كنت دائماً تشتهي فعله. المهم هو التحرك الى الامام لاحداث التغييرات المرغوب فيها في نمط حياتك. والسبيل الذي سلكه الكثيرون من معارفي لتحقيق مقدار اعظم من السعادة يمكن ان نعتبره نوعاً من العمليات الحسابية الخلاقة، بما فيها من جمع وطرح وضرب وقسمة. والاحتمالات واردة بأن تخدمك مثل هذه العمليات

١. اضف الى حياتك تجربتك لشيء جديد.

هل تتذكر يومك الاول في المدرسة؟ ان ترددك على المدرسة لا بد من أن يكون اجبرك على الاختلاط والانطلاق والاكتشاف. في الشتاء الماضي قررت ان آخذ دورة تعليمية في اعمال السمكرة. وكمعظم البنات اللواتي في عمري، فقد نشأت على عدم معرفة التعامل بالادوات الميكانيكية. ولكن سرعان ما اكتشفت اني اصبحت مأخوذة بالملزمات ومفاتيح المعدات التي صرت اعرف كيف استعملها.

عندما افكر في صديقاتي الاحظ ان أسعدهن واكثرهن حيوية هن اولئك اللواتي يسعين دائماً الى تنمية مواهبهن وزيادة اهتمامهن وحبهن للمعرفة. الشيء نفسه ينطبق على اصدقائي من الجنس الاخر.

لدي صديق التحق بالكلية سنة احالته على التقاعد. لدي أيضاً صديق شاب يعمل في حقل التدريس، امضى عطلة صيفية كاملة في رحلة للبحث عن اقاربه في مقاطعة نوفاسكوتيا الكندية. وقد عقد العزم على ان يقوم في السنة المقبلة بزيارة اقربائه الايرلنديين الذين اكتشفهم نتيجة لتلك الرحلة الصيفية.

٢. انك تستطيع اضافة جديد الى حياتك، وذلك بتحويل الحدود التي تراها محيطة بك الى تحديات تجدر الاستجابة لها بدلا من الخنوع.

المهم ان تكافح ضد العقبات التي تعترضك وأن تحولها لمصلحتك. عندما ادى احد حوادث العمل الى تقييد الشاب مارتن الى كرسي متنقل كالذي يستعمله المقعدون، طغى عليه شعور باليأس وبأنه لم تعد له اي فائدة. وسألت يوماً اذا كنت استطيع اعطاء رقم هاتفه الى معلمة ابنتي، كي ينوب عنها في الاتصال بي اذا واجهت ظرفاً اضطرارياً تعذر معه اتصالها المباشر. وسرعان ما صار مارتن يؤدي خدمات مماثلة لغيري من الامهات العاملات. وذاع الخبر فاصبح

هذا الشاب اليوم يدير مكتباً لمثل هذه الخدمات. والدخل الذي يحصل عليه من هذا العمل يساعده على مواجهة مصروفاته الاضافية التي لا يغطيها معاش العجز الذي يحصل عليه. ويعلق مارتن بالآتي: "الاهم من ذلك اني افعل شيئاً ما، وان هذا الشيء يمس حياة الآخرين".

٣. احذف من حياتك الممتلكات التي تشعر بانها صارت عبئاً عليك، ودع جانباً النشاطات التي لم تعد تتمتع بها.

عندما كنت صغيرة كنت معجبة بالاواني الزجاجية التي حصلت عليها والدتي يوم عرسها. وكانت تلك الاواني محفوظة في خزانة على سبيل العرض، ولم تكن تمس الا عند تنظيفها. وقالت لي والدتي: "ستصبح هذه الاواني يوماً ما ملكاً لك". وخلال السنوات الاولى من زواجي، عندما كنت اتوق الى تكريم الضيوف الذين ادعوهم الى بيتي، بقيت تلك الاواني الجميلة مصفوفة في مكانها في الخزانة. وعندما آلت الي اخيراً في السنة الماضية ادركت اني، في هذه المرحلة من حياتي، لم اعد في حاجة الى المقتنيات التي تتطلب عناية خاصة. وهكذا اعطيت تلك الاواني الى بناتي اللواتي سررن بها. اما انا فقد شعرت بارتياح لتخلصي منها!

عندما رويت هذه القصة لأحد جيراني، قال لي: "لقد اعطيتني الآن فكرة". وفي اليوم التالي تناول معوله وأخذ ينقب تراب حديقته الامامية الغناء. لم اصدق عيني، وسألته مستغربة: "أتفعل ذلك بعد كل الجهد الذي بذلته في هذه الحديقة؟" فأجاب: "تلك هي عين المسألة. كفاني تسميد الحديقة كل ربيع، وكفاني سقيها وتشذيبها كل صيف واعادة غرس البذور فيها كل خريف. ان هذه الحديقة تكلفني مئات الساعات سنوياً. ومن يحتاج اليها؟" اما اليوم فلم يعد ينبت في حديقته الامامية سوى نبات الآس الاخضر الذي تتفتح ازهاره في الربيع ولا يحتاج الا الى قليل من العناية، مما يتيح له الوقت الكافي لفعل الاشياء التي يتمتع بها حقاً.

٤. وسع نطاق اتصالك بالآخرين.

لقد شعرت بأن قيمة حياتي ازدادت عندما بدأت احاول التعرف على اناس يختلف اسلوب حياتهم عن اسلوبي، بل تختلف نظرتهم الى الحياة عن نظرتي. ومن الامثلة على ذلك الصداقات التي انشأتها مع بعض اولاد اصدقائي، ففتحت امامي باب التعرف على الموسيقى والشعر وبعض الافكار الاخرى التي، لولا هؤلاء، لما اتيح لي فهمها وتذوقها.

اعرف امرأة "تتبنى" أجداداً وجدات عن طريق العمل الطوعي. لكن ذلك يتم لها احياناً عبر الاتصال المباشر. وقد أخبرتني الآتي: "التقيت هاري في السوبر ماركت، وكان يحاول جاهداً قراءة الاسعار. فعرضت عليه المساعدة، وما لبثت ان اخذته بسيارتي الى بيته. فدعاني الى تناول الشاي وصرنا الآن نتسوق معاً. ووجدت ان اولادي يحبون الاستماع الى قصص هاري. اما هاري فيظن اننا نؤدي له الكثير من الخدمات، من غير أن يدري انه يعطي عائلتنا شيئاً لا يقدر بثمن، الا وهو الاحساس بالماضي.

٥٠ عزز اتصالاتك بمحيطك موثقاً اياها٠

قال لي أحدهم:"لقد كانت زوجتي الطرف الاجتماعي في زواجنا٠ وبعد وفاتها شعرت بالوحدة الشديدة، الى ان خطر لي ان مشكلتي ليست في وجود الناس حولي ـ وانا ألتقي كثيراً منهم يومياً ـ بل في اني لا أتحدث معهم"٠ ومرة تحدث الى مدير احد المخازن عن صيد السمك النهري، فوجد أنه يشاركه الهواية نفسها ومنذ ذلك الحين والرجلان يذهبان الى صيد السمك النهري كلما سنحت لهما الفرصة٠

٦٠ قسم مسؤولياتك وحدات صغيرة يسهل تدبرها، وأوكل بعض هذه الوحدات الى الآخرين٠

ان التمتع بالعيش الرغيد ناتج جزئياً عن اتخاذ القرارات الحكيمة٠ اذا كنت تريد المزيد من الوقت أو المزيد من الحرية او المساعدة، فعليك ان تسلم بان بعض الامور لن يسير كما تشتهي نفسك٠ ومثال ذلك انه في امكانك توزيع الواجبات المنزلية على جميع افراد العائلة، حتى وإن كان ذلك يعني الحصول على مستوى ادنى من الطهو والتنظيف٠

لدي صديقة عادت الى عملها في سن الكهولة، فتوزعت خدمات المنزل مع زوجها بحيث كان كل منهما يتولى المسؤولية الكاملة للتسوق واعداد وجبات الطعام والغسل طوال شهر كامل٠ وعندما سألتها عن سير الامور اجابت ضاحكة:"ان طهوه يراوح بين "عديم المذاق" و"رديء"٠ لكني، مع ذلك، لا ابالي، لأن الشهر الذي يتولى فيه زوجي مهمات البيت يمنحني شعوراً بحرية لا توصف"٠

٧٠ حاول تفكيك المشاكل التي تبدو صعبة الى وحدات صغيرة تمكن معالجة كل منها على حدة٠

اذكر صديقة تركت الكلية، على رغم اعتراض والديها، لتتزوج بموسيقي٠ وبعد سنتين وولدين اختفى زوجها من حياتها تاركاً لها جبلا من الفواتير غير المدفوعة٠ قالت لي:"كنت اتمدد على فراشي في الصباح واحس بأني غير قادرة على مواجهة يومي"٠ وبدأت تكتسب القوة عندما اخذت تضع برنامجاً بالاولويات لمعالجتها بمعزل عن بقية المشاكل المتراكمة٠ واقتنعت بأن افضل امل لها يكمن في اتمام دراستها٠ وانطلقت تعمل على هذا الاساس٠ وهي تقول: "بدأت ببيع السيارة لاستفيد من ثمنها٠ وسعيت الى الحصول على قرض تعليمي٠ ثم تقدمت بطلب للالتحاق بالجامعة٠ وبعد ذلك بحثت عن شقة سكنية في ضاحية آمنة وفتشت عن مركز جيد لرعاية الاطفال خلال النهار٠ وكتبت الى والدي واتصلت بالدائنين لاسدد الديون شيئاً فشيئاً"٠ تلك هي السياسة التي اتبعتها صديقتي٠ وعندما اتصلت بوالديها اللذين قطعا كل صلة بها اثر زواجها، ابديا اعجابهما بالخطة التي اتبعتها للوقوف على قدميها من جديد٠

٨٠ ارتفع بالجهد الذي تبذله الى مستوى القوة٠

كنت استغرب لماذا يكرر المعلنون على شاشة التلفزيون الاعلان نفسه مرات عدة٠ ولكن ثبت لي ان للتكرار قوة خاصة٠ وفي مجال العلاقات بين الناس، يؤدي تكثيف الجهود الى مكاسب مهمة، كما حدث مع صديق

لي يعيش بعيداً عن بيت الشيخوخة الذي تنزل فيه والدته. ومع انه كان يرسل اليها بانتظام رسائل طويلة، فهي كانت دائمة الشكوى كلما حدثها على الهاتف. وكانت تبدأ الحديث معه بقولها: "كنت اشك في ما اذا كان لدي ولد". فيرد عليها بأنه كتب إليها مطولا، بينما تصر هي على انها لم تستلم منه كلمة واحدة منذ اسابيع. وهكذا توقف عن كتابة الرسائل اليها بين الحين والآخر، مستنتجاً أن والدته لم تعرها الاهتمام الكافي. وبدلا من ذلك أصبح يرسل إليها تحيات يومية ومقتضبة في مذكرة قصيرة او بطاقة بريدية او صورة يكتب على ظهرها عبارة "اني افكر فيك". ولا يفوته يوم واحد من دون ان يرسل اليها شيئاً من هذا القبيل. وهذا أحدث تغييراً مدهشاً في موقف والدته.

السعادة شأن فردي. وكذلك الطريق اليها. واذا كنت تنشد مستوى افضل من الحياة، فلن تلجأ بالطبع الى جميع الطرق التي سبق ذكرها. أما اذا كانت مشكلتك تتمثل في الانطواء او الملل او الوحدة، فلا بد من ان تفيد من اللجوء الى وسائل الاضافة او المضاعفة المشار إليها. واما اذا كانت ايامك حافلة بالمشاكل، فربما احتجت الى الطرح او القسمة. واهم ما في الأمر هو انك، اذا لم تكن راضياً، الآن، فعليك ان تتحرك فوراً.

■ فريديل مينارد



الحرية النسبية

من اكبر القضايا لدى انصار تحرير المرأة هذه الايام ان النساء يردن الخروج من المطبخ. ولو كانت امي حية لما وافقت على ذلك ابداً. فقد كان في اسرتنا ١٢ طفلا، وكانت فكرة امي عن التحرر هي ان تدخل المطبخ وان تخرج من غرفة النوم.

الممثل الهزلي جورج بيرنز

الشاري المثالي

ذهب رجل لرؤية منزل معروض للبيع بقصد شرائه. فاستقبله صاحب المنزل، وهو رجل مهذب لبق، واخذ يريه انحاء المنزل. وعندما دخلا احدى الغرف، رأيا على الاريكة رجلا وامرأة. فقال صاحب المنزل: "اوه. تلك زوجتي وذلك صديقي العزيز". فغمغم الراغب في الشراء بتحية خاطفة وغادر الغرفة. لكن المالك لم يبد عليه اي اضطراب.

وبعد انتهاء جولتهما، دعا المالك الراغب في الشراء الى المطبخ لتناول قدح من القهوة. وبينما هو يملأ القدحين، لم يتمالك الزائر نفسه من السؤال: "وماذا عن زوجتك وصديقك؟"

فرد المالك: "فليأخذهما الشيطان. اذا كانا يريدان بعض القهوة فليصنعاه هما".

ف. ش.

الاختيار النووي شر لا بد منه ؟

هل تتكشف الطاقة النووية عن ذلك المارد المشؤوم الخارج من القمقم ؟

لم يجد العالم الصناعي بديلا من النفط، حتى الآن، غير الطاقة النووية التي يواجه اعتمادها صعوبات جمة ومعارضة شعبية قوية.

وكانت ١٩٧٩ سنة سيئة بالنسبة الى هذه الطاقة سواء أفي الولايات المتحدة او فيأوروبا. وفي ألمانيا الغربية جمدت مشاريع نووية جديدة بموجب أحكام قضائية، كما عمدت الحكومة الاسوجية الى الاجراءات نفسها. وفي النمسا فرض حظر تام على النشاطات النووية بعد استفتاء شعبي أجري في العام ١٩٧٨.

واثار الولايات المتحدة ذلك الحادث المشؤوم فيالمركز النووي في "ثري مايل آيلاند" وانقلب الرأي العام ضد مشاريع الطاقة النووية فيالوقت الذي يواجه العالم أزمة طاقة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

ورغبة في تقدير الدلائل على ما يمكن حدوثه في العام ١٩٨٠ اجرى دون كوك، من الـ"ريدرز دايجست" مقابلة مع الدكتور سيغفرد ايكلند، وهو عالم أسوجي من كبار الخبراء في الطاقة النووية. ويشغل ايكلند منصب المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومقرها مدينة فيينا عاصمة النمسا، وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة تهدف الى تعزيز الاستخدام السلمي للطاقة النووية وتكشف على نشاطات المنشآت النووية كاجراء لمنع استخدام الوقود النووي لاغراض عسكرية.

س. دكتور ايكلند، هل يشهد العالم حالياً نزعة الى مناهضة الطاقة النووية؟

ج. أشك في ذلك. وعلينا هنا أن نسأل أنفسنا عن طبيعة الاختيارات التي أمامنا. فأسعار النفط ستبقى في تزايد مستمر بينما تتضاءل الكميات المتوافرة منه. كما أن استثمار حقول جديدة من الفحم الحجري يتطلب تكاليف هائلة ووقتاً طويلا، حتى وان تم ذلك فان عواقب خطيرة ستواجه البيئة الى جانب كلفة النقل الباهظة من مراكز الاحتياط الرئيسية فيأوستراليا وسواها.

وهكذا فلا بد منالعودة الى الطاقة النووية. ومن الممكن طبعاً لجماعات ترغبفي حياة أكثر بساطةأن تنجح

فيتجميد البرامج النووية. غير أن لدي قناعة بأنالناس ما ان يواجهوا نقصاً حقيقياً في البنزين وزيت الوقود والطاقة الكهربائية حتى يصبحوا أكثر تقبلا للطاقة النووية.

س. ولكن اليس هناك ما يبرر القلق حول سلامة المفاعلات النووية بعد حادث "ثري مايل آيلاند"؟

ج. لا شك في أن هناك قلقاً جدياً. لكن الحقيقة تبقى أنه خلال أكثر من ٣٠ عاماً من العمل في الحقل النووي لم يسجل حادث وفاة أو تضرر خطير بسبب التعرض للاشعاع، كما لم يحدث أي تسرب للاشعاعات من المنشآت النووية. إن ما حدث في "ثري مايل آيلند" هو أسوأ ما واجهنا، لكن الجهاز استمر في العمل ونجحنا في السيطرة التامة على الاشعاع.

س. نعم، لقد استمر الجهاز فعلا فيالعمل. ولكن هل استطاع العمال الاستمرار؟ إن اللجنة التي شكلها الرئيس كارتر للتحقيق في الحادث حملت السلطات مسؤولية التقصير في التقدير الفوري لطبيعة الانفجار ومدى أضراره، كما اتهمت الشركة المسؤولة عن تشغيل المفاعل النووي بانه لم يكن لديها خبراء وفنيون كافون. ألا يعني ذلك أن التكنولوجيا النووية هي من التعقيد والخطورة بحيث لا يمكن للانسان أن يوجهها كما يريد؟

ج. كلا، ليس ذلك صحيحاً. وأحد استنتاجات لجنة التحقيق هو أنتطوير الطاقةالنووية ليس خطراً الى حد يتوجب معه ايقافه. إن احتمال الخطأ البشري وارد دائماً، الآن ما صادفته التكنولوجيات الحديثة المعقدة، كالمركبات الفضائية والطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، يظهر بوضوح أن في الامكان دائماً تصحيح الاخطاء ومواجهة الطوارىء والمفاجآت. ولا شك فيأن المفاعلات النووية تتطلب طواقم من الخبراء الكاملي التدريب، لكن بعض الدول تجاوزت ذلك الى استخدام أجهزة سلامة أوتوماتيكية تعمل في معزل عن التحكم البشري خلال المرحلة الحاسمة من أي طارىء. والى ذلك يواصل الخبراء في انحاء العالم تعزيز خطط السلامة كلما اقتضت الحاجة. وتشكل الوكالة الدولية للطاقة النووية "فرقةاطفاء نووية" خاصة تضم خبراء مستنفرين لتقديم الارشادات والتعليمات الفورية اللازمة في حال حدوث أي طارىء، فيالبلدان غير المتطورة صناعياً.

س. ولكن ألا تظن أن خوف الناس من الطاقة النووية سيكون منالصعب تبديده؟

ج. هذا صحيح. الا أن أعداداً متزايدةمنالناس باتوا يعرفون الاسس التي تقوم عليها المفاعلات النووية ويلمون بالتدابير الوقائية التي تتطلبها. وهم بدأوا يعتادون، وان ببطء، المقارنة بين المجازفات التي تنطوي عليها الابتكارات التكنولوجية المختلفة. فهم يقارنون مثلا حوادث التفاعلات النووية بكوارث الطيران وأخطار العمل في مناجم الفحم ومآسي الحرائق.

إن الرعب الذي يتملك الناس ازاء الطاقة النووية سيتحول، مع الوقت، الى مجرد قلق عادي.

س. لنفترض أن مخاوف الناس تقلصت الى حدود القلق العادي الذي ذكرته، فما هو إذاً مستقبل الطاقة النووية في المدى القريب؟ وكم سيكون عدد المنشآت النووية في العالم في بداية ١٩٨٠، وفي نهاية هذا القرن؟

ج. في بداية ١٩٨٠ سيبلغ عدد المنشآت النووية نحو ٣٠٠ موزعة على ٢٥ دولة. سوف تستمد الولايات المتحدة وأوروبا بين ١٠ و١٢ فيالمئة من طاقتها من مصادر نووية، بينما لن تحصل الدول النامية مجتمعة الا على ١،٥ فيالمئة. أما في نهاية القرن العشرين فتبين تقديراتنا أن المحطات النووية سوف توفر بين ١٤ و١٨ في المئة من حاجة العالم الى الطاقة الكهربائية،وذلك يعادل استهلاك ١،٧ مليار طن من النفط، اي اكثر من نصف الانتاج العالمي سنوياً. وقد تصل نسبة الكهرباء المستمدة من الطاقة النووية الى ٣٥ فيالمئة لدى البلدان الصناعية.

س. في ضوء هذه المعطيات، ما هي الدولة الغربية التي تحقق اكبر مقدار من الفعالية في برنامجها النووي؟

ج. انها فرنسا ولا شك. لقد اعتمد الفرنسيون خطة منظمة ترمي الى الاتكال على النفط مع البقاء في الطليعة من حيث التكنولوجيا النووية. وجدير بالذكر أن الفرنسيين أعلنوا، عقب حادث "ثري مايل آيلاند"، أنهم سيواصلون تنفيذ خطتهم النووية حتى يصبح في امكانهم، عام ١٩٨٥، استمداد ٥٥ في المئة من حاجتهم الكهربائية من الطاقة النووية. وتتبع بلدان اوروبية أخرى، وخصوصاً بريطانيا والمانيا الغربية، خطة عقلانية في الحقل النووي. وتستمد بلجيكا وأسوج وسويسرا، حالياً،نحو ٢٥ فيالمئة من حاجتها الكهربائية من مصادر نووية. وقد قصرت ايطاليا زمنياً عن تنفيذ خطتها بينما لاتزال اسبانيا منطلقة في برنامجها بعزم وثبات.

س. وماذا عن أوروبا الشرقية؟

ج. من الصعب تحديد الموقف الشعبي من البرامج النووية في تلك المنطقة، الا أن الاتجاه الرسمي يميل بقوة الى الاعتماد على الطاقة النووية. فالطاقة النووية التي يملكها الاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الشرقية مجتمعة تقدر بنحو ١٠،٢٣٠ ميغاواط، أي خمس ما تملكه الولايات المتحدة، ومن شأن المحطات الجديدة التي تنشأ حالياً مضاعفة هذه الطاقة. وسوف يشهد العام ١٩٨٠ توافر ٦٠ محطة نووية في الاتحاد السوفييتي و٤٠ محطة أخرى في اوروبا الشرقية.

س. ماذا سيكون دور الطاقة النووية في البلدان النامية؟

ج. لن تشكل الطاقة النووية، للأسف، العلاج الناجح لجميع المشاكل كما يظن البعض. فهي تتطلب، أولا، رأس مال هائلا. ثم ان بعض الدول النامية لا تملك، حتى الآن، التجهيزات التكنولوجية اللازمة لصيانة المفاعلات النووية، من جهة، ولتوفير عوامل السلامة الضرورية. فحادث "ثريمايل ايلاند" أرهق الولايات المتحدة نفسها. إن الاثر الحقيقي للطاقة النووية على البلدان

النامية سيكون، في رأيي، توافر النفط لديها في الوقت الذي يسير العالم الصناعي حثيثاً نحو اعتماد الطاقة النووية. فكلما تحقق انتاج ألف ميغاواط من الطاقة النووية في بلد صناعي تم تحرير أكثر من مليون طن من النفط يمكن استغلالها في مكان آخر.

س. نحن نتكلم عن التكاليف الهائلة بالنسبة الى البلدان النامية، ولكن ماذا عن البلدان الصناعية؟ إن انتاج الطاقة النووية يوجب اتخاذ تدابير وقائية وابتكار أساليب فعالة للتخلص من النفايات النووية الخطرة، وربما حدث تأخر في تنفيذ الخطط. أليس من شأن ذلك أن يجعل من الطاقة النووية اختياراً باهظ الثمن؟

ج. إن التكاليف تختلف من بلد الى آخر، بل من منطقة الى اخرى. وكلفة بناء محطة نووية تزيد على كلفة بناء محطة عادية تستهلك الطاقة الفحمية بما يراوح بين ٢٠ و٥٠ في المئة. ولكن اذا قارنا القيمة الانتاجية لوجدنا أن الطاقة التي تنتجها كمية معينة من الوقود النووي تفوق بنحو ٥٠ ألف مرة ما تنتجه الكمية نفسها من الفحم. إن حمولة شاحنة من الاورانيوم تزود مفاعلا ذا قوة ١٠٠٠ ميغاواط بالطاقة مدة سنة، بينما يستهلك مصنع ذو قوة مماثلة حمولة ١٠٠ شاحنة من الفحم كل يومين. وهكذا، فعلى رغم ثمن الاورانيوم المرتفع إلا أن المحطة النووية تنتج طاقة بكلفة تقل عن نصف كلفة الفحم الضروري. وفي الوقت الذي تلقى كلفة الوقود النووي اهتماماً ضئيلا في الولايات المتحدة، حيث تتوافر مصادر أخرى لانتاج الطاقة، فانها تستقطب اهتماماً بالغاً في أوروبا التى تستورد الوقود على جميع أنواعه.

س. وماذا عن النفايات النووية؟ هل تتوافر، حالياً، طريقة مأمونة للتخلص منها؟

ج. تتوافر حالياً وسائل مضمونة، وقد سبق ان نجحنا في تدبر امر النفايات الحربية والمدنية عبر عشرات السنين. وأكثر تلك الوسائل فعالية هي مزج الفضلات النووية بالزجاج المصهور لتوضع، فور تجمدها، داخل براميل فولاذية تخزن في كهوف عميقة لا تهددها الزلازل ولا هي تصدع الصخور. وفي الامكان تغليف الفضلات الخفيفة والمتوسطة الخطورة بالاسمنت أو القار أو الراتينغ (مادة صمغية) أو الخزف، ودفنها في كهوف بحرية قليلة العمق أو طمرها تحت الارض.

س. ومع ذلك يؤكد العلماء المخلصون والمواطنون الواعون أن تلك الاجراءات غير مضمونة النتائج، وأن الفضلات النووية قد تبقى طوال سنوات مصدر خطر عام.

ج. ذلك قول خاطىء. لقد أثبتت الدراسات في بلدان شرقية وغربية على السواء أن النفايات المطمورة تحت الارض، حيث لا خطر عليها من التحرك، لن تكون مصدر اشعاعات يتعرض لها الناس حتى على المدى البعيد. ولنكن صادقين مع أنفسنا، إن المشاكل الحقيقية التي تولدها المفاعلات النووية ليست فنية بل

سياسية، فهناك جماعات ذات مصالح خاصة تستغل مخاوف الناس لتحقيق أغراضها. فقد مضت عشر سنين، مثلا، على استخدام منجم الملح في آس(المانيا الغربية) لطمر ما يزيد على مئة ألف برميل من النفايات النووية، الا ان المعارضة الشعبية منعت السلطات من مواصلة استغلاله. وهذا الموقف غير منطقي، فبينما يساورنا القلق في شأن النفايات النووية تطوف غواصات نووية المحيطات وتنتشر الزوارق "الصديقة" ذات الرؤوس النووية حولنا.

س. إن ذلك يصل بنا الى نقطة حاسمة: ألا يؤدي اتساع نطاق الاعتماد على الطاقة النووية الى انتشار الاسلحة النووية؟

ج. من الممكن، طبعاً، انتاج قنابل ذرية بواسطة الوقود النووي المعد للمفاعلات التجارية. ومن هنا ولدت فكرة معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية التي وقعتها حتى الآن ١١٠ دول تعهدت بالامتناع عن حيازة قنابل نووية.

إن ٩٨ في المئة من المنشآت النووية في العالم، في ما عدا الدول التي تملك حالياً أسلحة نووية، تخضع لرقابة تضمن عدم استخدام أي مقدار من الوقود النووي المخصص لمحطات انتاج الطاقة او للمفاعلات التجريبية في التسلح النووي.

س. وماذا عن البلدان التي رفضت توقيع المعاهدة؟

ج. هنا تكمن المشكلة. فالهند، مثلا، لم توقعها. كما منعت الوكالة الدولية للطاقة الذرية من معاينة المنشآت النووية حيث يعالج البلوتونيوم الذي استعمل في التفجير النووي عام ١٩٧٤. وليس في وسع الوكالة، كذلك، التحقق مما يحدث في باكستان والبلدان العشرة الاخرى التي هي خارج نطاق المعاهدة والتي تملك منشآت نووية. إن هناك احتمالا قوياً لوجود نشاطات سرية في التسلح النووي، وهدفنا هو الوصول الى الاشراف على هذه المنشآت.

س. ولكن هل نظام الرقابة هذا فعال على نحو كاف؟

ج. إن ملاحقة كل كيلوغرام من الاورانيوم أو كل غرام من البلوتونيوم ليست طريقة عملية ولا حتى ضرورية. وما نعتمده هو ضبط محلي ودولي تدعمه رقابة دائمة بواسطة آلات التصوير واشرطة التلفزيون وتسجيلات الادمغة الالكترونية وغيرها. ويجري مفتشو اللجنة في فيينا، وهم ينتمون الى جنسيات مختلفة، تحقيقات ميدانية سريعة. وخلال نحو عشرين عاماً لم نقع على أي عملية تهدف الى تحويل مواد نووية الى أغراض لم تعد لها اصلا.

س. ما مدى احتمال لجوء جماعة ارهابية الى انتاج قنبلة نووية من مواد مسروقة؟

ج. إن هذا احتمال ضعيف. ففي المنشآت الكبيرة يصل وزن الوقود الضروري الى نصف طن، كما يصعب تفكيكه. ثم ان معالجة وقود المفاعلات التجارية بهدف الحصول على بلوتونيوم صالح للاستعمال في التسلح أمر شاق ويتطلب وقتاً طويلا. ومن المنطقي في هذه الحال أن يعمد الارهابيون الى سرقة قنبلة جاهزة.

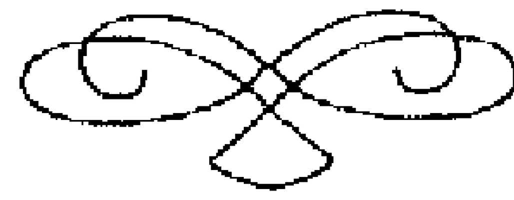
س• وماذا عن المشاكل البيئية التي تطرحها النشاطات النووية، كارتفاع حرارة مياه الانهار مثلا ؟

ج• المسألة، هنا أيضاً، وهم أكثر من كونها حقيقة• فجميع المصانع، سواء أهي اعتمدت الفحم أوالنفط أوالغاز أو الوقود النووي، تنتج حرارة لا فائدة منها• وتخضع المنشآت النووية لأنظمة صارمة• وقد بين تقرير أمريكي، أخيراً، أن بين كل ٥٧٣٨ سمكة نفقت لأسباب مختلفة هناك ٣٠ سمكة فقط قتلتها المياة الساخنة، وسمكة واحدة كانت ضحية محطة نووية• إن السبب الرئيسي لنفق الاسماك هو تلوث المياه بأقذار المجارير•

س• هل هناك في المدى القريب اختيار آخر غير الطاقة النووية يحل محل النفط المتضائل ؟

ج• كلا، ليس هناك اختيار آخر في رأيي• ان العالم الصناعي يعتمد على النفط والغاز الطبيعي لانتاج ٦٦ في المئة من الطاقة التي يحتاج اليها، وكلا الوقودين في طريقهما الى النضوب• ثم ان تصويراً واسع النطاق للثروة الفحمية يتطلب نفقات هائلة الى جانب المشاكل البيئية التي يطرحها•

ان الطاقتين الشمسية والجيو ـ حرارية والطاقات الاخرى المستمدة من الرياح لن تساهم إلا بمقدار ثانوي خلال السنين العشر أو السنوات العشرين المقبلة• ولذلك فان الطاقة النووية تتجاوز كونها اختياراً لتصبح ضرورة ملحة في المجتمع الصناعي المطرد النمو•



العمل والسعادة

لا شيء يولد السعادة كالاستعاضة عن القلق بالعمل•

موريس ميترلنك

مات مدفوناً

اعتاد رجل ان يخترق المدافن ليلا لدى عودته الى بيته• وذات ليلة لم ينتبه الى قبر جديد محفور في طريقه فسقط فيه• وناضل كثيراً ليخرج، ولكن عبثاً، لان عمق القبر كان يزيد على المترين• فعجز عن الخروج• فاستسلم في النهاية وقبع في ركن من القبر ليقضي ليلته•

وبعد ساعة، كان احد المزارعين عائداً من محاولة لصيد القطط البرية• فاخترق المدافن هو الآخر، ولم يلبث ان سقط في القبر نفسه• وحاول المزارع مستميتاً ان يخرج من القبر من غير ان ينتبه لوجود شخص آخر فيه• وظل الرجل الاول بضع دقائق ينصت الى محاولات المزارع• ثم مد يده نحوه في الظلام الحالك ووضعها على كتفه وهو يقول: "لن تستطيع الخروج من هنا "•

لكن المزارع كان قد اصبح في عداد الموتى قبل ان يكمل الرجل جملته•

ك• ب•

عندما تصبح
على قاب قوسين
او أدنى من الموت،
فلا بد
من أن تتعلق بالحياة



... وفي اليوم الرابع خرج من تحت الأنقاض

مأساة واقعية

كان فندق كونور بطوابقه الثمانية احد المعالم البارزة في قلب مدينة جوبلين في ولاية ميسوري الامريكية. وظل كذلك طوال ٧٠ عاماً. وها هو فريق العمال يستعد الآن لهدمه تمهيداً لانشاء مكتبة عامة مكانه، ولم يبق عليه سوى نقل بعض المعدات وفتح بعض الثغرات في عدد من الجسور الفولاذية لحشوها بأصابع الديناميت ونسف البناء.

وبعيد الساعةالتاسعة من صباح السبت في ١١ نوفمبر (تشرين

الثاني) ١٩٧٨ اطفأ آل سمرز (٣١ سنة) مشعل اللحام الذي كان يحمله، بعد ان فرغ من فتح ثغرة في عارضة حديد في القسم الشمالي الشرقي من قبو الفندق، وهم بالانتقال الى عارضة اخرى. وفجأة سمع قعقعة فوقه كادت ان تصم اذنيه. فحول نظره الى اعلى ليرى سقف القبو يتأرجح ثم ينهار كسد متفجر. وسرعان ما تراكمت حوله اكوام الاسمنت والفولاذ والاجر والجص، محدثة أصواتاً رهيبة.

وفي اقل من لمح البصر انتهى كل شيء. ثم ساد سكون كأنه سكون الموت، وخيم على القبو ظلام دامس. وظن سمرز ان الطابق الارضي قد انهار ولن تلبث بقية الطوابق ان تتبعه في اي لحظة، وقال في نفسه: "علي ان اخرج من هنا".

وما ان استطاع سمرز تحرير نفسه من الانقاض التي سمرته في مكانه لفترة قصيرة حتى وجد انه محتجز في فراغ هرمي الشكل، يقل ارتفاعه عن متر واحد، تكون باستقرار لوحين من الاسمنت على جسر ملتو من الفولاذ.

وشعر سمرز بألم في الجانب الايسر من قفصه الصدري، وراح يتحسس الاسمنت محاولا ان يجد بقعة طرية يستطيع ان يحفر عبرها طريقه الى الخارج. ثم صاح: "اغيثوني! اما من احد يسمعني؟" لكن احداً لم يسمع. واخذ سمرز يحدق الى الظلام، وخيل اليه انه ينظر الى وجه الموت.

وفوق سطح الارض لم يبق من فندق كونور سوى كومة من الركام على ارتفاع طابقين. ان ما خشيه سمرز حدث فعلا، اذ انهار المبنى بكامله كبيت من ورق. وارتفعت سحابة ضخمة من الغبار، وترددت اصداء الانهيار الشديد على مسافات بعيدة.

وعندما وصلت قوات الشرطة ووحدات الانقاذ الى مكان الحادث علمت ان عدداً من العمال كانوا داخل الفندق، وظلت طوال ساعة كاملة تمشط موقع الانهيار. وأرسلت من الورشات المجاورة معدات رفع الاثقال على اختلافها وجرارات شق الطرق (البولدوزر) وسيارات الشحن.

أنتم الذين فوق! ـ استيقظ آل سمرز من غفوة قصيرة تحت جبل الحطام. وهدأت دوامة الغبار فاستطاع ان يتنفس ملء رئتيه. لكنه عندما حاول ان يعدل وضعه اجتاحه تيار جارف من الذعر: "يا الهي! لا استطيع تحريك ساقي اليمنى، بل اكاد لا اشعر بوجودها". وشعر بألم رهيب في جنبه الايسر وكأنه يتلظى بالنار. ان شعوره بهذا الالم اضاف الى ذعره احاساً بالعجز. ثم سمع سمرز ضجيج الجرارات فوقه، فاستبشر خيراً وقال: "حسناً. لقد اتوا"، وراح يصرخ: "اغيثوني، انتم الذين فوق!" لكنه لم يتلق أي جواب.

وراح سمرز يتحسس المكان بيديه في الظلمة. فعثر على انبوب معدني أخذ يضرب به جسر الصلب لعله يستلفت الانتباه، ولكن من غير طائل.

وفي هذه الاثناء كانت بات، زوجة سمرز، في منزلها في ضواحي جوبلين. فدخل عليها احد الجيران وفاجأها بقوله: "الم يبلغك خبر فندق كونور؟ لقد انهار".

وهلع قلب بات. فهي تعلم ان زوجها يعمل هناك. وسارعت الى مكان الحادث، فأرهبها الحطام

المتراكم. ولم يكن شيء قد اتضح بعد عن هوية العمال المفقودين. لكن احتمال وجود آل تحت تلك الانقاض الرهيبة جعل ركبتيهما ترتجفان.

وتسمر آل سمرز في زنزانته عندما لاحظ أن ضجيج الآلات الثقيلة قد خف. وتساءل: "ترى هل توقفوا عن الاستكشاف ويئسوا من العثور على الاحياء؟ هل سيتركونني وحدي لاموت هنا؟ ربما ظنوا اني مت فعلاً، وربما لا يدرون اني هنا على الاطلاق". وشعر آل بانقباض شديد في معدته بمجرد ان خطرت في باله تلك الهواجس.

والواقع ان فريق الانقاذ احضر معدات متنقلة لسبر الزلازل تستطيع التقاط الذبذبات المنبعثة من تحت سطح الارض. ولذلك طلب الى المشرفين على جميع المعدات الثقيلة ايقاف المحركات كي يتسنى لفنيي المعدات الزلزالية البالغة الحساسيةالتقاط اي اشارات قد تساعدهم على تحديد مكان العمال المدفونين. لكنهم لم يعثروا على شيء. عندئذ عمد الفنيون الى تركيب مجسات دقيقة على ما ظهر من اطراف العارضات الحديد، واخذوا يضربون عليها املا في تلقي اي اشارة صوتية قد تصدر عن العمال في الجهة الاخرى. كما انزلوا مكبرات صوت في الفراغات التي عثروا عليها وسط الحطام. ومع ذلك لم ينجحوا في الحصول على اي اجابة.

واطمأن آل عندما سمع دوي المعدات فوقه مرة اخرى، وأخذ يعلل نفسه قائلا: "انهم يعملون ببطء لتفادي انهيار بقية المبنى. وربما استغرقت عملية الانقاذ وقتاً طويلا. ولكن ماذا يمنع احد هذه الجرارات الضخمة من المرور فوق جسمي؟ انهم لا يدرون بوجودي هنا ويستطيعون سحقي من دون ان يعلموا".

وفي التاسعة مساء ايقن عمال الانقاذ ان آل سمرز قضى تحت الانقاض. وانتقلت بات سمرز عبر الشارع الى محطة الاوتوبيس حيث كان ابنها تومي، البالغ من العمر ١١ عاماً، ينتظرها مع بعض الانسباء.

حمامة السلام - في ساعةمبكرة من صباح يوم الاحد جمع هارولد سنايدر، رئيس فريق الانقاذ، عماله وقال لهم: "لاحظت وجود انبوب غاز رئيسيتحت الارض، وقد كانت آلاتنا تمر عبره طوال الوقت. فلو اصيب هذا الانبوب بعطب وتسربمنه الغاز، لتسبب ذلك في نسف المدينة بأسرها. لنعمل اذاً علىازالة حطام الطوابق الخمسة لاني متأكد من ان الرجال الذين نبحثعنهم محتجزون بين القبو والطابق الارضي. وعندما نصل الى هناك ينبغيعلينا الاهتمام بازالةالحطام ببطء وروية".

وبدأ رفع الانقاض من دون انقطاع، واتضح اخيراً ان عدد العمال المفقودين فيالفندق ثلاثة: آل سمرز وتوماس اوكس وفريدريك كو. وفي اليوم التالي، بينما كان سنايدر ينظر الى الانقاض، جاء احد رؤساء عماله وقال: "من المستحيل ان يكون احد على قيد الحياة هناك".

وفي تلك اللحظة انطلقت حمامة من احدى زوايا الحطام ثم تبعتها اخرى. وفكر سنايدر انه ربما كان مجثم هاتين الحمامتين في مكان ما من الطوابق العليا قبل انهيار الفندق، فازداد امله وقال في نفسه: "اذا

استطاع الحمام ان يبقى حياً في مثل هذا الوضع، فلماذا لا يستطيع الانسان ذلك؟"·

بعد ظهر ذلك اليوم اخذ العمال يفتحون جيوب التهوئة في الحطام، التي تكفي لابقاء رجل على قيد الحياة، فازدادت بذلك آمال سنايدر·

اما آل سمرز فلم يعد يميز بين ليله ونهاره· وتخدرت ساقه اليمنى تخدراً كاملا، بينما اتقد الجانب الايسر من قفصه الصدري بحرارة لا تحتمل· وشغله الالم الشديد عن جوعه، لكنه لم ينسه عطشه· وشعر بأن لسانه وفمه يتورمان وان شفتيه تشققتا من الظمأ·

وأخذ الضعف يستولي على سمرز، فلم يعد يميز لحظات نومه من لحظات يقظته· وكان يفيق من احلامه ظاناً انه متمدد على فراشه في البيت· وخيل اليه في حلم آخر ان جراراً يكاد يدهسه· وفي كابوس رهيب شعر بأن قوة الانهيار دفعته الى جزء آخر من المبنى، واخذ يهذي: "ماذا دهاني؟ اهكذا يشعر من اصابهم مس جنون؟ ربما كنت احتضر من غير ان اعلم ذلك"·

وفي صباح يوم الاثنين تمت ازالة معظم انقاض الطوابق الخمسة العليا، وراح العمال يتابعون العمل بحذر شديد· وبعد ظهر ذلك اليوم تقدم احد مهندسي البناء، الذي كان يساعد في عملية الانقاذ، من سنايدر وقال له: "اذا لم نعثر سريعاً على احد فقد يفوت الوقت"· فرد عليه سنايدر: "اعلم ذلك، وكل واحد منا يدركه"·

وفي هذه الاثناء كان سمرز يتساءل: "هل ستكون هذه الحفرة قبري؟" واخذت فكرة الموت تراوده فيقاومها بكل قواه ويشجع نفسه قائلا: "انك خرجت من فيتنام حياً، فتستطيع ايضاً ان تخرج من هذا المكان"· وفكر آل في زوجته وابنه وخيل اليه انه يسمعهما، بل يراهما، وهما ينتظرانه في مكان ما عند موقع البناء· ولكن انى لهما ان يعرفا ما اذا كان حياً او ميتاً· وفجأة اجهش آل بالبكاء وهو يتمتم: "يا الهي! لا اريد ان اموت في هذا المكان· انقذني ودعني انضم الى عائلتي مرة اخرى"· واخذ يغالب النعاس ظاناً انه لن يستيقظ اذا اغمض جفنيه مرة اخرى·

عذوبة صوت — قضى العمال بضع ساعات من صباح الثلثاء يفتحون الجيوب الواحد تلو الآخر· وكانوا يطلقون صيحاتهم عبرها، ولكن من غير جدوى· وعند ظهر ذلك اليوم رفع العمال صحيفة كبيرة من الاسمنت كشفت لهم عن فراغ آخر· فتقدم منه هارولد سنايدر بنفسه وصاح: "هاي!" فجاءه الجواب: "هاي!"·

وأمر سنايدر فنيي المعدات بالتوقف فوراً عن العمل، ثم نادى مرة اخرى بصوت مرتفع: "هل من احد هناك؟"

وجاءه الجواب ثانية: "نعم"·

— ما أسمك؟

— آل سمرز·

— هل انت بخير؟

— نعم اني بخير·

وتقدم مايك ماكي، احد اصدقاء سمرز، من سنايدر وقال له: "سأساعدك على الوصول اليه"·

وتجنباً لاي انهيار آخر زحف ماكي وسنايدر بحذر نحو الثغرة فوق سمرز، وبدآ يحفران بأيديهما· فأزالا نحو

نصف متر من حطام الجص والغبار والاجر والخشب المتراكم فوق الاسمنت الذي احتجز سمرز. ومد سنايدر يده عبر ثقب صغير، فاستجمع سمرز قواه لتلامس اصابعه اصابع سنايدر. وكانت الساعة آنذاك الثانية والنصف بعد الظهر. وقد مضى على الحادث اكثر من ثلاثة ايام.

وتحدث ماكي عبر الثقب قائلا: "مرحباً يا آل! هذا مايك يحدثك".

- لم يبد صوتك بهذه العذوبة من قبل.
- كم من الوقت تعتقد انك امضيت هنا؟
- نحو يوم ونصف يوم.
- هل تصدق انك قضيت ثلاثة ايام ونصف يوم؟
- يا له من يوم سبت طويل.

وبعد لحظات اسرع احد عمال الانقاذ الى محطة الاوتوبيس يزف البشرى صائحاً: "لقد عثروا على آل سمرز تحت الانقاض، وهو حي يرزق". فتعالت الهتافات في المحطة، وانطلقت العبرات الحبيسة من مقلتي زوجته وهمست: "الحمد لله!" بينما قفز ابنه فرحاً وهو يردد: "كنت اعلم ذلك. كنت اعلم انه لم يمت".

لكن عملية الانقاذ استمرت ببطء شديد، واخيراً، في السابعة والنصف مساء، اي بعد ٨٢ ساعة ونصف ساعة من انهيار فندق كونور، تم سحب سمرز من زنزانته. وتعالت هتافات آلاف المشاهدين بينما انهمرت دموع بات على وجنتيها وهي تتابع العملية من احدى سيارات الشرطة.

وما ان وصل سمرز الى مستشفى القديس يوحنا حتى اعلن الاطباء انه في حال صحية جيدة، وقد اصيب بكسور في ثلاثة من اضلاعه وكسر بسيط في حوضه ويعاني نقصاً شديداً في الماء.

وبعد يومين امكن العثور على جثتي اوكس وزميله كو اللذين قضيا نحبهما فور وقوع الحادث.

لم يكن هذا النبأ مفاجئاً، الا انه ترك سمرز في حزن شديد. ولم تمض اربعة ايام على دخوله المستشفى حتى سمح له بالعودة الى عائلته واصدقائه.

ويقول سمرز اليوم ان ذكريات تلك الساعات زادت توثيق العلاقات التي تشده الى عائلته. ويضيف: "عندما تصبح على قاب قوسين او ادنى من الموت فلا بد من ان تتعلق بالحياة وتتمسك بالذين تحبهم".

■ لاري وود



نهاية القرن

لقد اصبحت نهاية القرن العشرين على بعد عشرين عاماً منا. والراجح ان معظم الناس الذين بلغوا منتصف العمر اليوم سيكونون احياء ليشهدوها. وهو امر له اهميته. فكما قال لي احد جيراني: "حسناً. ان بقائي حياً حتى ذلك الحين امر مهم، لان ذلك هو الموعد الذي اسدد فيه آخر قسط مستحق من ثمن بيتي".

ا. ك.

عروس الجُزُر

إن انجازات هذا المعماري العصامي تعلم شعوب الأرض كيف تجمع بين التقدم والجمال الطبيعي

قال لي أحد السكان المحليين: "إن جزيرة لانساروتي هي نتاج عمل فنانَين عظيمَين هما الله وسيزار مانريكي".

إن كل زائر يمتع عينيه بعجائب هذه الجزيرة، التي تقع في الشمال الأقصى لأرخبيل جزر الكناري، يمكنه أن يرى بوضوح ما يقصده هذا المواطن: ان الله هو الذي خلق تلك التضاريس القمرية الرهيبة من البراكين وحقول الحمم الشاسعة. ثم جاء سيزار مانريكي، الرسام والمهندس المعماري المحلي ذو الشهرة العالمية، ليبرز روعة ذلك التكوين.

نظر مانريكي الى الجزيرة، التي تمتد بعرض ٢٠ كيلومتراً وطول ٦٠ كيلومتراً في مواجهة ساحل افريقيا الغربي، وكأنها إحدى لوحاته، واختار لها الألوان على النحو الآتي:

الأبيض - انه اللون الكلسي الذي يتلألأ نصاعة ونقاء من القرى التي اعادت طلاء بيوتها الزاهية الألوان استجابة لالحاحه.

الأسود - انه الرماد البركاني الذي ينثره حول قواعد النبتات الاستوائية، ذات الورق العريض، كي يبرز تقابل الالوان في حدائقه ومتنزهاته النادرة المثال.

الأحمر والأصفر والأزرق - تلك هي الجدران ذات الاضاءة الناعمة في الاماكن التي كانت كهوفاً مظلمة لا يمكن اجتيازها.

تلك الكهوف هي احدى مناطق الجمال الطبيعي التي استجابت تكاوينها لفن "العمارة العضوية" الذي يقول عنه مبتدعه مانريكي انه بسيط في أساسه، "إذ يجب الابقاء، ما أمكن، على تكاوين الطبيعة".

إن هذا يؤلف، في مجموعه، درساً

فريداً للناس عن طريقة الجمع بين التقدم وصون الطبيعة. فخلال عقدين من الزمن تحولت جزيرة لانساروتي من أرض برية موحشة الى احد اندر منتجعات الاجازات والراحة جمالا في العالم. ويؤمها كل عام نحو نصف مليون زائر، تجذبهم إبداعات مانريكي كي يتنزهوا وسط إطار من الروائع الطبيعية التي تثير العقل والحواس.

الحلوى الالهية - ولد سيزار مانريكي عام ١٩٢٠ في مدينة أريسيفي، عاصمة جزيرة لانساروتي. وهو يتحدث بحرارة عن جمال جزيرته العذري المجرد، الذي يلهمه حوافزه الفنية والروحية، فيقول: "هذه هي الطبيعة في اروع صورها، مشحونة بقوة التكوين التي لا حدود لها".

تفوه مانريكي بتلك الكلمات بينما كنا نرسل البصر عبر نافذة مرسمه، وقد امتد أمامنا سهل يكسوه الصهير البركاني الأسود عند قاعدة جبل تاهيتشي. وقد تحول ذلك الصهير - بعد ان برد منذ زمن بعيد - الى حلقات حلزونية كالحبال. واستطرد مانريكي في نشوة: "تبدو لي تلك

سيزار مانريكي يعرض واحدا من احدث اعماله، وهو لوحة استوحى فيها منبسطا من الصهير بدا (خلفه) كامواج في طرف المحيط.



المناطق الريفية الخضراء في شمال اوروبا كقطع دسمة من الحلوى"٠

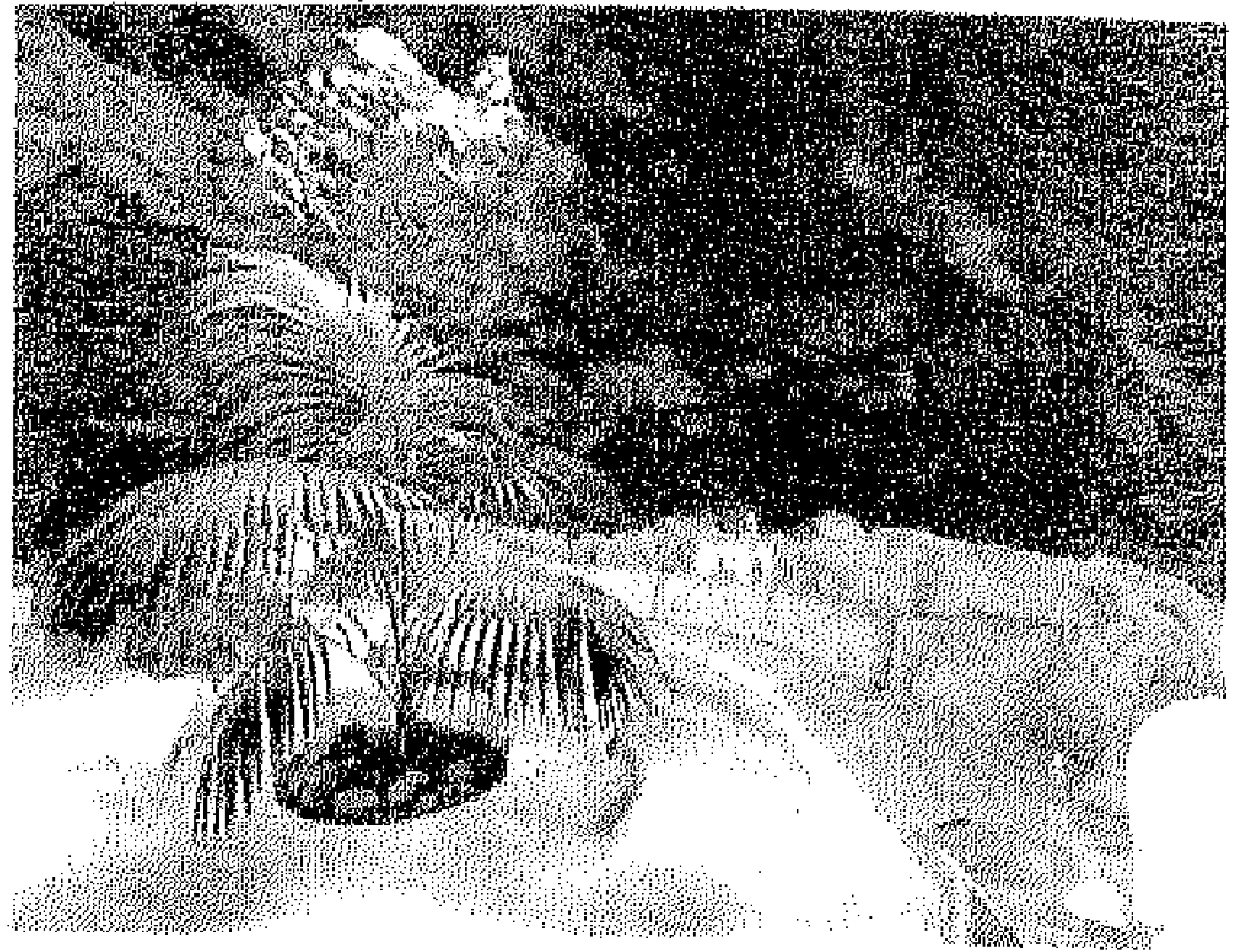
ومانريكي رجل متحمس، ودود، ذو عينين عسليتين تنبضان بالحياة٠ وهو رسام قبل اي شيء آخر٠ وقد تلقى تدريبه في معهد مدريد للفنون الجميلة، وله أعمال معروضة في أماكن تمتد من سان باولو في البرازيل الى طوكيو في اليابان٠ وهو مهندس معماري بالفطرة وليس بالتدريب٠

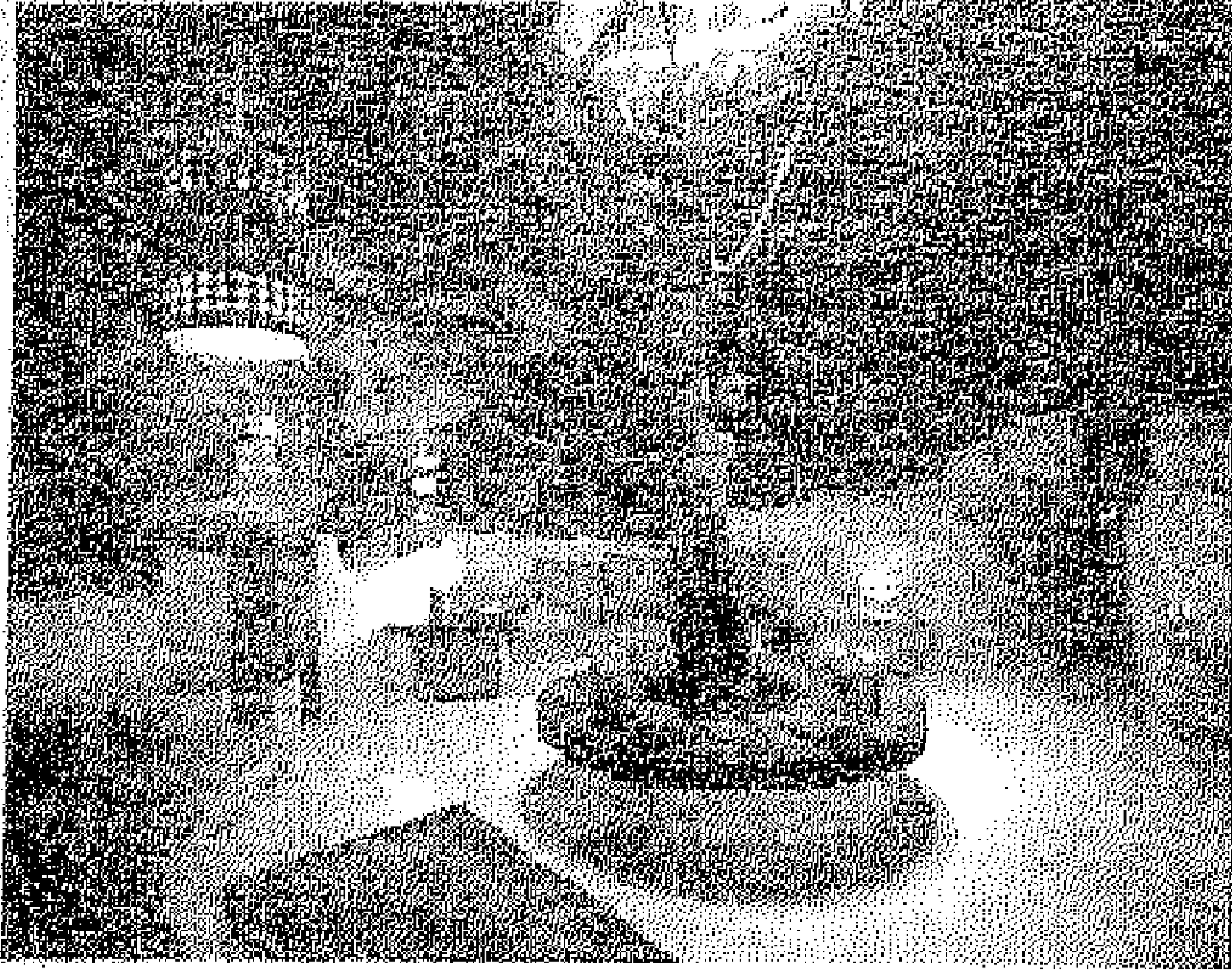
ولعل أفضل مكان يتجلى فيه اسلوبه "العضوي" هو ميرادور ديل ريو، عند الطرف الشمالي للجزيرة٠ والموقع هو تجويف تم حفره في جدار صخري عال ينتصب عمودياً، على ساحل البحر مباشرة، الى ارتفاع ٤٠٠ متر٠ وأقيمت في قلب الصخر قاعة طعام شاسعة، تطل على البحر من خلال نوافذ زجاجية تمتد في قوس يبلغ طوله ٣٥ متراً٠ وقد أعيد سد جميع الفراغات حول الغرفة بالصخور نفسها التي اقتلعت عند الحفر٠ وحرص العمال على عدم مس الطحالب الخضراء النامية على الصخور التي أعيد تثبيتها٠ ومن داخل هذه القاعة، التي تضم ١٢٠ مقعداً، يشاهد الزوار منظراً يثير البهجة لمضيق وثلاث جزر صغيرة تمتد حتى الأفق، وعلى صفحاتها نثرت العيون البركانية٠ لكن الناظر من أسفل، او من قارب في البحر، لا يمكنه ان يرى تلك الفتحة التي حفرت في الصخر٠

ان ما دفع مانريكي الى ابراز المحاسن الطبيعية لمسقط رأسه كان اقتناعه بان السياحة هي افضل جرعة مضادة للفقر الذي بدا كأنه كتب على الجزيرة ان تتردى فيه الى الأبد٠ غير



احد المسابح التي لا حدود لها وسط جنة من الخضرة التي حافظ عليها مانريكي٠





قبل ١٠ سنين اكتشف الفنان خمسة كهوف مكونة من رماد ناري في حقل بركاني في تارو دو هاتيش. وقد حول هذه الكهوف الى منزل رائع. هنا كهفان في منزل مانريكي.

ان للسياحة جانباً قبيحاً كان يفزعه. ذلك ان الشركات الخاصة العاملة في التعمير السياحي لا تلبث - اذا تركت من غير ضوابط - ان تفسد المناظر والمواقع الطبيعية نفسها التي يأتي السياح لرؤيتها، وذلك بما تقيمه من منشآت رتيبة ذات طابع حضري.

كيف يمكن، إذاً، ان تفلت لانساروتي من هذا المصير؟ كانت لدى مانريكي اجابة ثورية عن هذا السؤال: ينبغي لأهل الجزيرة انفسهم ان يتولوا استثمار بيئتهم.

ولم يشاطره اهل الجزيرة حماسته في البداية. كما انهم، على رغم شمسهم البديعة وشواطئهم الذهبية، لم يستطيعوا ان يتصوروا اقبال موجات ضخمة من السياح تدفعها تلك الحماسة. لكن مانريكي لم يكن من اولئك الذين تفتر عزائمهم بسهولة. فهو، مع كل وداعته وحساسيته المرهفة، رجل حديدي الارادة لا يحيد عن هدفه حتى يبلغه.

وانطلاقاً من ذلك كانت خطة مانريكي في العمل تقتضي انشاء مراكز رسمية لمشاهدة مناظر الجزيرة، تتيح للسياح ان يخترقوا بيئة بدائية تصدهم اذا هم حاولوا التوغل فيها من دون ارشاد. وكان موقع البداية هو لوس جاميوس ديل أغوا، وهي مغارة تحت الأرض على بعد ٢٥ كيلومتراً شمال العاصمة أريسيفي. فقد ذهب مانريكي، في العام ١٩٦٠، لمقابلة جوزيه راميريز سيردا الذي كان آنئذ رئيساً لحكومة الجزيرة، وقال له: "تلك المغارة هي احدى العجائب الطبيعية القليلة في العالم، ولا نزال نهملها".

ووقف الاثنان عند مدخل مغارة لوس جاميوس تحيطهما اكوام القمامة. وهبطا على سلم خشبية متداعية مسافة ٤٠ متراً، ثم دخلا كهفاً يزيد طوله على ثلاثة اضعاف ملعب كرة القدم وقد امتلأ بمياه البحر الراشحة حتى نصفه، وسكنه نوع نادر من السرطان الابيض الذي لا عيون له.

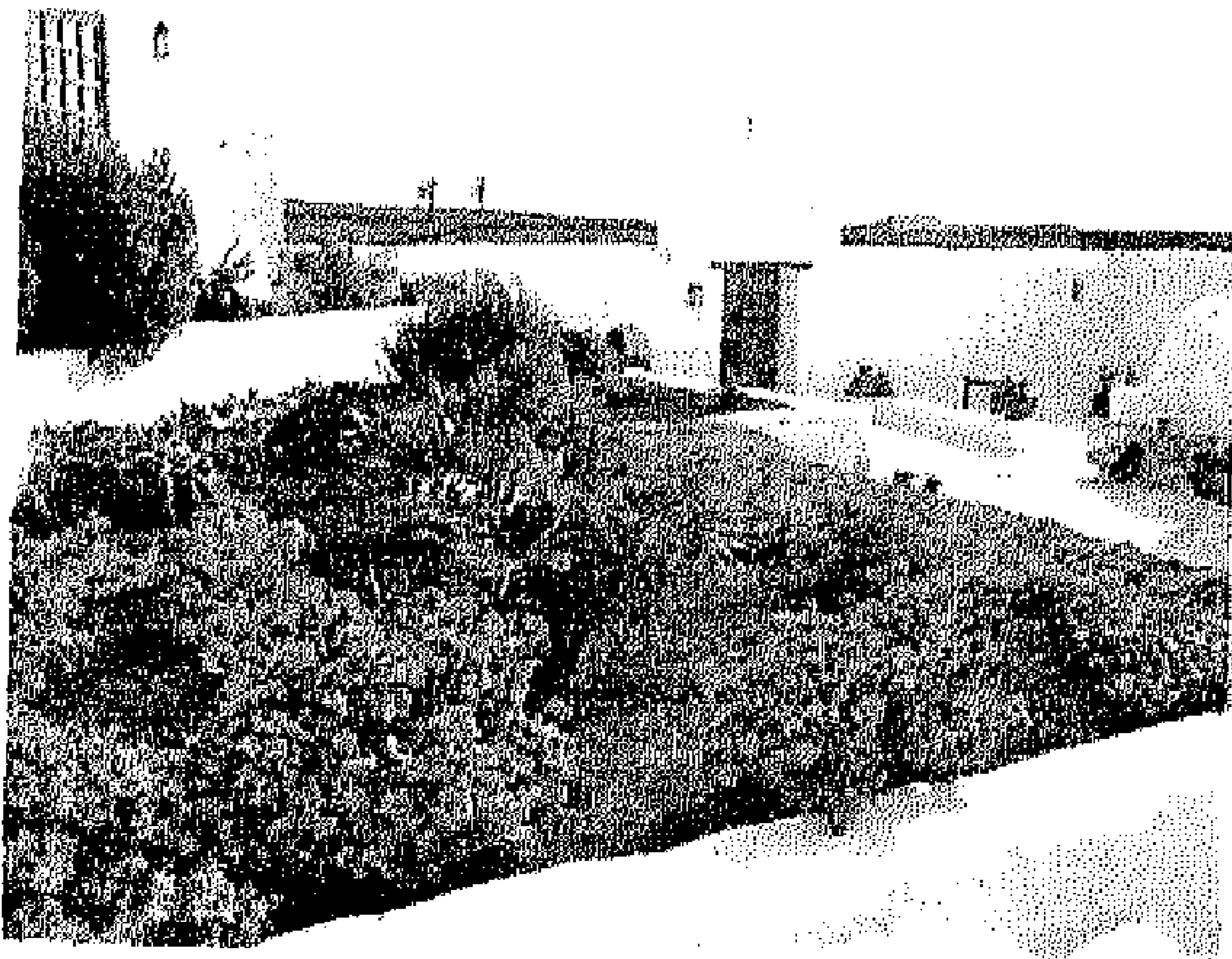
وقال مانريكي في ثقة: "سنبني هنا قاعة من أجمل قاعات الطعام ومن اروع النوادي الليلية في العالم".

وذهل راميريز. وقال في ما بعد وهو يتذكر الموقف: "لقد ظننت ان سيزار فقد صوابه. من يتصور ان الناس يمكنهمان يأكلوا ويرقصوا في مثل هذا المكان الموحش المظلم؟" وعلى رغم ذلك اجتاحته حماسة رفيقه، فعرض عليه المساهمة بفريق من العمال والتقنيين.

وفي اشراف مانريكي وتوجيهاته، تم تنظيف مدخل الكهف والبحيرة الداخلية من القمامة. وعلق العمال في سقف المغارة قدوراً زرعت نبتات مختلفة. وجاؤوا بشجر الصبار، وبنوا سلماً ثابتة متينة. وعلى رغم ان الجدران السوداء تركت على حالها، فقد أضيف في ما بعد عدد من البقع البرتقالية الكبيرة الى منصة عريضة تطل على البحيرة. ولم تكن هذه البقع اللونية سوى وسادات المقاعد في ناحية خصصت للعشاء والرقص، لتميزها عن خلفية المكان.

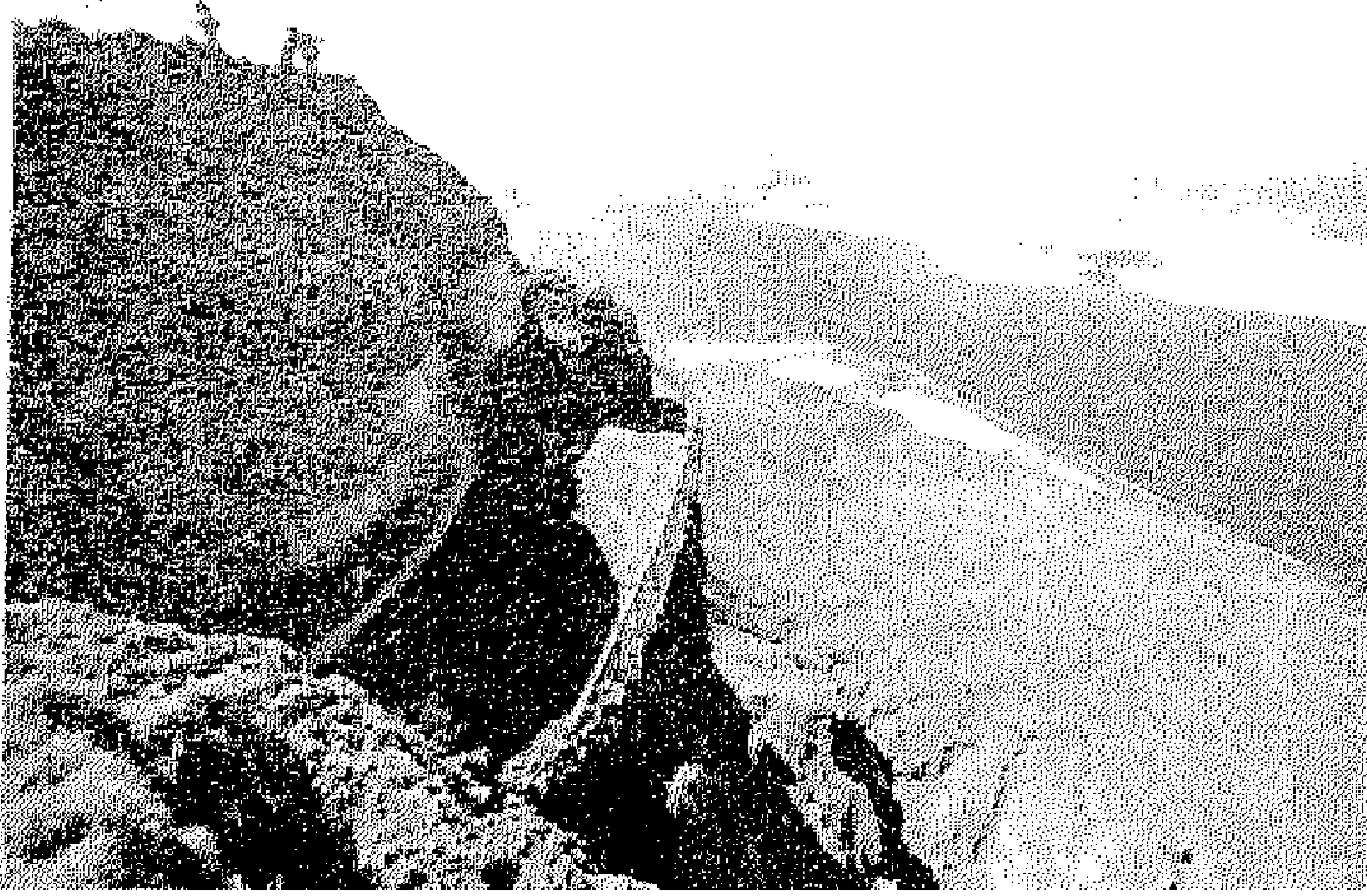
وقد روعي في الاضاءة ان تكون خفيفة وظليلة. فلا تجد خلال النهار سوى شعاع عريض من نور الشمس يخترق فتحة طبيعية في السقف ليغوص في المياه القاتمة. اما السرطانات البيضاء فقد ظلت على حالها. وعندما افتتحت مغارة لوس جاميوس عام ١٩٦٦، فغر اهل الجزيرة أفواههم عجباً. وكان العمل، في الوقت نفسه نشطاً في مركز سياحي آخر هو لا كويفا دي لوس فيرديس (كهف الخضرة). ويقال ان اسمه هذا اطلقه عليه، منذ زمن بعيد، رعاة وجدوا لماعزهم مرعى أخضر قرب مدخله. ويمتد هذا الكهف متعرجاً مسافة ١٧ كيلومتراً، ويرتفع سقفه في بعض المواضع الى ٤٠ او ٥٠ متراً.

اما الاضافات التي ادخلها مانريكي فكانت غير ملحوظة، لكنها اتت بنتائج مذهلة. فقد حوّل جزء من الارض الخشنة الى ممر ضيق للسير على الأقدام، يتعرج في مسار دائري مسافة ١٨٠٠ متر ويكفي لنزهة هادئة موجهة لا خطر فيها من الضلال. وركبت آلاف المصابيح خلف الصخور وداخل التجاويف، فبدت الجدران البركانية تتوهج كأن قوة سحرية تشع فيها. وعند منتصف المسافة، في فسحة عريضة منخفضة السقف، أقيم مسرح بسيط جهز بألف من الكراسي القابلة للطي لتتهيأ بذلك قاعة استماع. وقد وصف عازف الغيتار الكلاسيكي الشهير، ريجينو ساينز دي لامازا، تلك القاعة بانها "تفوق في مستوياتها الصوتية جميع قاعات الموسيقى الأخرى التي أعرفها".



نثر مانريكي الحصى والرماد البركانيين حول قواعد النباتات لابراز مقابل الالوان.

في الواقع كانت مهمة مانريكي التالية ان يعيد الجمال الى قرى الجزيرة ومدنها الخمسين. وكان الطراز المعماري الشعبي الذي جاء به المستعمرون الاسبان يتزايل امام غارة انماط البناء الحديثة المختلطة والمجردة من الذوق، والمدهونة بألوانها الحمراء والزرقاء والخضراء الزاهية. وقام مانريكي بجولات متكررة في نواحي الجزيرة كي يقنع القرويين بان اسلوبهم التقليدي في البناء كنز ثمين من تراث الاسلاف، وان عليهم حفظه.



"العينان" اللتان تطلان من هذه الشرفة ليستا سوى نافذتين في "ميرادور ديل ريو".

ولم تلبث حملة مانريكي ان ارست جذورها بين سكان الجزيرة الخمسين ألفاً. وشجع أصحاب مشاريع البناء الاستثمارية على احترام الطراز التقليدي، فأقبلوا عليه راغبين. وكان الطلب الوحيد الذي توجب على مقاولي البناء مراعاته المحافظة على "طراز لانساروتي": أي اقامة جدران سميكة من دون نوافذ تحيط بفناء داخلي للوقاية من الرياح، وبناء سقوف مدرجة خفيفة الانحدار تساعد على جمع مياه الامطار للشرب. وعاد اللون الأبيض، بكل نقائه ونصاعته، يسود بيوت الجزيرة.

وفي العام ١٩٧٠ نقل مانريكي حملته الى المنطقة الجرداء الواقعة جنوب غرب الجزيرة، والمسماة "مونتانياس ديل فويغو" اي جبال النار، حيث ٣٣ فوهة بركانية كانت تطلق، في ما مضى، أنهاراً من البازلت المصهور على مدى ست سنوات رهيبة، وذلك بين عامي ١٧٣٠ و١٧٣٦. وتكونت من ذلك حقول الصهير.

وتولى مانريكي الأمر بحرص بالغ. فأمر بان تشق الطرق، شرطان يراعى تماثل لونها مع لون الصهير الذي تخترقه بحيث يتعذر تمييزها عن بعد. وتتلوى احدى هذه الطرق الآن حول مجموعة من الفوهات البركانية. ولا يزيد اتساعها عما يكفي مرور حافلة، فيشاهد ركابها تلك المنطقة التي لا يؤذن بدخولها إلا لهذه الحافلات.

وتنطلق الحافلة من بناء أقامه مانريكي، هو "مطعم الشيطان" (إل ديابلو) قرب فوهة بركانية لا تزال تتأجج بهدوء. وقد شيد البناء المستدير، ذو السقف المنبسط، من حجار الصهير ومن الفولاذ الذي يماثلها لوناً. وعبر جدران المطعم الزجاجية الفسيحة يبدو منظر الفوهات البركانية، الممتدة في مستوى البصر، مثيراً ومذهلاً، كأنك

تنظر الى سطح كوكب آخر. وأضيفت الى ذلك كله اعجوبة ركن الشواء في الهواء الطلق. وهو يستمد الحرارة اللازمة عبر شق يصل الى باطن الجبل البركاني نفسه.

يوم الخليقة الثامن — يعتبر المتحف الدولي للفن المعاصر من احدث المنشآت التي تجتذب الزوار. وقد صممه مانريكي وافتتح في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦ في قلعة سان جوزيه، التي شيدت في القرن الثامن عشر قرب منطقة الميناء في مدينة أريسيفي. وعندما ترى ذلك البناء المربع الساحر، يتعذر عليك ان تتصور انه كان مهدماً، يستخدمه الجيش لتخزين البارود، قبل ان يتولى مانريكي امره. وبموهبته النادرة في تحقيق الانسجام بين القديم والجديد، علق مانريكي لوحات حديثة على جدران الصخر البركاني العارية.

وقد شاهد الجزيرة، منذ عهد قريب، المؤلف المسرحي والكاتب الصحافي الشهير انطونيو غالا. فوصف جهود مانريكي بايجاز قائلا انها "يوم الخليقة الثامن". ويضيف رئيس الحكومة المحلية في الجزيرة، اغوستين اكوستا، قائلا: "ان سيزار عبقري. فهو لم يبتدع صناعة سياحة تحتاج اليها حياتنا فحسب، بل أعطى سكان لانساروتي كبرياء جديداً يجعلهم فخورين ببيئتهم". ولم يتقاضَ مانريكي من أهل الجزيرة فلساً واحداً بدل جهوده.

وتقديراً لخدمات مانريكي، منحه الملك الاسباني خوان كارلوس الأول وسام الصليب الأعظم المدني في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، وهو من أرفع الأوسمة الاسبانية. وكان مانريكي نال، قبل ذلك بشهر واحد، جائزة السياحة وعلم البيئة التي تمنحها، كل عام، رابطة كتاب السياحة في المانيا الغربية للشخصية العالمية التي تبذل اكبر جهد من اجل حماية البيئة.

وقد ظهرت النتائج العملية بجلاء في اقتصاد الجزيرة، ففيها الآن ١٦ فندقاً بعد ان كانت تكتفي بفندق حكومي واحد (بارادور) في ١٩٦٧. وهناك مؤسسة استثمار اسبانية كبيرة باشرت بناء قرية سياحية لطالبي الراحة في الاجازات، تضم وحدات سكنية تكفي ٢٥ ألف شخص (بعد ان طلبت موافقة مانريكي على ان مشروعها يتلاءم مع المعطيات الجمالية المحلية).

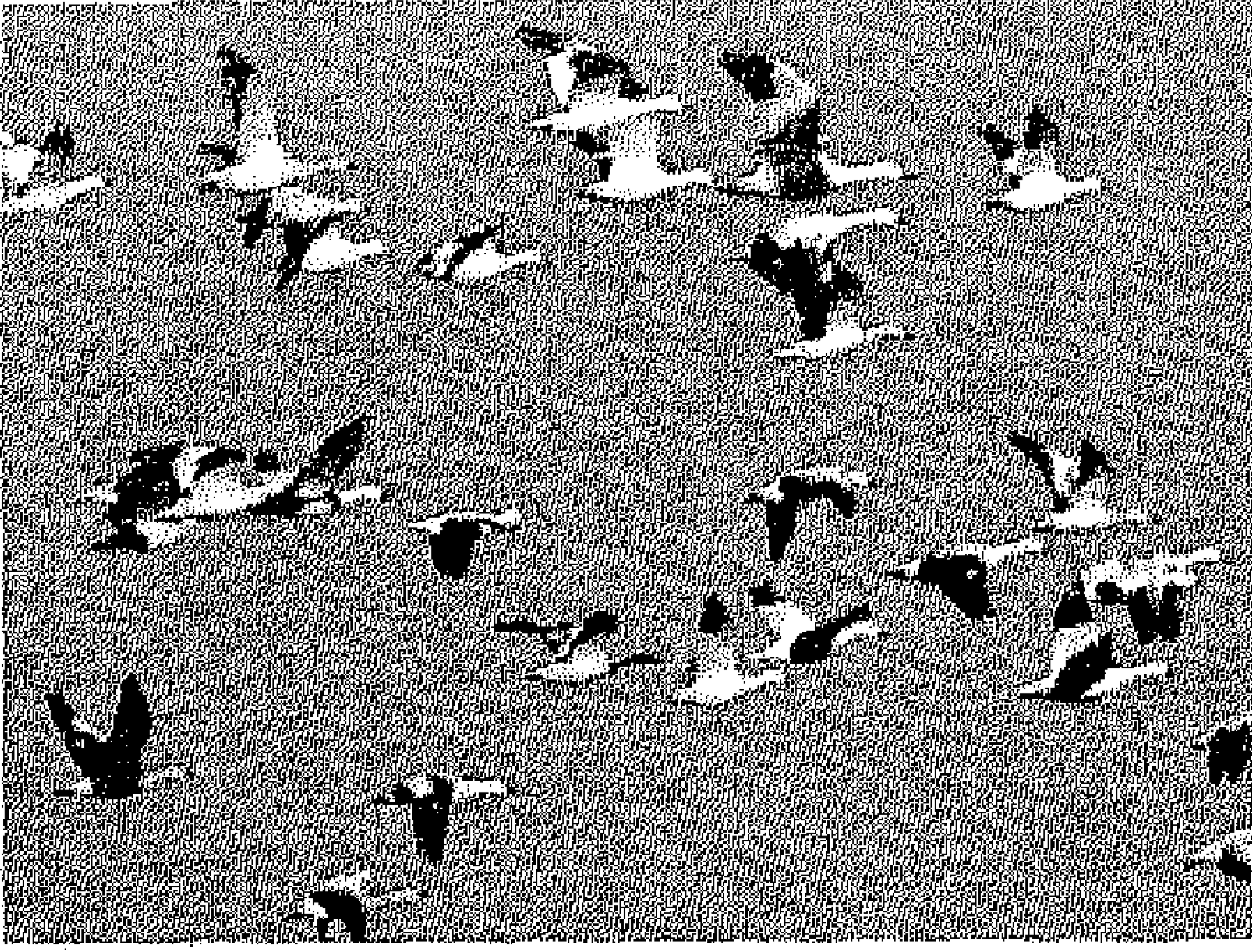
وفي الوقت نفسه يتولى مانريكي بناء مسرح تحت الأرض، يضم ألف مقعد، لعرض المسرحيات ولاحياء الندوات والحفلات الموسيقية. وهو أقام معرضاً للصناعات المحلية في جزيرة لانساروتي دعاه "المتحف الريفي"، لا يزال يجتذب الزائرين منذ ١٩٧٧.

ويقول مانريكي: "ان السياحة يمكن ان تكون نعمة في أي مكان في العالم، لكن عملية تنميتها يجب ان تخضع للفن ولمقتضيات الذوق السليم".

ولعل صدى هذه النصيحة ينفع في انقاذ روائع الخالق العظيم مما يتهددها من دمار.

■ راوول فاسكيز دي بارغا

المهاجرون



منذ قرون تثير ظاهرة الطيور التي تهاجر عبر العالم مرتين في العام اعجاب الناس. فكيف يتسنى لمئات الملايين من الكائنات الضئيلة الحجم ان تتحمل وعثاء السفر مسافة ٣٠ الف كيلومتر؟ وكيف تهتدي الطيور الى غاياتها؟

القصة بحذافيرها غير معروفة بعد. وهناك تفاصيل كثيرة لا تزال محجوبة عنا. لكن التجارب العلمية المتصلة بدأت تشق افق معرفتنا لتلك الكائنات ذات القدرات العجيبة، التي تتمتع باحساس غريب، بل شاذ وطاقة على التحمل تفوق كل ما نعرفه عن مملكة الحيوان

في خريف كل عام يجتاز طائر الدخلة من فصيلة "تينيسي"، الذي لا يتجاوز طوله ١١ سنتيمتراً ووزنه ١٥ غراماً، مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر فوق اليابسة، هاجراً اعشاشه في كندا وشمال الولايات المتحدة الامريكية طلباً لمشتاه في وسط القارة الامريكية وجنوبها. وهو، كغيره من الطيور المهاجرة، يهتدي الى البقاع نفسها التي صرف فيها الشتاء الماضي. ثم يسلم جناحيه الى الريح وينطلق في رحلة الربيع عائداً الى الموقع الذي هجره، واحياناً كثيرة الى الشجرة عينها التي رعى فيها فراخه في المرة الاخيرة.

ثمة صنف آخر من طائر الدخلة يتميز ذكره بسواد في اعلى الرأس. وهو طائر امريكي من فصيلة "بلاكبول" الذي يفقس بيضه في الغابات الامريكية الشمالية ايضاً، لكنه يطير في الخريف الى شاطئ المحيط الاطلسي، ومن هناك يقوم برحلة جوية لا تصدق فوق البحار في اتجاه امريكا الجنوبية، مجتازاً مسافة

٣٧٠٠ كيلومتر بلا توقف خلال ٨٦ ساعة. وتحلق طيور بلاكبول في هذه الرحلة احياناً الى ارتفاع ٦٤٠٠ متر فوق سطح الارض طلباً للريح التي تساعدها في الطيران. الا ان الطبقة الجوية في ذلك العلو صاقعة وتفتقر الى الاوكسيجين. وتعد هذه اطول رحلة تم رصدها حتى الان بين الطيور الصغيرة، من حيث الطيران بلا توقف والمسافة والوقت والارتفاع جميعاً.

الا ان الطيور الاكبر حجماً تجتاز مسافات اطول كثيراً وأشد قسوة. وبطل هذا المضمار هو طائر الخرشنة القطبي، وهو طائر مائي شبيه بالنورس، يبني بعض افراده اعشاشاً لفراخه على بعد لا يتجاوز الـ٧٠٠ كيلومتر من القطب الشمالي. غير ان معظم افراده يهاجر في اتجاه معاكس نحو القطب الجنوبي في رحلة تطول ٣٠ الف كيلومتر.

اسباب الهجرة ـ السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو: لماذا تهاجر الطيور؟ ألكي تتجنب البرد القارس وتعثر على طعام؟ الحق انه لو كان مطلبها اموراً كهذه، لما تجاوزتها الى مسافات ابعد كثيراً مما ينبغي!

يبدو ان هذه الرحلات الجماعية الالزامية تطورت لدى الطير عبر دهور لا تحصى إبّان تقلبات كونية متعددة من حيث المناخ. ولربما وقع ما كيّف حركات الطير وتحكم بها في زمن كان العالم اصغر سناً! كما يبدو ان الفترة الضوئية هي التي تحفز الطيور على الهجرة في فصلي الخريف والربيع حيث يقصر النهار او يطول، فيؤثر هذا العامل الزمني في غدد حساسة كالغدة النخامية او الصنوبرية، ويزيد من ارق الطائر وتململه حتى يوقن بأن أوان رحيله قد أزف اخيراً.

يجدر بنا الآن ان نلقي نظرة خاطفة الى هيكل الطائر. ولنبدأ بعضلات الصدر التي تمد اجنحة هذه الطيور بالطاقة على الخفقان. انها عضلات أكبر حجماً واقوى نمواً وتطوراً، بالنسبة الى الحجم الاجمالي، من اي عضلة مثيلة لدى الحيوانات الثديية. وهي مثبتة جزئياً على ضلع ناتىء من عظمة الصدر يعرف برافدة القص. وهي الرافدة التي تساعد العصفور الطنان مثلا (وهو طائر ذو حنجرة دكناء في لون الياقوت) على ان يخفق بجناحيه خمسين مرة في الثانية وأن يقطع ٨٠٠ كيلومتر عبر خليج المكسيك في مأثرة مذهلة من مآثر السرعة والصبر والتحمل. وتستغرق رحلة الطنان، الذي لا يزيد وزنه على ٣٥ دسيغراماً (الدسيغرام يساوي عشر الغرام)، ٢٥ ساعة.

ويظهر ان جهاز التنفس لدى الطيور تطور بتميز. فهناك اندفاق تيار مضاد من الدم والهواء في الرئتين يمكن الطير من استخلاص الاوكسيجين بجدارة تفوق جدارة اي كائن فقاري آخر الى حد بعيد. وتكتسب معظم الطيور قبل موسم الهجرة طبقات من الشحم تعينها على الصمود في الاجواء. وطائر الدخلة من فصيلة بلاكبول، مثلا، يحمل في طبقاته الشحمية احتياطاً من الوقود يمكنه من الطيران المتصل وقتاً يراوح بين ١٠٥ ساعات و١١٥ ساعة. ويحتاج الانسان الى ركض ٨٠ ساعة بلا توقف



طرق الهجرة الرئيسية لطيور اليابسة والبحر٠

من أجل تحقيق نسبة الايض، أي تمثل الطعام وتأمين الطاقة، التي يحققها هذا الطائر خلال طيرانه المتصل٠

اشارات الاتجاه – منذ وقت طويل درج عدد كبير من المراقبين على الاعتقاد ان القواطع تعتمد في رحلاتها، على نحو رئيسي او كلي، معالم مألوفة تسترشد بها في معرفة الطريق٠ والحق ان اصنافاً من الطيور قد تلجأ الى اعتماد مثل هذه المعالم اذا راقها ذلك٠ فالطيور التي ترحل خلال ساعات النهار، كثيراً ما تسلك ممرات جوية موحدة فوق الشواطىء والانهار وسلاسل الجبال، اي انها تطير في "خطوط رئيسية" كما يسميها العلماء٠

لكن بعض العلماء الذين يبحثون في ميدان الطيران فكر في انه لو صح اعتماد الطائر كلياً على المعالم الارضية، لسهل التباس الامور عليه، كذلك ضياعه اذا هو انطلق مثلا من مكان مجهول وبعيد عن مواقع اعشاشه ومسالكه المألوفة٠

وفي العام ١٩٣٧ جمع العالمان البريطانيان ر٠ م٠ لوكلي وديفيد جاك عدداً من طيور جلم الماء من فصيلة مانك التي تعيش في جزيرة سكوكولم قبالة شاطىء ويلز في بريطانيا، وهي طيور طويلة الجناحين تسلك دروباً مائيةوتنخفض احياناً حتى تخالها تقص الماء قصاً، كما تتميزبقدرتها على الرجوع الى مواقع اعشاشها٠ ورحل العالمان بهذه الطيور الى اماكن قصية وسط البحار وفوق الارض، علماً بانها لا تطير عادة فوق اليابسة٠ وأطلق احد هذه الطيور من مدينة البندقية في ايطاليا، فشوهد طائراً في اتجاه بلاده في مسالك تفرض عليه اجتياز

جبال الالب وفرنسا، حتى عاد هذا الجلم الى بقعته المألوفة. وأطلق آخر عام ١٩٧١ من مدينة بوسطن الامريكية، فوصل بعد ١٢ يوماً ونصف يوم الى وطنه بريطانيا.

نتائج مذهلة — هكذا يتضح انه من المستبعد ان تكون هذه الطيور التي اطلقت من شتى الاصقاع قد اعتمدت كلياً على المعالم الارضية في تسيير دفة طيرانها. لذلك، اقدم العلماء على تجربة أخرى دامت عشرة اعوام وانتهت عام ١٩٥٧. واقتضت هذه التجربة حشر ١١ ألف زرزور في هولندا واطلاقها بعد سنوات في موسم هجرة الخريف من سويسرا. واذا بالتجربة تسفر عن نتائج مذهلة: لقد عمد معظم الطيور الكبيرة سناً الى تصحيح مساره، متجهاً الى مشاتيه المعتادة في الجزر البريطانية والشمال الغربي من فرنسا. اما الزرازير التي لم تكن بلغت الرشد بعد، فقد اعتمدت اتجاهاً وراثياً قديما في الهجرة، هو الطيران في اتجاه جنوبي - غربي انطلاقاً من الغرب، وأنشأت لنفسها مشتى جديداً في جنوب فرنسا واسبانيا. وتتضح اهمية هذه التجربة في الاستنتاج الآتي: إن الطيور الصغيرة سناً تتبع حساً موروثاً في الاتجاه، في حين تتمتع الطيور الكبيرة بنظام يشبه البوصلة المذهلة لتصحيح مسارها حين ترغم على النزوح الى مكان آخر غير مألوف.

وفي اوائل الخمسينات اكتشف غوستاف كرامر، العالم الالماني المختص في علم الطيور، ما يصح تسميته ماهية تلك البوصلة، حين وضع زرازير أوروبية في اقفاص مستديرة وراقب تحركاتها من خلال ارضية القفص الشفافة. وما ان تملك هذه الطيور احساس باقبال فصل الربيع حتى اتجهت وهي في قفصها، نحو الشمال الشرقي، وهو الاتجاه الصحيح. ومرة أخرى في الخريف، وقفت الزرازير في مواجهة الناحية الجنوبية الغربية، التي هي الاتجاه الصحيح ايضاً. وبعد فترة حجب كرامر عن القفص كل شيء باستثناء نور الشمس، فبقيت الزرازير تتجه الى **الناحيةالصحيحة في موسمي هجرتها.** ثم عمد الى استخدام المرايا لتبديل زاوية دخول نور الشمس الى القفص بحيث تصبح ٩٠ درجة. واذا بالطيور تصحح اتجاهها بمقدار ٩٠ درجة بالضبط. وهكذا أظهر كرامر ان الطيور تسترشد بالشمس في ضبط وجهتها.

ساعات باطنية — في تجارب اخرى بعيدة النظر مع الطيور الحبيسة في اقفاصها، استخدم كرامر نوراً اصطناعياً لينوب عن نور الشمس، فاكتشف ان للزرازير حساً مذهلا لمعرفة الوقت بدقة متناهية. ذلك ان الطيور - وان لم تتحرك شمسها الاصطناعية - أبدلت اتجاهاتها في المواعيد المحددة، كأنما الساعات الباطنية فيها عوضتها معرفة موقع الكرة الارضية منالشمس الحقيقية، على رغم ان شمسها الاصطناعية لم تتبدل. واستطاع العلماء اعادة "توقيت" هذه الساعات الباطنية تدريجاً بتبديل مصادر النور. حتى ان طائراً اعتاد الوقت الزائف حسب شمسه الاصطناعية طار في الوجهة

الخاطئة بمعدل ١٥ درجة لكل ساعة تبدلت في نظام توقيته الباطني حين أطلق في يوم مشمس.

اذاً، في استطاعة الطيور معرفة الاتجاه بواسطة الشمس وتعويض تحرك النظام الشمسي. ولكن هل تستطيع الاهتداء بالنجوم ايضاً؟

ما ان خطر للعالم الالماني فرانز ساور وزوجته اليانور ان معظم الطيور تبدأ موسم الهجرة ليلا حتى وضعا عدداً من طيور الدخلة الاوروبية في قفص لا تبصر منه سوى جزء من السماء خلال الليل. واكتشفا ان الطيور قادرة على معرفة الاتجاه الصحيح ما دامت تستطيع رؤية بعض النجوم. وحين حجبت الغيوم صفحة السماء، التبست الامور عليها وراحت ترفرف باجنحتها بلا هدف.

وفي التجربة التالية نقل الزوجان القفص الى البلانيتاريوم، وهو المبنى الذي يمكن فيه، عبر جهاز خاص، عكس الاضواء على قبة فضية لتمثيل حركات الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم فيمختلف الفصول. وحين جعلا القبة تبدو كأنها سماء الربيع، اتجهت الطيور نحو الشمال الشرقي. ولما بدت القبة مثل سماء الخريف، بدلت الطيور اتجاهها نحو الجنوب الغربي، تماماً كما تفعل الطيور الطليقة.

في خطى النجوم - من هنا يتضح ان القواطع تسترشد في طيرانها بمواقع النجوم لتحديد مسالكها. وهذه حقيقة اكدها علماء آخرون، ولاسيما الاستاذ ستيفان إملم من جامعة كورنيل في ولاية نيويورك، وهو من رواد بحوث الطيران، عندما اجرى اختباراته على طيور الدرسة النيلية التي تهاجر ليلا، ليثبت انها تعتمد على النجوم في الجزء الشمالي من السماء وانها ليست في حاجة الى رؤية جميع النجوم للاسترشاد في طيرانها بنجاح.

وتحقق هذا العالم من ان قدرة الطيور على الملاحة مكتسبة لا مطبوعة. فقد تعلمت فراخ الدرسة في البدء تحديد المحور الشمالي - الجنوبي بواسطة تحرك النجوم، لكنها سرعان ما تعلمت تقدير الوجهة الصحيحة من مشاهدة الهيئات التي تكون عليها النجوم. الا ان هذه الاكتشافات لم تحل اللغز الملاحي، بل اضافت اليه بعداً جديداً. وتواترت بعد ذلك الادلة على ان الطيور لا تستخدم الشمس والنجوم إلا لمعرفة الاتجاه. اما معرفة الموقع - وهو جوهر علوم الملاحة - فأمر آخر، لان البحّار، مثلا، يجب ان يحدد موقع سفينته بالضبط قبل ان يتمكن من معرفة الاتجاه الذي ينبغي اتباعه. ويعترف العلماء اليوم بثلاثة انماط من السلوك في ملاحة الطيور، وهي:

اولا - اعتماد الطائر على المعالم المألوفة.

ثانياً - قدرته على اختيار وجهة الطيران والمحافظة على المسار الصحيح عبر بقاع غير مألوفة.

ثالثاً - القدرة على اختيار الوجهة الصحيحة للطيران الى الموقع الذي يرغب في بلوغه، وعثوره على ذلك المكان حتى وان انطلق من مكان قصي ومجهول.

ويشتبه بضعة خبراء بان للنمط الثالث، الذي يعد أكثر الانماط

هجرة الطيور في لبنان والعالم العربي

في ٢١ أبريل (نيسان) ١٩٧٤، تلقى فريق دراسة حيوانات لبنان في كلية العلوم التابعة للجامعة اللبنانية حلقة معدنية وجدها صياد في ساق عصفور اسود الرأس يعرف، حسب المناطق، باسم "الهازجة" او "الزريقة" او "التيان". وفي حينه ارسلت الحلقة الى المتحف البريطاني في لندن، الذي كانت الحلقة تحمل عنوانه. وبلغتني من لندن رسالة تفيد ان الحلقة وضعها في ساق العصفور، في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ فريق بريطاني موفد الى اثيوبيا يعمل في اشراف الجمعية البريطانية لدراسة الطيور. وقد قطع الطائر مسافة تفوق الالفي كيلومتر، متخطياً اخطاراً لا تحصى.

ان لهذا الحدث اهمية علمية كبيرة، اذ يتأكد للمرة الاولى، على نحو لا يقبل الجدل، ان الطيور التي تعبر لبنان في اول الربيع تأتي من افريقيا الشرقية.

وقد تمكنا، بوسائلنا الخاصة وبواسطة نداءات متكررة في صحيفة "النهار" البيروتية، من استعادة ما يناهز الخمسين حلقة في بضعة اشهر.

وقد دلت بحوثنا في هذا المجال ودراستنا في الحقل ومشاهدة الطيور في الطبيعة ونتائج وضع الحلقات المعدنية في مركزنا وفي مراكز اخرى، ان لبنان وسورية هما من أهم المناطق التي تعبرها الطيور الآتية في الخريف من اوروبا قبل برد الشتاء او العائدة في الربيع من افريقيا الى اوروبا لتمضية الصيف هناك.

فالانواع التي تعشش في لبنان، كالبوم والصقر الجارح والحجل والترغل، يقارب عددها الثمانين. والتي تمضي الشتاء، كالسمن ودجاج الارض والشكب، ستة وثلاثون. والتي تعبر في الخريف من المناطق الباردة نحو اواسط افريقيا اثنان وعشرون، وفي الربيع سالكة الطريق المعاكس ستة واربعون. وهناك اربعة واربعون، كاللقلق (او البجع)، تهاجر مرتين في الربيع والخريف.

اللقلق أو البجع - ماذا عن الطيور العابرة فوق البلاد العربية؟

من أشهر تلك الطيور طائر اللقلق او البجع كما يسمى في بعض المناطق. عبوره مؤشر على بدء الربيع او نهاية الصيف.

يعشش اللقلق في اوروبا ابتداء من شهر مارس (آذار) ويبقى هناك حتى مطلع سبتمبر (ايلول) حين تبدأ رفوفه التجمع. فاللقالق التي تعيش غرب نهر فيزر في المانيا، وخصوصاً تلك المنتشرة في هولندا وبلجيكا ومقاطعة الالزاس الفرنسية، تعبر فرنسا واسبانيا وجبل طارق والمغرب وجنوب الجزائر والتشاد حتى تصل الى بحيرات افريقيا. اما التي تعيش شرق نهر فيزر فانها تعبر المجر ومضيق الدردنيل وتركيا وسورية ولبنان وفلسطين والسعودية والبحر الاحمر ومصر حتى تصل الى نقطة التجمع الواحدة حول البحيرات. وفي

تعقيداً، صلة بالحقل المغناطيسي للارض.

وقد تولى ثنائي الماني آخر يتألف من زوجين - وولفغانغ وروزفيتا ويلتشكو - وضع طيور ابي الحناء، وهي طيور صغيرة ذات صدور حمر ضاربة الى الصفرة، ضمن قفص مستدير لا يحوي اي شيء متميز، وحجبا عنها السماء نهاراً وليلا. ومع ذلك، بدت هذه الطيور كلها في حال

كلتا الحالين تقطع اللقالق ما يفوق العشرة آلاف كيلومتر. وذاكرة الطيور القوية للامكنة التي تعبرها هي مضرب المثل. وقد استعان الانسان بهذه الذاكرة لدى الحمام الزاجل، فحمله رسائله. ومن اللقالق ما يبقى قرب الفرات شمال سورية والعراق، ومنها ما يبني اعشاشه في جنوب تركيا.

تعودنا، ونحن صغار، ان نربط بدء الربيع بعودة السنونو الى سماء القرية، والفنا رؤية هذا العصفور يعبر السماء كالملوك.

في الخريف تقل الحشرات وتقلق السنونو خائفة من مجاعة تهددها، فتتنادى للرحيل. فاذا رأيناها منشورة على الاسلاك ايقنا قرب نهاية الصيف. وذات صباح نفاجأ باختفاء السنونو التي تسافر ليلا نحو اثيوبيا وجنوب افريقيا. وسفرها تحت جناح الظلام دليل حكمة، اذ هي تتجنب هجمات الجوارح النهارية.

الجوارح النهارية، كالنسور والعقبان والعقيب والبواشق والحدايا والصقور والمرز، يعبر معظمها الاجواء اللبنانية والسورية في الخريف والربيع. وقد شاهدنا منها خلال اسبوع واحد ٢٥٨٥ عقاباً صغيراً. كما شاهدنا عبور الرخمة المصرية (اليرخوم) المعروفة باسم الشوحة وام جعران. وهي من انواع النسور، وتعبر الاجواء بين ١٩ مارس (آذار) و٤ ابريل (نيسان)، آتية من افريقيا ومصر ومتوجهة الى جنوب اوروبا للتوالد.

طيور اخرى — هناك طائر آخر عابر هو الفري. إنه من فصيلة الدجاج وفي حجم اليمام، وهو يعبر البحر المتوسط من اوروبا الى الجزائر وتونس وليبيا ومصر، قاطعاً ٥٥٠ كيلومتراً من غير توقف، او الى الشرق الاوسط مروراً بقبرص. وهو يطير محاذياً البحر، وربما ساعده ذلك في الاتكاء على صفحة المياه، كبعض وسائل النقل البحري الحديثة التي ترتفع قليلا فوق البحر مما يزيد سرعتها. وتبقى هذه الطيور في البلاد العربية وقتاً قصيراً في اول الخريف، ثم تتابع طريقها نحو بحيرات افريقيا لتعود منها في منتصف فبراير (شباط)، فتبقى نحو ثلاثة اسابيع في سهول مناطق الشرق الاوسط قبل عودتها الى اوروبا.

من الطير العابر ايضاً البط. وأصنافه لا تقل عن العشرة، اهمها الخضيري المعروف لدى الصيادين بالشريف الخضيري. وهو يستوطن شمال اوروبا وآسيا وبعض انحاء امريكا الشمالية. ويهاجر الى الشرق الاوسط والى شواطىء البحر المتوسط ومصر واثيوبيا والعراق والبحر الاسود وتركيا في اوائل الخريف، ويكثر عندما تشتد الصقيع في المناطق الشمالية.

هذه امثلة عن الطيور العابرة، وقد درس هجرتها في البلاد العربية علماء اجانب. الا ان اساتذة جامعات عربية عدة، خصوصاً في سورية والعراق والاردن ولبنان ومصر، تنبهوا حديثاً الى هذه الظاهرة وساهموا مساهمة فعالة في التعرف على الطيور وعلى طرق حياتها وهجرتها. وتُعَدّ في الامارات العربية المتحدة دراسة عن الطيور يساهم فيها احد اعضاء فريق كلية العلوم في الجامعة اللبنانية. كذلك هناك دراسة تعدّ في الموضوع نفسه في المملكة العربية السعودية.

الدكتور جورج طعمه
رئيس الجامعة اللبنانية

تأهب وتململ استعداداً للرحيل، واتجهت نحو المسار الصحيح لموسم هجرتها حتى من غير استعانة بالشمس او بالنجوم. ثم احاط وولفغانغ ويلتشكو وزوجته هذه الطيور بأسلاك هلمهولتز التي يمكن تمرير تيار كهربائي فيها لتكوين حقل مغناطيسي جديد. ولوحظ انه حين تبدل اتجاه الحقل المغناطيسي الطبيعي، بحيث اصبح الشمال

المغناطيسي، مثلا، هو الشرق الجغرافي، بدلت الطيور من وجهتها. ويبدو انها استجابت للحقل المغناطيسي واهتدت به لمعرفة الاتجاه.

لغز محير ــ كيف تمكنت الطيور من معرفةوجهتها ؟هذا هو اللغز المحير! حتى انه يكاد يخيل الى المرء ان الطائر يستخدم الحقل المغناطيسي في طيرانه، تماماً كما يسترشد الملاح بابرة بوصلته لمعرفة الشمال. واظهرت التجارب ان الطيور ربما تقيس فعلا الزاوية التي تقع بين الخطوط المغناطيسية المحيطة بالارض واتجاه الجاذبية العمودي.

لقد حقق الاستاذ وليم كيتون من جامعة كورنيل خطوة ابعد من ذلك عندما استخدم الحمام الزاجل. والمعروف ان الحمام الزاجل لا يهاجر، وانما يستغل على نطاق واسع في مختلف التجارب نظراً الى طاقاته العجيبة وامكان اعادته الى نقطة انطلاقه. وقد ربط كيتون قطعاً مغناطيسية صغيرة على ظهور بعض الحمام لتشويش حقلها المغناطيسي الطبيعي، بينما شد الى البعض الآخر قطعاً نحاسية غير ممغنطة. واطلق الحمام كله دفعة واحدة في يوم مشمس، فعادت الفئتان الى مواقعهما بدقة وسلام. ولكن حين اطلقت في يوم غائم، لم تتمكن سوى الفئة "النحاسية" من الطيران والعودة طبيعياً. اما الحمام المزود بالقطع المغناطيسية، والذي لم يستطع الاهتداء بالشمس هذه المرة، فقد تشوش حسه بالحقل المغناطيسي الصحيح، ولم يتمكن من الطيران على نحو سليم.

وهناك قدرات حسية غريبة أخرى لدى الطيور تساعدها على الملاحة في طيرانها.

لقد أظهر ميلفين كريتن، العالم البحاثة في جامعة كورنيل، ان الحمام، على الاقل، يستطيع تحري ادق الاختلافات في مقياس الضغط البارومتري، وان له حاسة بصر حادة جداً الى حد يمكنه من رؤية الضوء المستقطب والاشعة فوق البنفسجية.

ومما يزيد اللغز غموضاً تلك الاختبارات التي اجراها كريتن مع العالمة مارلين يودلوفسكي وكشفا فيها النقاب عن ان الحمام يسمع اصواتاً دون الحد السمعي، اي انه يلتقط الذبذبات المتدنية جداً للموجات الطويلة التي تحمل اصواتاً من مسافات شاسعة عبر الجو، في حين ان الاذن البشرية لا تلتقط الموجات الصوتية التي تقل عن العشر دورات حتى العشرين دورة في الثانية. ويقول العالم ستيفن إملم من جامعة كورنيل:

"لا تعيش الطيور في العالم الحسي الذي نعيش فيه نحن، بل هي تسمع وترى وتلمس عالماً ارحب وأوسع من عالمنا".

■ **ألان فيشر (الابن)**

من القاتل؟

نتحدث عن قتل الوقت وننسى ــ مع الاسف ــ ان الوقت هو الذي يقتلنا.

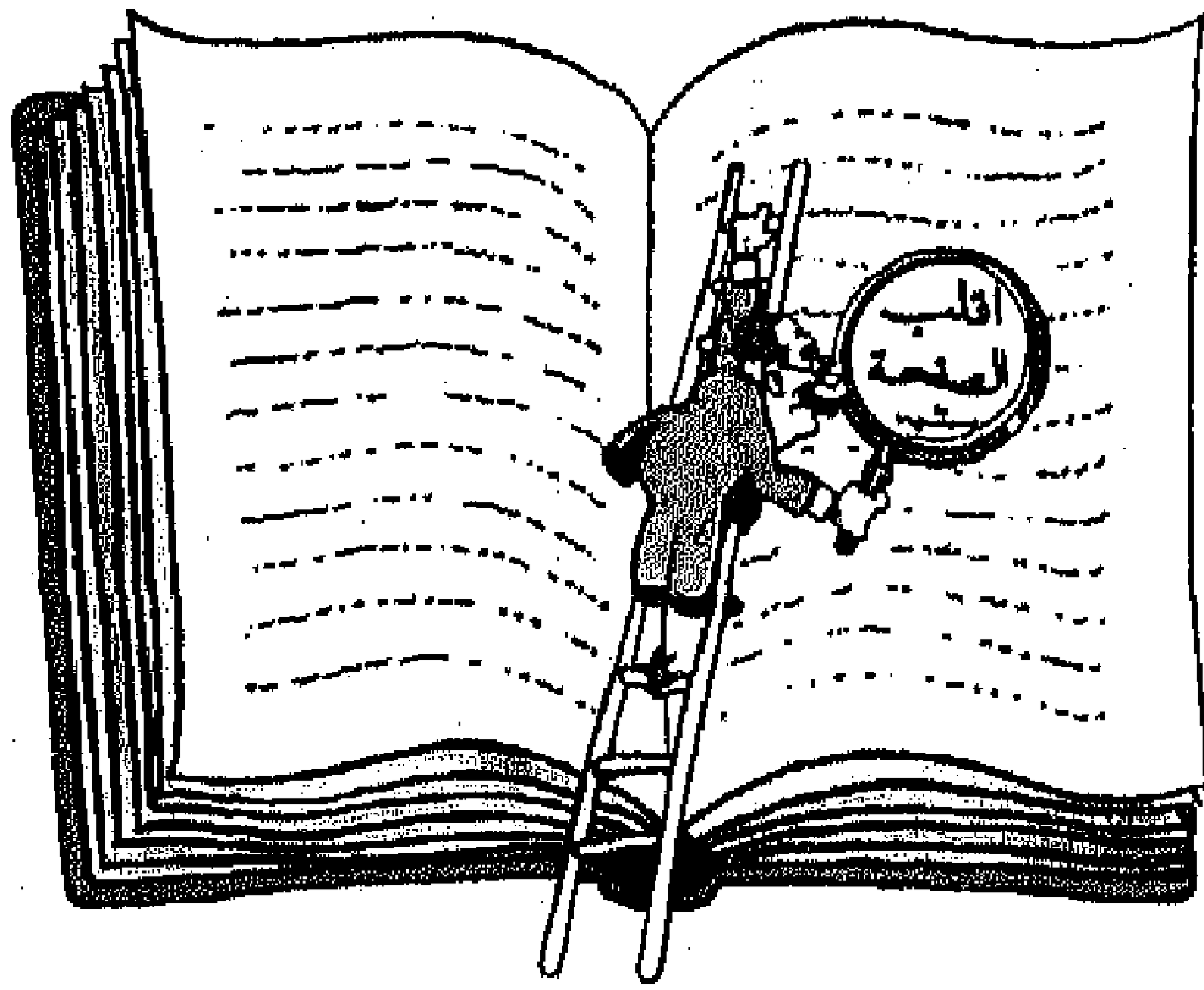
الفونس اليس

دائرة المعارف

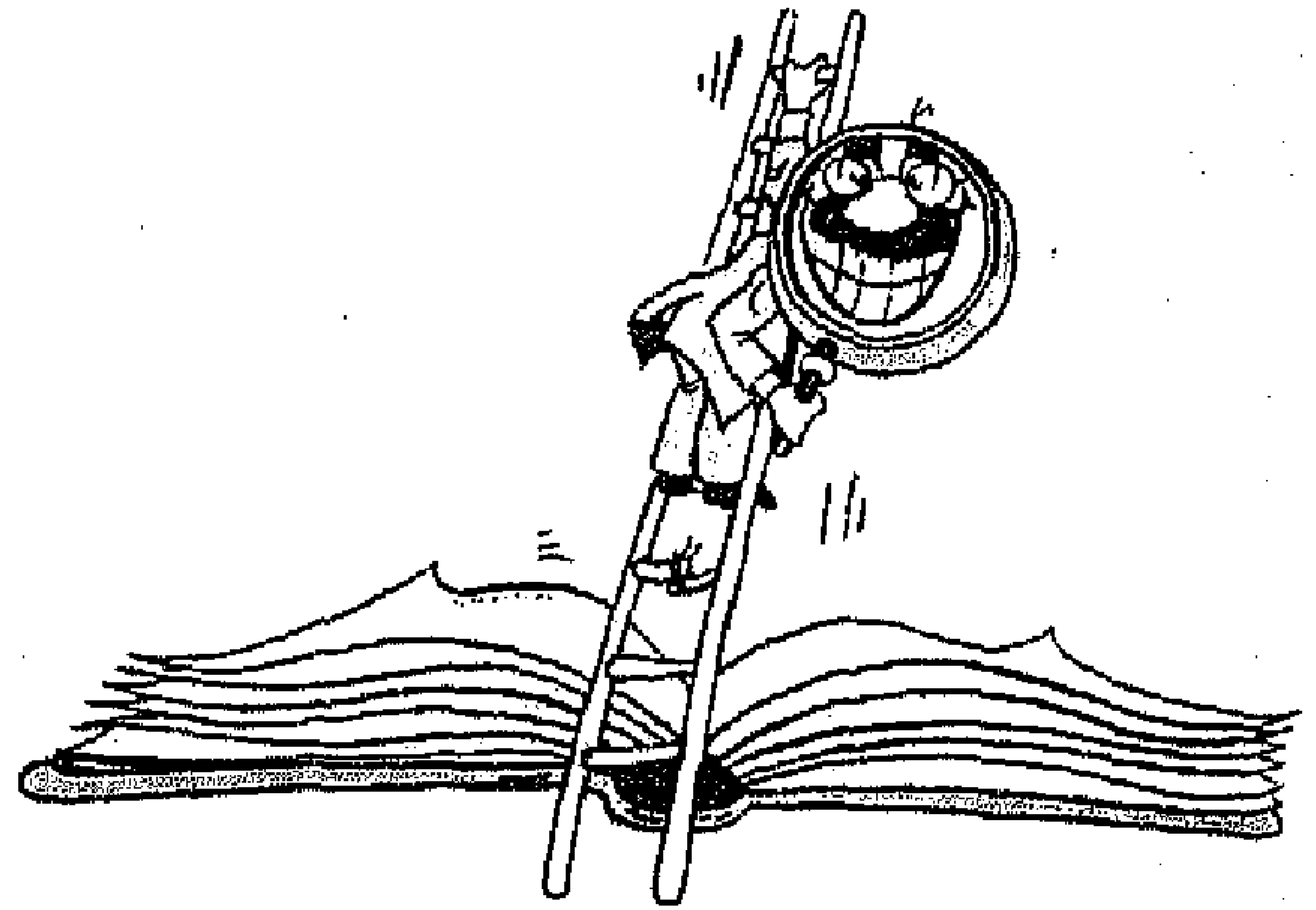
كلمات الدائرة في هذا العدد ذات علاقة بالبحار والأنهر والمطر والماء عموماً.

وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ - لُجَّة: معظم الماء - قعر - حفرة - مياه ريّ.
٢ - رافد: بحيرة - قارب - بركة - نهر يصبّ في آخر.
٣ - يَنْبوع: شلاّل - عين ماء - بركة - بئر.
٤ - ديمة: مطر - رعد - طائر بحري - عاصفة.
٥ - خليج: شاطىء - مرسى ارض - داخل بحر - بحر داخل ارض.
٦ - زَبَد: عشب بحري - قش طاف - موج - رغوة تعلو الماء.
٧ - ساقية: بركة ضيقة - نبع ماء - نهر صغير - مياه جوفية.
٨ - لسان: ارض داخلة في البحر - صخور مائية مسنّنة - ملتقى النهر والبحر - جزيرة.
٩ - مستنقَع: مياه آسنة - نهر صغير - مجتمع الماء - موضع شرب الطيور.
١٠ - قَصَبَة: قناة ضيقة - بئر - مصبّ النهر - سمكة نهرية.
١١ - طَوْف: فيضان - قارب - مجذاف - ما يعوم على وجه الماء.
١٢ - مَضيق: مرسى سفُن - بحر بين ارضين - كهف بحري - جسر.



١٣ - جَدْوَل: نبع - شلاّل - نهر صغير - ماء بارد.
١٤ - غَمام: ندى - سَحاب - برق - مطر.
١٥ - ثَغْر: نهر - مدينة على الشاطىء - منبع النهر - مصبّ النهر.
١٦ - اوقيانوس: شبه جزيرة - مجموعة جزر - بحر محدق باليابسة - نهر جليد.
١٧ - سَبَل: مطر - موضع للشرب - مياه شرب - مياه ريّ.
١٨ - حَوْض: قاع - بركة - مسبح - مجتمع الماء.
١٩ - بَرْزَخ: ارض بين بحرين - كهف بحري - جسر - عاصفة.
٢٠ - رَذاذ: نسيم - رمل - مطر ضعيف - حصى.
٢١ - جُرْف: شلاّل - صخور بحرية - ما جرفته السيول من ارض - عاصفة.
٢٢ - مَسيل: رمل ناعم - مياه متدفقة - فيضان - موضع سيل الماء.
٢٣ - يمّ: نهر - بحر - مطر - ماء.
٢٤ - تُرْعَة: خزّان ماء - قارب - قناة - مجذاف.
٢٥ - غَمْر: امواج عاتية - مطر قوي - حفرة - ماء كثير.
٢٦ - ضفّة: منبع النهر - جانب النهر - عشب نهري - بركة.
٢٧ - نَوْء: مطر - ريح شديدة - اضطراب البحر - جليد.
٢٨ - جُبّ: بئر - قاع - ضباب - نهر صغير.
٢٩ - مُزْن: برق - رعد - سحاب - ثلج.
٣٠ - أرْخبيل: نهر واسع - مجموعة جُزُر - حيوان بحري - محيط.



الأجوبة الصحيحة

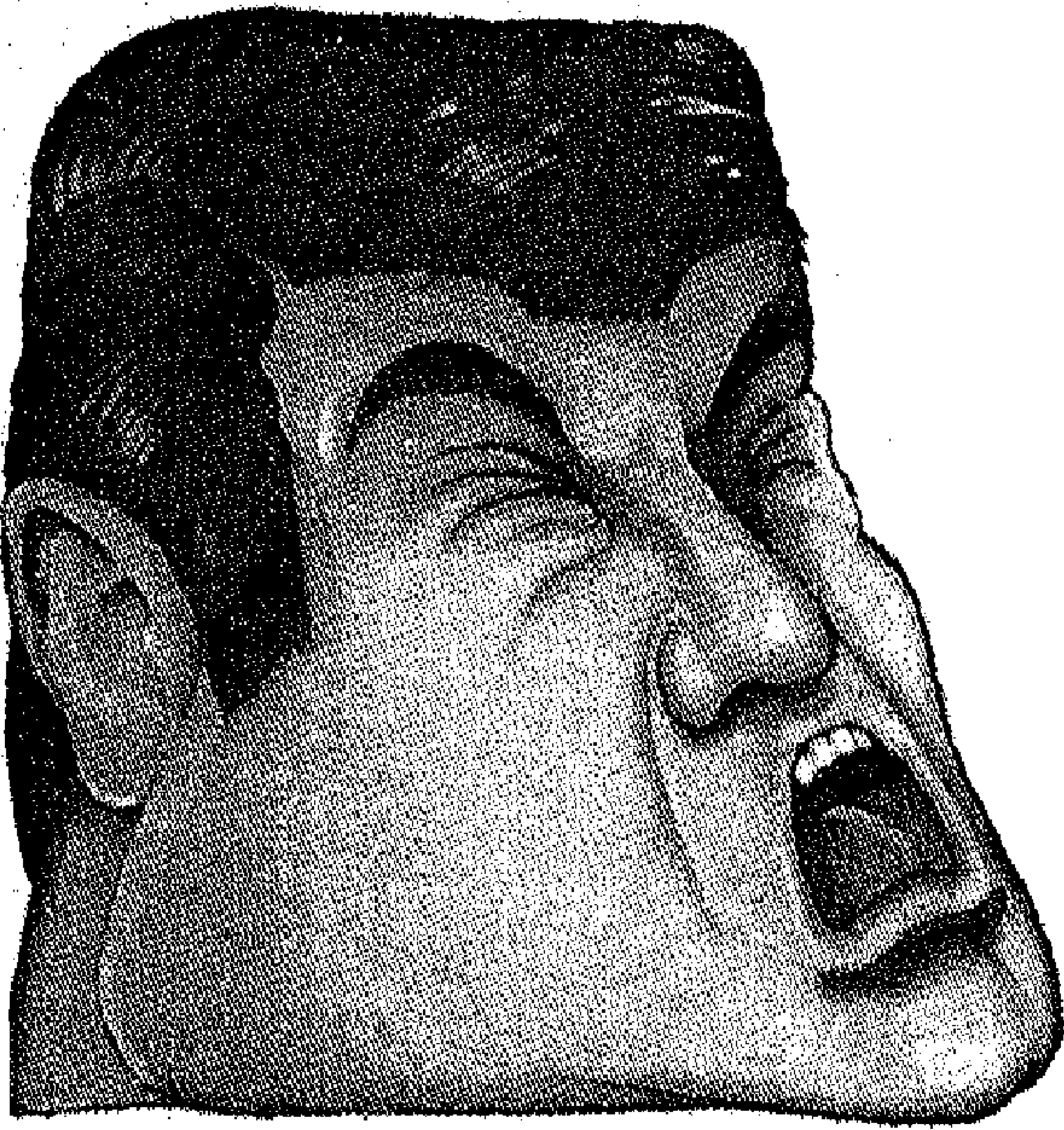
١٠ لُجّة: معظم الماء. "فلان لجة واسعة": شبيه بالبحر في سعته.
٢٠ رافد: نهر يصبّ في نهر آخر. الرافدان: دجلة والفرات.
٣٠ يَنْبوع: عين ماء. جدول كثير الماء.
٤٠ ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. ارضٌ مَديمة: اصابتها الديمة.
٥٠ خليج: بحر داخل قطعة من اليابسة.
٦٠ زَبَد: ما يعلو الماء ونحوه من رغوة.
٧٠ ساقية: نهر صغير.
٨٠ لسان: قطعة ارض سهلة داخلة في البحر. وتعرف ايضاً بالأنف.
٩٠ مستنقَع: مكان يجتمع فيه الماء. موضعٌ من الغدير ينزل فيه المرء ويغتسل.
١٠٠ قَصَبَة: بئر حديثة الحفر.
١١٠ طَوْف: ما يعوم على وجه الماء.
١٢٠ مَضيق: قطعة ضيقة من البحر بين ارضين.
١٣٠ جدْوَل: نهر صغير.
١٤٠ غَمام: سحاب.
١٥٠ ثَغْر: مدينة قائمة على شاطىء البحر. ومعناها الأصلي مكان يُخاف منه هجوم العدوّ.
١٦٠ اوقيانوس: محيط: بحر مُحدِق باليابسة من كلّ جهاتها.
١٧٠ سَبَل: المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى الأرض. أسْبَلَ الدمعَ او الماءَ او المطر: ارسله وصبه.
١٨٠ حَوْض: مجتمع الماء.
١٩٠ بَرْزَخ: قطعة ارض ضيقة محصورة بين بحرين: تصل برّاً ببر او شبه جزيرة ببر.
٢٠٠ رَذاذ: مطر ضعيف.
٢١٠ جُرْف: ما جرفته السيول من الأرض او من جانب النهر.
٢٢٠ مَسيل: موضع سيل الماء.
٢٣٠ يَمّ: بحر.
٢٤٠ تُرْعَة: قناة تصل بحرين او نهرين او قطعاً اخرى من الماء. مَسيل الماء الى الروضة.
٢٥٠ غَمْر: ماء كثير. معظم البحر.
٢٦٠ ضفّة: جانب النهر. ساحل البحر.
٢٧٠ نَوْء: مَطَر. النَّوّ (عند الملاحين): شدّة هبوب الريح واضطراب البحر.
٢٨٠ جُبّ: بئر عميقة: سُميت هكذا لأنها قُطعت قطعاً.
٢٩٠ مُزْن: سحاب: او ذو الماء منه. حَبُّ المزْن: البَرَد.
٣٠٠ أرخبيل: مجموعة جُزُر متجاورة.

المستوى	٤٥ - ٣٠: ممتاز ١٩ - ٢٤ جيد ١٣ - ١٨: مقبول

آخ... تشوا

العطس هو العامل الكبير الذي يتساوى فيه جميع الناس. وقد كتبت الروائية الانكليزية جورج ايليوت: "هناك ظروف يضطر فيها الى العطس اكثر الناس اجلالا ووقاراً".

كلنا، اذاً، يعطس. وهذا فعل غير ارادي، لا سيطرة كبيرة لنا عليه. لكن معظمنا، لحسن الحظ، يعطس مرة واحدة وينتهي الامر عند ذلك الحد.

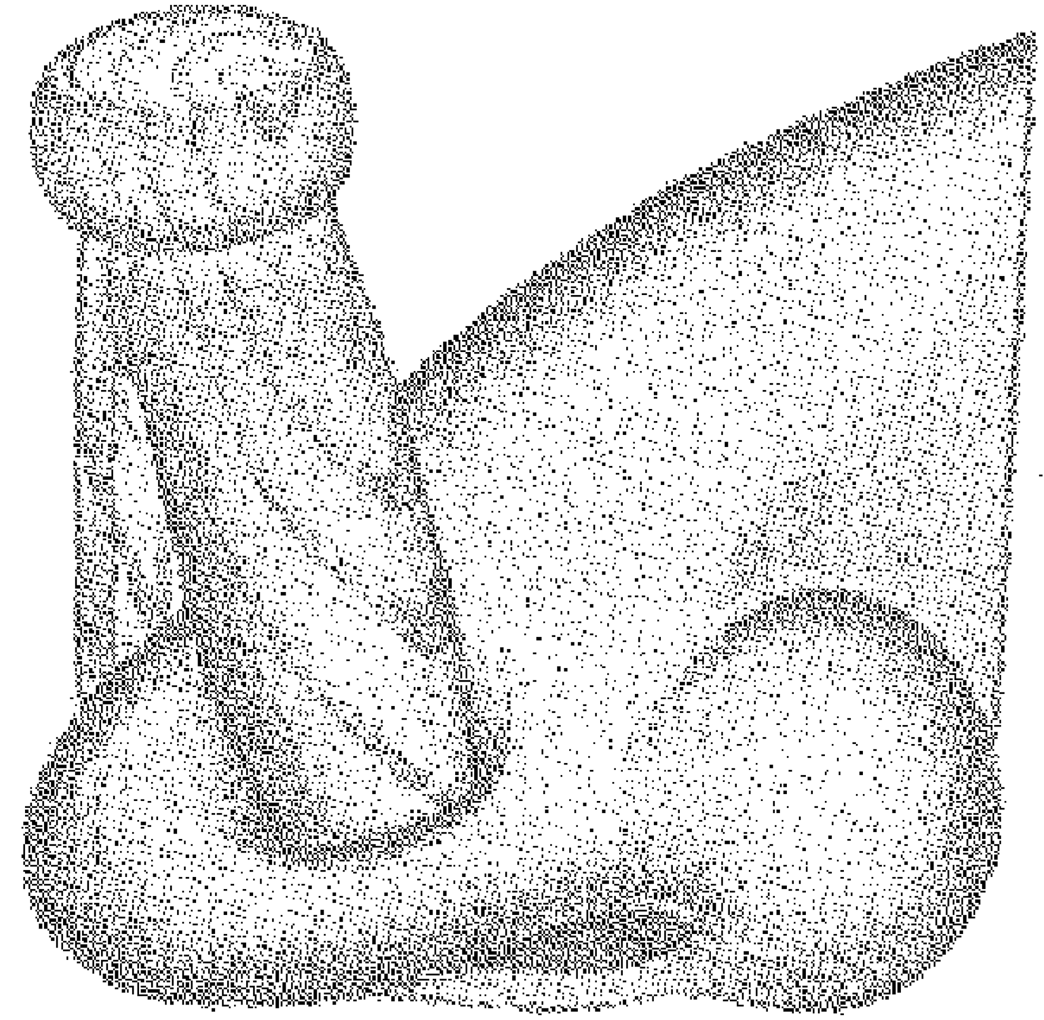


للعطس أسباب جسدية ودوافع نفسية. ولئن تعذر قطعه، ففي الامكان تخفيفه

غير ان البعض الآخر يعطس مرتين متتاليتين، بينما يعطس آخرون ثلاث مرات متتالية. وهناك شخص يبدو انه لم يجد شيئا افضل يفعله، أجرى دراسة على هذا الموضوع فتوصل الى ان بعض عادات العطس لدينا ربما نكون ورثناه عن والدينا. فكما تعطس الام يعطس طفلها.

اذا لم تستطع وقف نوبات العطس، فلا نقص هناك في طرق العلاج الشهيرة لذلك. واليك بعض الوسائل التي جربها الاطباء على اختلاف قناعاتهم: حقن كلسيوم في

العضل، تدليك العمود الفقري باليد بقصد تقويمه، عقار الادرينالين المنبه للقلب، مساحيق التخدير لمسح جدران الانف من داخل،كي العظم الغشائي للانف، مضادات



الهيستامين، المسكنات، سوائل التنقيط والحبوب... وحتى العلاج النفسي!

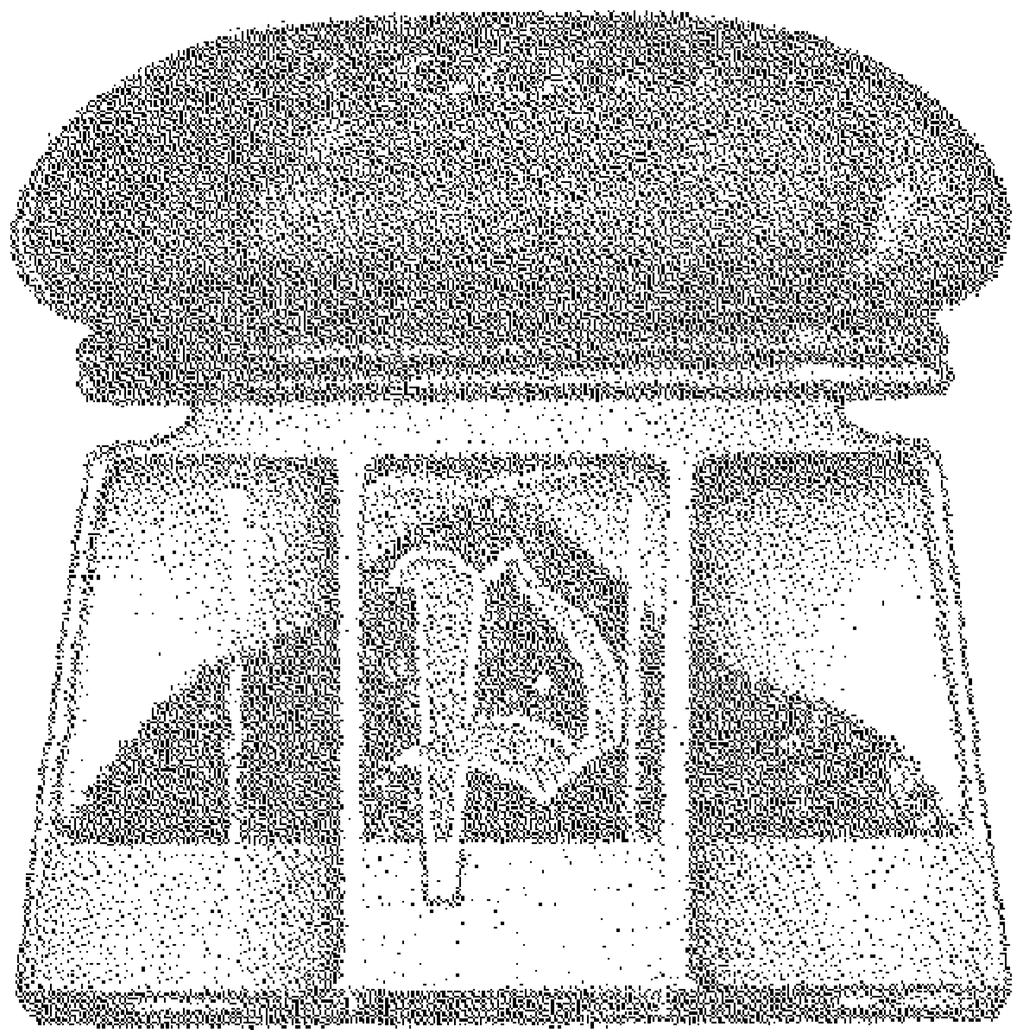
هناك اقتراحات اخرى تستند الى ما تناقلته اجيال من العجائز، منها: قف على رأسك، اضغط على شفتك العليا، ضع دبوساً على انفك، ردد الحروف الابجدية معكوسة من نهايتها الى بدايتها، شم رائحة الثوم او الفجل، ادهن وجهك بالسمن او ضع بعض قطع الثلج عليه. وربما اجدى العمل بهذه الوصايا الفولكلورية اذا لم تستطع التوقف عن العطس بطرق اخرى.

ما سبب العطس؟

ان تهيج العظم الغشائي للانف يدفع الدماغ، عبر عصب ممتد بين الانف والرأس، الى اطلاق سلسلة من ردود الفعل الوثيقة الصلة بعصب العضلات، فيحدث العطس. وتتسلسل العملية كالآتي: يتهيج الانف فيرسل اشارات الى الدماغ. يوحي الدماغ الى الانف بانتاج سائل صاف. يتصل الانف مرة اخرى بالدماغ، وبمركز التنفس على وجه التحديد، فيحملك الدماغ على الشهيق يتبعه زفير عند الفم مع صوت انفجار.

دور الانفعالات – عموماً، المسؤول عن التهيج حبة، بل حبيبة، من الغبار او شعرة او ذرة من مسحوق الفلفل او روائح البهارات الاخرى. لكن الدور الذي تلعبه الانفعالات في انتفاخ العظم الغشائي للانف أو تقلصه لا يقل عن دور العوامل الاخرى. فالتهيج الجنسي، مثلاً، يثير نوبات العطس. كما ان الصرع وسواه من الاعراض يمكن ان تحدث العطس. وكذلك الامر بالنسبة الى الاضواء الخاطفة وحالات الرشح وغير ذلك من العوامل التي تؤثر في الجهاز العصبي.

قديماً قال ارسطو اننا لا نعطس ونحن نيام. وهذا يبدو صحيحاً. ومن المستبعد أن يعطس أحد وهو يؤدي دوراً ما امام الناس. وربما كان هذا عائداً الى ان تدفق المزيد من الادرينالين يخمد العطس ويحول دون



انطلاقه. لكن هذا لايزال محض افتراض.

عندما تعطس تتطاير آلاف الذرات

على هامش العطس

☐ لا تستطيع ان تلاحظ نفسك وانت تعطس اذ تكون عيناك دائماً مغلقتين.
☐ التفوه بلفظ "عطس" في بعض اللغات قد يبدو كأنه صوت العطس بعينه. فهو "كوشامي" في اليابانية و"كيتشنيبيشي" في البولونية و"كيتشنوني" في التشيكية.
☐ قبل قرن كانت تطلق على اللصوص عبارة "مترصدي العطس"، لأنهم كانوا يقتربون من الغرباء ويرمون السعوط في وجوههم، فيسرقونهم وهم يعطسون!
☐ اوصى ابقراط (ابو الطب الاغريقي الذي يؤدي متخرجو كليات الطب قسمه الى يومنا هذا) بالعطس كعلاج للفواق (الحازوقة). وربما لاحظ انه يتعذر على مرضاه الفواق والعطس في آن واحد.
☐ في بعض القبائل الافريقية كان العطس يعتبر دفقاً لحياة الروح. لذلك كان ينظر اليه على انه حدث مبارك. وفي الصين اعتقاد شائع قديم يقول: "اعطس وانت تقامر، فستربح حتماً"!

المشبعة بالرطوبة. وقد تولى مرة خبيران من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا تصوير العطسات وقياسها، مستعملين اداة خاصة للقياسات الدقيقة، فوجدا ان سرعة انطلاق تلك الذرات تبلغ ١٦٦،٧ كيلومتراً في الساعة وتصل الى مدى ثلاثة امتار ونصف متر. ويهبط بعض الذرات فور خروجه من الانف، بينما يستغرق هبوط البعض الآخر وقتاً اطول.

واذا كانت ذرات العطسة تحتوي على الجراثيم المؤذية، فويل لمن يمر بجانبها. ويمكن ان تسبب العطسات في الهواء الطلق أكثر من رشح لمن يصادفها. وقد عزيت الى تلك العطسات المشبعة بالجراثيم مسؤولية انتشار الانفلونزا عام ١٩١٨، كما انها ساهمت في اشاعة وباء الطاعون الذي خيم على اوروبا في القرون الوسطى.

لذلك من الافضل ان تغطي فمك عندما تعطس. واذا صوبت عطستك الى اسفل، فان معظم الرذاذ الذي يفلت سيهبط مباشرة الى الارض ويستقر هناك بدلا من ان يتطاير في الجو وينقض على المارة الابرياء.

واذا حاولت كبت عطسة، فربما أسفر ذلك عن خدش بعض الانسجة الدقيقة في انفك او حتى عن كسر بعض العظام داخل الانف وحوله. وان سد الخياشيم قد يحول الجراثيم الى داخل الجيوب الانفية ويعمل على التهابها. والاسوأ من ذلك ان كبت عطسة قد يؤدي الى انتزاع عظمة في وسط اذنك من مكانها. لكن ذلك لا يحدث الا نادراً. وعلى اي حال، من الافضل لأولئك الاشخاص الذين تحملهم لياقتهم على خنق عطسة في مهدها ان يطلقوها من عقالها مع مراعاة احتواء رذاذها ما امكن.

سئل مرة المعلق اللاذع الشهير آرت بوكوال عما يجعله سعيداً، فاجاب: "عطسة جيدة... اذ لا يوجد مثلها مما يجعلك تشعر بأنك شاب وملىء بالنشاط ومستعد لمواصلة مسيرة الحياة".

■ دان كارلينسكي

اوجاع الدولار

إن المتاعب التي يعانيها الدولار أدت الى أزمة ثقة واسعة النطاق

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، هبطت قيمة الدولار الامريكي الى حد مخيف انتهى به الى انزلاق خطير في الاسواق الدولية. ثم استعاد الدولار جزءاً من عافيته، لكنه لم يلبث ان هبط مرة اخرى في ربيع ١٩٧٩، وأمضى بعد ذلك صيفاً قلقاً حافلا بالتقلبات.

ويرى بعض الخبراء ان الدولار سيظل عرضة لمزيد من التقلبات في السنوات المقبلة، وستهبط قيمته مراراً بالنسبة الى بقية العملات الصعبة كالمارك الالماني والين الياباني والفرنك السويسري. فعلى من تقع المسؤولية في متاعب الدولار؟

لقد رأينا ايضاح ذلك من خلال الاسئلة الاساسية المتعلقة بهذه المتاعب على الصعيد الدولي:

■ **ما هو سبب انخفاض قيمة الدولار بالنسبة الى العملات الاخرى؟**

لقد خسر الدولار، منذ العام ١٩٧٠، نصف قيمته تقريباً بالنسبة الى المارك الالماني، وقرابة ٦٠ في المئة من قيمته بالنسبة الى الفرنك السويسري. واذا تجاوزنا التعابير الفنية، فسنجد امامنا تفسيراً بسيطاً للامر:

ان قيمة الدولار تهبط نظراً الى وفرته في الاسواق. وبعبارة اخرى، فان التضخم في النقد المعروض

يتسبب في انخفاض قيمة الدولار في بلاده،لكنه يؤدي أيضاً الىتقلص قيمته في الخارج "ذلك لأن قانون العرض والطلب ينطبق على المال كما ينطبق على اي حقل آخر. فالاستمرار في انتاج الدولارات من دون رادع يفضي حتماً الى خفض قيمتها، ليس داخل الولايات المتحدة فحسب، بل حيثما كان". ذلك ما قاله فيرمونت رويستر من "وول ستريت جورنال".

ان قيمة الدولار الامريكي، بالنسبة الى العرب او الالمان او الفرنسيين او اليابانيين، مرهونة بقدرتهم على صرفه في الولايات المتحدة الامريكية. وهناك سوق دولية شاسعة للعملات الاجنبية تمتد في نواحي العالم كلها وتربط بين اطرافها وسائل اتصال فائقة السرعة، تيسيراً للعمليات التجارية الدولية. وهكذا يتم تحويل الدولارات الامريكية الى ينات لشراء الراديوات اليابانية، وتحويل الجنيهات الاسترلينية الى فرنكات فرنسية لدفع ثمن العطور. كما يتسنى للامريكي الذي يستورد السيارات من المانيا الغربية ان يحول دولاراته الى ماركات المانية لهذا الغرض. ويؤمل،طبعاً، ان يقبل رجال الاعمال الألمان في الوقت نفسه على تحويل الماركات الى دولارات كي يشتروا بها، مثلا، تبغاً امريكياً.

غير ان الدولار فقد، في غضون السنوات الاخيرة، جانباً كبيراً من قوته الشرائية، بحيث اصبح الامر يستلزم كميات متزايدة من الدولارات لشراء سيارات مرسيدس - بنز من المانيا او ساعات سايكو من اليابان او ملابس كاشاريل من فرنسا.

وبينما تدنى معدل التضخم في ١٢ بلداً من البلدان الصناعية الاربعة عشر في العام ١٩٧٨، ارتفع في الولايات المتحدة وواصل ارتفاعه خلال ١٩٧٩ على نحو يثير القلق. ونتيجة لذلك تراجع الدولار في العام ١٩٧٨، ليس امام الفرنك والمارك والين فقط، بل امام اللير الايطالي نفسه الذي اشتهر بعدم الاستقرار.

وقد امكن وقف الانزلاق الخطر للدولار بفضل الخطة الامريكية "لانقاذ الدولار" التي استهدفت سحب الدولارات الفائضة من الاسواق العالمية. وعمل مصرف الاحتياط الفيديرالي (المصرف المركزي الامريكي)، في الوقت نفسه، على تقييد النقد المعروض داخل الولايات المتحدة. الا انه من غير المحتمل ان يتمكن الدولار من استعادة كامل القيمة التي فقدها خلال السنوات الاخيرة.

■ ما هو تأثير هبوط قيمة الدولار على المواطن الامريكي العادي؟

لا شك في ان هبوط قيمة الدولار يزيد من حدة التضخم بالنسبة الى المواطن الامريكي العادي. ذلك لان ٢٠ في المئة من مجموع السلع المبيعة في الولايات المتحدة اليوم هي سلع مستوردة. ولما كانت قيمة الدولار قد تدنت بالنسبة الى العملات الاخرى، فان ذلك أدى الى ارتفاع اسعار جميع السلع المستوردة. وتشمل هذه السلع الاجنبية اكثر من نصف الاحذية التي يشتريها الامريكيون، ونصف السترات الصوفية، وثلث القمصان، و١٦ في المئة من اجهزة التلفزيون الملون، و٢٢ في المئة من السيارات. ولا شك

في ان ارتفاع اسعار هذه السلع يبعث على تفاقم التضخم داخل البلاد.

ومع ارتفاع اسعار السلع الاجنبية شعر المنتجون الامريكيون، تحت ضغط الكلفة الزائدة، بمزيد من الحرية في رفع اسعار منتجاتهم بالمثل. وفي العام ١٩٧٧ خفضت شركة جنرال موتورز اسعار سياراتها الشيفروليه "شوفيت" بنسبة ١١ في المئة كي تتمكن من منافسة السيارات الاجنبية المستوردة في مناطق الساحل الغربي للولايات المتحدة. غير ان الارتفاع الذي طرأ بعد ذلك على اسعار هذه السيارات الاجنبية (هوندا ١٨،٩ في المئة، تويوتا ١٧،٣، داتسون ١١،٢) بسبب انزلاق الدولار، اتاح لشركة جنرال موتورز ان ترفع سعر السيارة "شوفيت" بنسبة ١١ في المئة ليعود الى مستواه السابق.

ويضاف الى ما تقدم ان هبوط قيمة الدولار يحفز مواطني بلدان "العملات الصعبة" على تثمير اموالهم في العقارات الامريكية، ويتيح لهم منافسة المشترين الامريكيين، مما يؤدي الى تزايد اسعار هذه العقارات. وتقول صحيفة "يو إس نيوز آند وورلد ريبورت": "ان اغراء الصفقات العقارية الامريكية، التي تعتبر اربح الصفقات في العالم، يجتذب المستثمرين البريطانيين والهولنديين والفرنسيين الى شراء مباني المكاتب في العاصمة واشنطن وفي هيوستون (ولاية تكساس) وغيرهما من المدن المزدهرة، بينما تجتذب المزارع القائمة في دلتا نهر المسيسيبي المشترين الالمان والايطاليين واليابانيين".

■ الم يكن منتظراً من برنامج الطاقة الشامل الذي وضعه الرئيس كارتر ان يؤدي الى انقاذ الدولار؟

لقد صرحت الحكومة مراراً خلال العام ١٩٧٨ بأن ضخامة المستوردات النفطية هي مصدر الصعوبات التي يعانيها الدولار، وان حل المشكلة مرهون بموافقة الكونغرس الامريكي على برنامجها الخاص بالطاقة. ولكن ماذا حدث بالفعل؟

لقد اصدرت السوق الدولية حكمها، بسرعة وحسم، على مشروع قانون الطاقة باعتباره الدواء الناجع للمتاعب التي ينوء بها الدولار. ففي ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، أي اليوم التالي لموافقة الكونغرس على برنامج الطاقة الشامل، هبطت قيمة الدولار على نحو حاد بالنسبة الى العملات الرئيسية الاخرى. ثم اعقب ذلك انزلاق سريع لتلك القيمة، مما اثبت بوضوح ان حل المشكلة لا يكمن اطلاقاً في قانون الطاقة.

وحقيقة الامر ان الدولار كان يتراجع حتى قبل الحظر النفطي الذي فرضه العرب عام ١٩٧٤. وظلت الولايات المتحدة تشهد الانخفاض الخطير في قيمة دولارها وهي لا تستورد سوى ٤٠ في المئة تقريباً من حاجتها النفطية، بينما كانت المانيا واليابان وسويسرا تشهد ازدياد قيمة عملاتها وهي تستورد جميع حاجاتها من النفط.

وكانت هذه البلدان تدفع ثمن نفطها، عموماً، بأموال مكتسبة داخل نطاق اقتصاداتها، بينما كانت الولايات المتحدة تمول استيراداتها من النفط بالاعتماد على تضخم

عملتها. ويقول الكاتب الامريكي هوربارت رووين المتخصص في الشؤون المالية: "لما كانت هذه البلاد (الولايات المتحدة) تبتاع المزيد من السلع وتصرف من المال في الخارج اكثر مما تجني من مبيعاتها واستثماراتها الخارجية، فقد بادرت الى سد الفجوة المحدثة بطبع كميات اضافية من الدولارات".

وكانت النتيجة المنطقية ان انتهى الذين يتقاضون هذه الدولارات الى الارتياب بقيمتها، إذ ان تلك الكميات الضخمة منها كانت توجه الى الخارج لتسديد المستحقات على الولايات المتحدة. والواقع ان "اوبيك" (منظمة الدول المصدرة للنفط) اظهرت ميلا الى زيادة اسعار النفط كي تعوّض الخسارة المترتبة على انخفاض قيمة الدولار.

■ **هل يكمن العلاج الناجع في خطة "الدفاع عن الدولار"؟**

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، أعلن الرئيس الامريكي جيمي كارتر برنامجاً جريئاً واسع النطاق "للدفاع عن الدولار"، تتدخل الولايات المتحدة بمقتضاه في اسواق النقد العالمية لتشتري الدولارات دعماً لسعرها. وقد كان للصدمة التي احدثها ذلك الاعلان اثرها الفوري، اذ حققت سوق الاوراق المالية اكبر كسب سجلته في يوم واحد طوال تاريخها. فصعد مؤشر "داو جونز" لمتوسط اسعار الاسهم الصناعية بما يزيد على ٣٥ نقطة، كما ارتفع سعر الدولار بنسبة ملحوظة في مختلف اسواق العملات الاجنبية.

غير ان هذا الارتفاع الحاد في قيمة الدولار قصر عن تعويض خسائر العامين السابقين. ويشك الاختصاصي الاقتصادي ميلتون فريدمان في ان تتجاوز "عملية الانقاذ" هذه حدود التأثير السياسي او النفسي. ويبدي فريدمان وغيره توجساً، له ما يبرره، في شأن برنامج "الدفاع عن الدولار"، لان هذا البرنامج استلزم اقتراض كميات ضخمة من الماركات الالمانية والفرنكات السويسرية والينات اليابانية من اجل استخدامها في شراء الدولارات لتعويم قيمتها المتدهورة. وقد بلغ ما صرفته الولايات المتحدة في هذا الصدد، حتى اول يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، ما يزيد على ٦،٧ مليارات دولار من هذه العملات الاجنبية، استعانت بها على شراء بضعة مليارات من الدولارات دلالة على رواج الدولار وسعياً الى دعم قيمته. لكن هذا الاسلوب لا يخلو من الشوائب. ويقول ليندلي كلارك الابن في صحيفة "وول ستريت جورنال": "ان هذه العملات الاجنبية لا مفر من تسديدها بعد حين. وهذا امر سيترتب عليه، بالضرورة، عكس الاثر الذي احدثه شراء الدولارات من قبل".

ويعقب الاقتصادي دين تيلور، من جامعة ولاية نيويورك في مدينة ألباني، على ذلك بقوله: "ان هذه العملية غالباً ما تكون خاسرة. فليس للولايات المتحدة، في ما يتعلق بانقاذ الدولار، سجل محمود، بل انها خسرت فعلا قرابة ملياري دولار في مثل هذه المضاربات منذ ١٩٧٣".

■ **كيف يتحقق، اذا، انقاذ الدولار الامريكي؟**

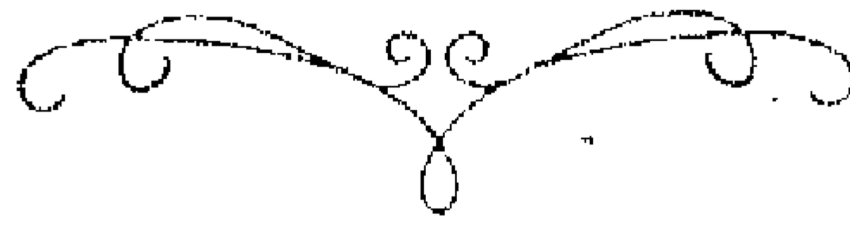
ان جوهر المشكلة هو التضخم، ذلك

التضخم الذي يقع فيه اللوم على عاتق الحكومة نفسها. وعلى الحكومة ان تكف عن صرف اموال تزيد على دخلها من الضرائب، لانها درجت على تعويض العجز باغراق الاقتصاد بأوراق النقد الجديدة المطبوعة. وهو امر يؤدي حتماً الى ارتفاع الاسعار.

ولعلنا نستطيع القول، في التحليل الاخير،ان ازمة الدولار هي ازمة ثقة، ازمة ثقة بقدرة الحكومة على القيادة. لكنها، قبل كل شيء، ازمة ثقة باعتزام الحكومة على ترتيب امورها المالية. غير ان ضعف ثقة البلدان الاخرى بهذا الاعتزام افضى الى تدهور الدولار. وعلى رغم ان خطة "الدفاع عن الدولار" حققت بعض النجاح، الا ان التضخم في الولايات المتحدة استمر بمعدل مرتفع. وما زالت البلدان الاخرى تراقب الموقف لترى كيف ستعالج واشنطن هذه المشكلة.

ان الثقة لا تكتسب بعمليات انقاذ في اسواق النقد، ولا ببيع احتياط الذهب الثمين للحصول على النقود الورقية التي تصدرها الدول الاخرى. الثقة لا تكتسب الا باتباع خطط التقشف والالتزام الدقيق بها، وبالحرص على تناسب النمو في حجم الكتلة النقدية مع النمو الحقيقي لنتاج البلاد، وبالاطمئنان الى استقرار قيمة النقد كي يستطيع الناس الركون الى ثبات الدولار اليوم وفي العام المقبل والعام الذي يليه. ان لهذا الاستقرار اهميته العظمى في ضمان صحة الاقتصاد وسلامته.

■ **رالف كيني بينيت**



نقودك ونقودهم

حين يقول لك شخص: "ان الامر لا يتعدى بعض النقود"، فهو يتحدث عادة عن نقودك انت.

صحيفة "شيكاغو تريبيون"

فلسفة الشك

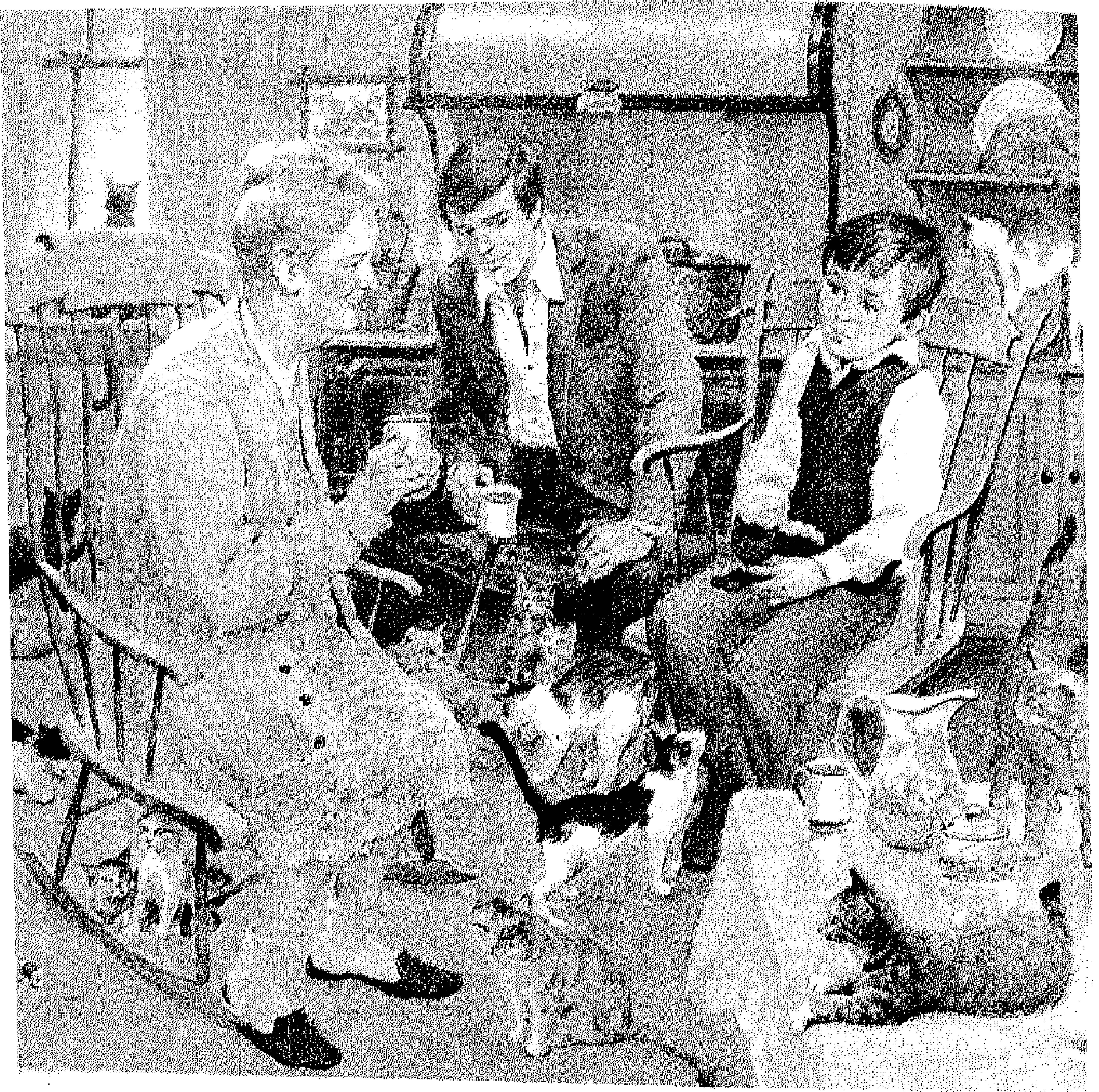
سئل الفيلسوف برتراند راسل اذا كان مستعداً للموت في سبيل ما يعتقد، فاجاب: "كلا بالطبع، اذ بعد هذا كله، ربما كنت على خطأ".

ل.ل.

الاسوأ

اعلان عن عقار في صحيفة محلية:
"شقة رائعة لاعزب. كفى احلاماً، فقد حققنا لكم ما تريدون. بيت مترف مصمم خصيصاً للباحثين عن المتعة. قابل للتحويل الى بيت عائلي اذا حصل الأسوأ".

ب.ن.



قصّة قِط

عالم الطفولة
ساحر وغريب
لا يستطيع ولوجه الا الحنان

صوت طفولي سألني عبر الهاتف: "هل أنت الرجل الذي يبحث عن القطط الضائعة؟"

أجبت: "هذا صحيح، ماذا أستطيع أن أفعله من أجلك؟"

قال: "ساعدني في العثور على تشارلي، إنه رمادي اللون، ذو خطوط سوداء، أعطتني اياه أمي، وقد اختفى منذ أربعة أيام".

قلت: "حسناً، هل يمكنني أن

أتحدث الى والدتك؟" فقد اعتدت، عندما يتصل بي الاطفال، أن أستوثق من روايتهم بالتحدث الى ذويهم واطلاعهم على ما يجري.

وسمعت، عبر الهاتف، صوت رجل تملكه التوتر والارهاق:"أنا والد مايك، وقد توفيت زوجتي. اسمع يا سيدي، إن الصبي يلاحقني بلا رحمة في شأن ذلك القط اللعين. وقد نشرنا إعلاناً في الصحف، وقلت للولد أننا لا نستطيع تحمل أي تكاليف أخرى".

قلت:"إن الاطفال يتعلقون عادة بحيواناتهم الاليفة، وخصوصاً ان والدة مايك هي التي أعطته تشارلي".

أجاب:"هذا هو الامر بالضبط. وعندما توفيت والدته كان منضبطاً كجندي صغير شجاع، فلم يبك أو يبد أي تصرف من هذا القبيل. وقد انقضى على ذلك ستة أشهر، ظل طوالها في حال حسنة حتى طرأ علينا حادث القط".

قلت:"فهمت. هل يمكنني أن أتحدث الى مايك ثانية؟"

وسألت مايك إذا كان يهمه أن أمر عليه في ذلك الصباح كي نتحدث عن تشارلي. فقال متلهفاً:"بالتأكيد. إن معي نحو ١٢ دولاراً، فهل يكفي ذلك؟"

ومس كلامه وتراً في نفسي، فقد عرض علي بعض الناس آلاف الدولارات كي أجد لهم حيواناتهم الأليفة المفقودة، ولكن لم يسبق لي أبداً أن عرض علي أحد كل ما يملكه. ووجدتني لا أستطيع أن أرفض الصفقة.

كان مايك كننغهام يعيش ووالده في الجانب الغربي من مدينة سان فرنسيسكو في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وعندما وصلت الى البيت فتح لي مايك الباب، فوجدته صبياً صغير الجسم، قاتم الشعر، ذا عينين بنيتين واسعتين، بدا في العاشرة من عمره. وعلمت منه أن أباه ملتزم بوظيفتين، مما يفرض الوحدة على مايك معظم الوقت. فلا عجب، إذاً، من تلهفه لاسترجاع تشارلي.

وأدركت أن لا بدّ لي من قبول المهمة، سواء أحصلت على أجرتي أو لا. وقال لي مايك إن تشارلي يتميز ببقعة بيضاء على صدره شبيهة بالبيضة تماماً.

وقلت:"هذا هو ما سنبرزه في اعلاننا". وشرحت له ما ننوي عمله من طبع الملصقات والبحث في ملاجىء الحيوانات. وبدت على الصبي ملامح اليأس والتعاسة فاقترحت عليه أن يصحبني وقلت:"كن مساعداً لي في مهمتي وسأمنحك خفضاً في الاجرة".

وفي اليوم التالي، وكنت أضع ملصقاً في محل كبير لبيع المواد الغذائية، لاحظت أن هناك طاولة على الطراز القديم لبيع اللحوم. وتذكرت أني عندما كنت طفلا كان تاجر اللحوم يعرف أسماء جميع الحيوانات الاليفة في الحي. وسألت هذا القصاب عما إذا بلغ مسمعه أن أحداً عثر على قط اسمه تشارلي.

فقال اللحام:"هل تحدثت الى السيدة المولعة بالقطط والتي تأتي الى هنا لتجمع أحمالا من بقايا السمك والعظام تكفي لتغذية بيت كامل من القططط؟"

وبينما كنت أتجول بسيارتي عصر ذلك اليوم لاحظت مجموعة من القطط مستلقية على الدرج الامامي لبناء قديم متداع، وخطر لي أن هذا قد يكون بيت السيدة المولعة بالقطط، فأوقفت السيارة وصعدت الدرجات القليلة وقرعت الجرس ففتح الباب فتحة صغيرة، وسمعت صوت سيدة تسأل بلكنة بريطانية خالصة: "نعم، ماذا هناك؟"

فقدمت اليها إحدى بطاقاتي، وأنبأتها بأني متخصص في البحث عن الحيوانات الاليفة الضائعة.

فقالت السيدة: "هذا ما تعمله إذاً!" ثم فتحت لي الباب وهي تقول محذرة: "انتبه لقططي".

وما إن خطوت داخل البيت حتى رأيت تلك القطط، بين متشامخ وجاثم ورابض ومتسكع ومتكاسل، قطط في كل مكان! وقادتني السيدة الى مطبخ مزدحم على نحو يكاد لا يصدق، لكنه مع ذلك يوحي بالالفة والراحة، وفي جانب منه موقد عليه ابريق ووعاء هائل مغطى في داخله شيء يطهى.

وقالت السيدة: "اجلس يا عزيزي، أنا السيدة بنتويسل، وسأحضر لك كوباً من الشاي اللذيذ".

العائلة السعيدة ــ كانت السيدة في أواخر العقد السابع من العمر حسبما قدرت، قصيرة القامة، وقد جمعت شعرها الرمادي خلف رأسها بالامشاط وطلت وجهها وشفتيها بمساحيق من دون اعتناء أو ترتيب.

وتناولت السيدة كوبين من خزانة المطبخ وملأتهما بالشاي. فأخذت رشفة أوشكت بعدها أن اتقيأ لأن الشاي كان ثقيلا إلى درجة لا تصدق.

وسألتني: "ما رأيك في هذا الشاي؟"

قلت: "إنه... حاد المذاق الى درجة غير عادية".

فقالت موافقة: "نعم، لا مثيل له"، ورشفت جرعة كبيرة.

وقلت: "إني أبحث عن قط رمادي اللون مقلم بخطوط سوداء".

فصاحت: "ها! إن لدي ملايين القطط، فلماذا لا تنظر بنفسك؟" واتجهت متثاقلة الى الموقد وهي تقول: "لقد حان وقت إطعام القطط يا سيد بونز. رؤوس سمك وبطاطا رائعة". ثم رفعت الغطاء عن الوعاء الهائل فتصاعدت منه رائحة رهيبة. وأخذت تدق على جانب الوعاء بملعقة معدنية وهي تصيح: "الطعام جاهز".

فامتلأ المطبخ فجأة بالحياة، في كتل متواثبة من الفراء. وأخذت السيدة بنتويسل تغرف من محتويات الوعاء الضخم وتفرغها في جرنين كبيرين على الارض. ولم تنقض خمس دقائق حتى اختفى الطعام واختفت القطط.

وقالت السيدة بلهجة الرضا: "ها قد شبعت. فهل وجدت بينها القط الذي تبحث عنه؟"

قلت: "للأسف لم أجده". ثم رويت لها قصة مايك وقطه، وختمت حديثي قائلا: "إنه صبي شجاع جداً، بل لعله أجرأ من اللازم".

قالت: "أوه! إنه أمر مؤسف حقاً! لماذا لا تمر غداً لتلقي نظرة أخرى؟ **هناك قطط جديدة تأتي الي كل يوم**".

وجلست في اليوم التالي أرشف شاي السيدة بنتويسل الرهيب. فعلمت منها أنها جاءت مع زوجها

الى الولايات المتحدة قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية قادمين من شرق لندن الذي دمرته القنابل. وقالت:"إننا قضينا هنا حياة طيبة، أنا وزوجي. وقد توفيمنذ نحو عشر سنين رحمه الله. لكن الحياة تستمر، وعندي قططي التي أرعاها. مسكين مايكي. كلهذه القطط هنا وليس بينها قط" تشارلي!"

وأستأذنتها كي اتصل بمكتبي هاتفياً واستعلم عن ورود أي رسائل، فقيل لي أن أحد الاشخاص اتصل بي ليعلمني بأنه وجد جثة قط مهشمة وسط الشجيرات قرب منزل مايك. فأنهيت المكالمة وقلت للسيدة بنتويسل إني اخشى أن أكون قد بلغت خاتمة بحثي.

فقالت:" ياللصبي المسكين! انتظر لحظة". واختفت هنيهة ثم عادت تحمل صندوق أحذية فارغاً وهي تقول:"إذا كان القط الميت هو تشارلي فسوف يحتاج مايكي الى صندوق يدفنه فيه على نحو لائق".

ووجدت القط" في المكان الذي أشار اليه صاحب المكالمة. وكانت مواصفاته مطابقة تماماً لمواصفات تشارلي. فوضعت الجثة في الصندوق الفارغ، وقدت سيارتي بقلب مثقل الى بيت مايك.

حنان وكبرياء — قرعت الجرس، ففتح مايك لي الباب وسألني بلهفة:"هل عثرت على تشارلي؟"

قلت:"اسمع يا مايك، إن لدي أنباء سيئة. لقد مات تشارلي". فتلاشى الدم من وجه الصبي.

ولمأشأ أن أترك مايك وحده قبل أن يعود أبوه من عمله. فاقترحت عليه ان اقوم واياها سوياً بدفن تشارلي.

وبينما كنا نسجي القط في مقره الاخير طرأت فكرة على ذهني، فقلت للصبي:"اسمع يا مايك، هناك سيدة لطيفة تسكن قريباً من هنا ولديها عدد من القطط، فما رأيك في أن نزورها؟"

فأجاب مايك مذعناً:"نعم. موافق".

وفتحت السيدة لنا الباب فقلت:"سيدة بنتويسل، اني اصطحبت مايك معي. وقد قمنا لتونا بدفن تشارلي".

قالت:"ادخلا. لقد جئتما في الوقت المناسب لتتناولا كوباً من الشاي".

وعندما دخل مايك المطبخ وجلس جاءت قطة سوداء ووثبت الى حجره فأخذ يربت عليها بشكل عفوي.

وقالت له السيدة بنتويسل: "حسناً، حسناً. هل فقدت قطك؟"

فأجاب بفتور:"نعم. لقد دهمته سيارة".

فتنهدت السيدة قائلة:"ياله من أمر مؤسف". ومضت تشرب الشاي وهي تهز رأسها في أسى. وأخذ مايك رشفة من شايه من دون أن يبدي أي انفعال باستثناء نظرة سريعة الي. واستطردت السيدة بنتويسل:"والاسوأ من ذلك أن والدتك، رحمهاالله، هي التي أهدت إليك تشارلي. هل تعلم يا بني أن هذا يذكرني بوالدتي؟"

فرفع مايك رأسه منتبهاً.

وأستأنفت السيدة كلامها قائلة:"أعطتني أمي قبيل وفاتها طقماً من الصحون الجميلة الزرقاء كانت سبباً لبهجتي واعتزازي. وذات مساء تساقطت على رؤوسنا قنابل

هتلر اللعين فدمرت نصف بيتنا ، لكنني لم أجزع إلا على الصحون. وكان حزني عليها شديداً، فهي هدية من أمي".

فتوقف مايك عن التربيت على القطة القابعة في حجره.

واستطردت السيدة: "طبعاً لم يكن الذنب ذنبي. ولكني حزنت على رغم ذلك. كان الامر شبيهاً بعض الشبه بقصتك مع تشارلي، أليس كذلك؟ فليس الذنب ذنبك في موت تشارلي. وأمك تعرف ذلك بلا شك".

ثم خاطبتني قائلة: "أليس كذلك يا شرلوك؟"

فهززت رأسي مؤيداً، إذ استولت حكايتها على مشاعري كما استولت على مشاعر مايك.

وأستأنفت تقول برقة: "نعم. ومازالت أمك تحبك، تماماً كما أن أمي لا تزال تحبني. حسناً. كفانا حديثاً في هذا الموضوع، فلا أحد يستطيع أن يعود فيحيا أيامه الماضية". وتوقفت برهة ثم قالت: "والآن، ما رأيك في تلك القطة الراقدة في حجرك؟ هل تريد أن تأخذها؟"

فلم يقل مايك شيئاً.

وعادت السيدة بنتويسل تسأله في إصرار: "هيا! هل تريدها؟"

فهز مايك رأسه بعنف وقال: "كلا، لا أريدها". ثم احتبس صوته وقال في غصة: "أريد تشارلي!" ووثب من مكانه واندفع الى غرفة الطعام باكياً. فهممت بأن ألحق به، لكن السيدة بنتويسل منعتني قائلة: "اتركه وشأنه. إنه في حاجة الى نوبة بكاء. والصبية يعوزهم ان يتركوا وشأنهم عندما يبكون، فأنا ادرى بطباعهم".

وبعد فترة لحقت السيدة بنتويسل بالصبي. وعندما عادا معاً كان مايك أحمر العينين وقد بدا عليه التعب، لكنه قال: "لقد قالت لي السيدة بنتويسل اني أستطيع مساعدتها في إطعام القطط كلما أردت".

فقلت: "تلك فكرة جيدة حقاً". وبدا لي أن ما قالته السيدة بنتويسل للصبي في غرفة المائدة أحدث في نفسه تحولا كبيراً.

وقال مايك: "هل تعلم يا شرلوك أن السيدة بنتويسل كان لها ابن صغير في ما مضى؟ وأنه قتل في الحرب؟"

فقاطعته السيدة بنتويسل قائلة: "صه!" ثم قالت لي: "انصرف أنت".

ومضيت الى بيتي أفكر برهبة وإجلال في تلك القوى الخفية التي اتخذت من مأساة قط أليف سبيلا للجمع بين إنسانين وحيدين.

وبعد بضعة أسابيع اتصلت هاتفياً بالسيدة بنتويسل وسألتها: "كيف تسير الامور؟"

فردت ببشاشة: "على خير ما يرام. "إن مايكي صبي رائع. وهو يساعدني في رعاية القطط وشراء الحاجات. ولا أعرف كيف كنت أتدبر أموري قبل مجيئه. وقد أخذ تلك القطة السوداء أيضاً". ثم ضحكت وأضافت: "لقد قال إنه سيحتفظ بها بعض الوقت، لكنه لا يستطيع أن يخدعني. إنه صبي عنيد حقاً!"

قلت: "مايك عنيد؟"

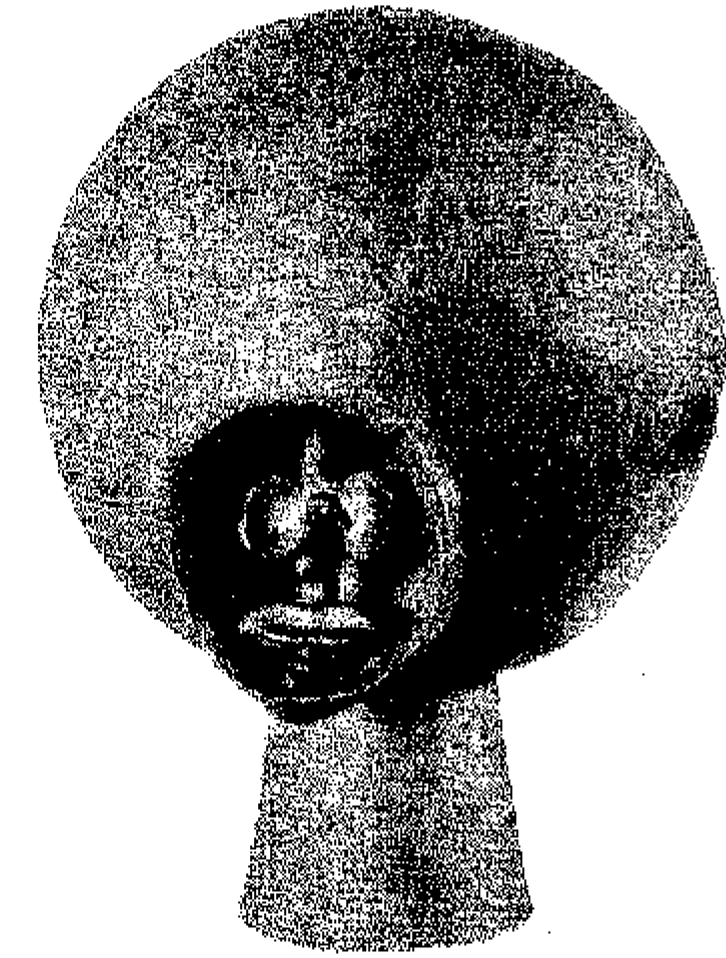
فصاحت: "إنه يرفض شرب الشاي الذي أعده! هل سمعت بمثل ذلك؟ لكنه لن يلبث أن يقتنع، وسأجعل منه صبياً جيداً. انتظر وسوف ترى".

■ جون كين

روائع الفن الزنجي

أغنى الزنوج الامريكيون تراث بلادهم الفني بكنوز تتكشف روائعها يوماً بعد يوم

"اشكال في حرم الجامعة"، ١٩٧١. خزفية من عمل ايرل هوكس (ولد عام ١٩٢٧) وهو يعمل استاذاً للفنون في جامعة فيسك.



Fisk University Art Department

في العام ١٨٧٦ اشترك ادوارد بانيستر في معرض اقيم في مناسبة الذكرى المئوية الاولى لاستقلال الولايات المتحدة الامريكية في **فيلادلفيا، حيث عرض لوحة تمثل منظراً طبيعياً** وعنوانها **"تحت اشجار السنديان". وفازت اللوحة** بالميدالية البرونزية التي اشتد عليها التنافس. ولكن عندما وصل الفنان الى المعرض



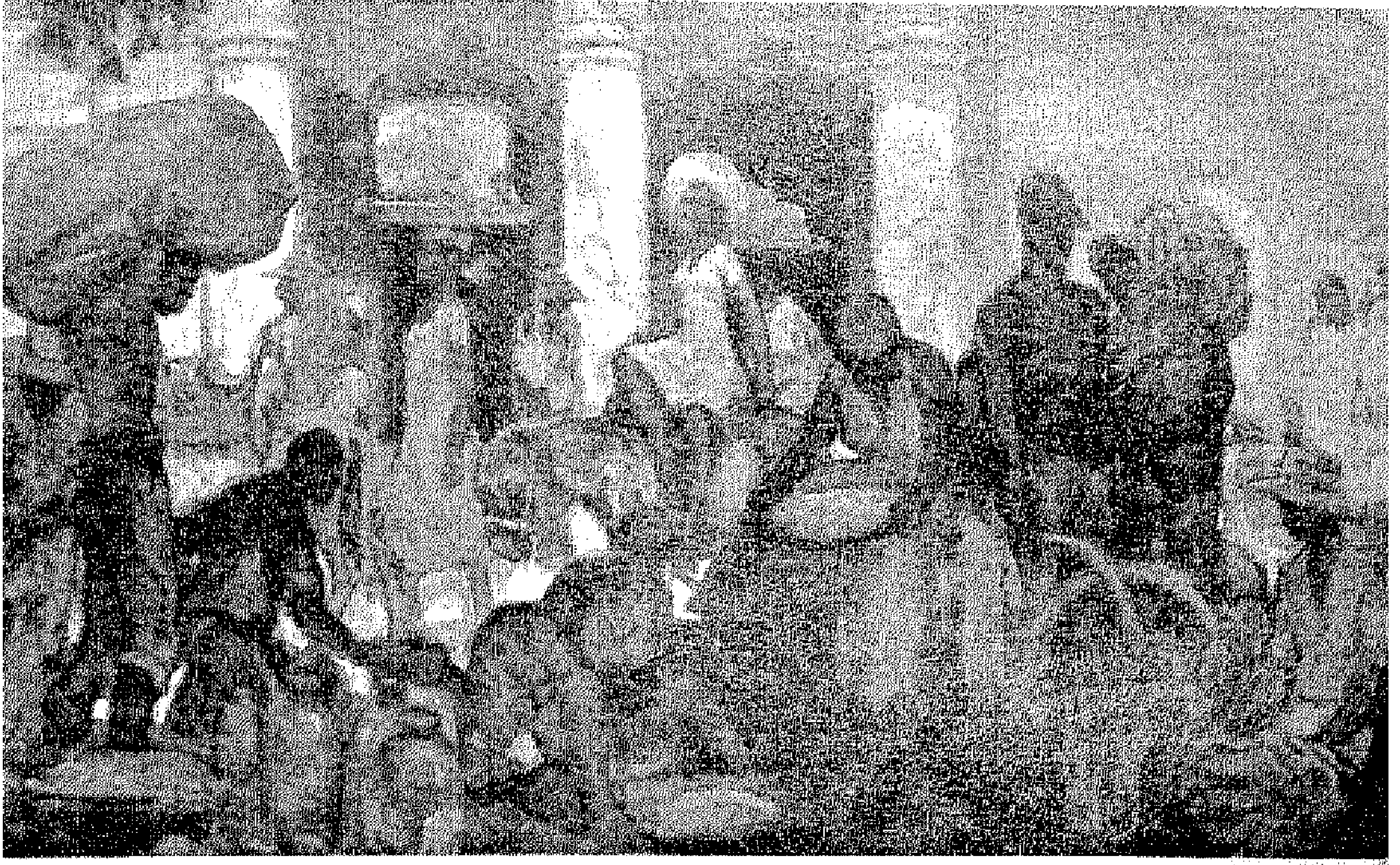
Edward L. Sha

"صيد السمك". بريشة ادوارد بانيستر (١٨٢٨ - ١٩٠١). وقد ضاعت لوحته التي ربحت جائزة العيد المئوي الأول للولايات المتحدة، اما لوحة "صيد السمك" الزيتية فقد رسمها في العام ١٨٨١.

لم يسمح له بالدخول في البداية لكونه زنجياً.

ولم يكن التحيز العنصري الا عقبة واحدة ضمن عقبات كثيرة. فقد كان من المألوف ايضاً ان يجد الفنانون السود انفسهم في مواجهة الاعتقاد القديم الشائع بان الزنوج مجردون من موهبة الفن الجميل، على رغم ثبوت مهارتهم الحرفية. ويقال ان بانيستر قرر ان يتخذ الفن مهنة له بعد ان قرأ في العام ١٨٦٧ مقالا في جريدة "النيويورك هيرالد" جاء فيه: "يبدو ان الزنجي مؤهل لتذوق الفن، وان يكن من الواضح انه عاجز عن انتاجه".

ولا عجب اذا اتجه الفنانون السود الاوائل الى التركيز على صور الاشخاص والمناظر الطبيعية، وهي



"سوق في هاييتي" ، بريشة وليم سكوت (١٨٨٤ - ١٩٦٤)، وكان الفنان يمارس الرسم الزيتي اضافة الى رسم اللوحات الجدارية، وهو درس مع تانر في باريس، ويعود تاريخ رسم هذه اللوحة الزيتية الى العام ١٩٥٠.

"درس البانجو" • لوحة زيتية من العام ١٨٩٣، رسمها هنري اوساوا تانر (١٨٥٩ - ١٩٣٧) • وهو درس على توماس ايكنز في اكاديمية بنسلفانيا للفنون الجميلة، وانتقل بعد ذلك الى باريس• وشملت اعماله كثيراً من الموضوعات الدينية، واشترتها المتاحف الامريكية الكبرى وكذلك المتاحف الفرنسية•

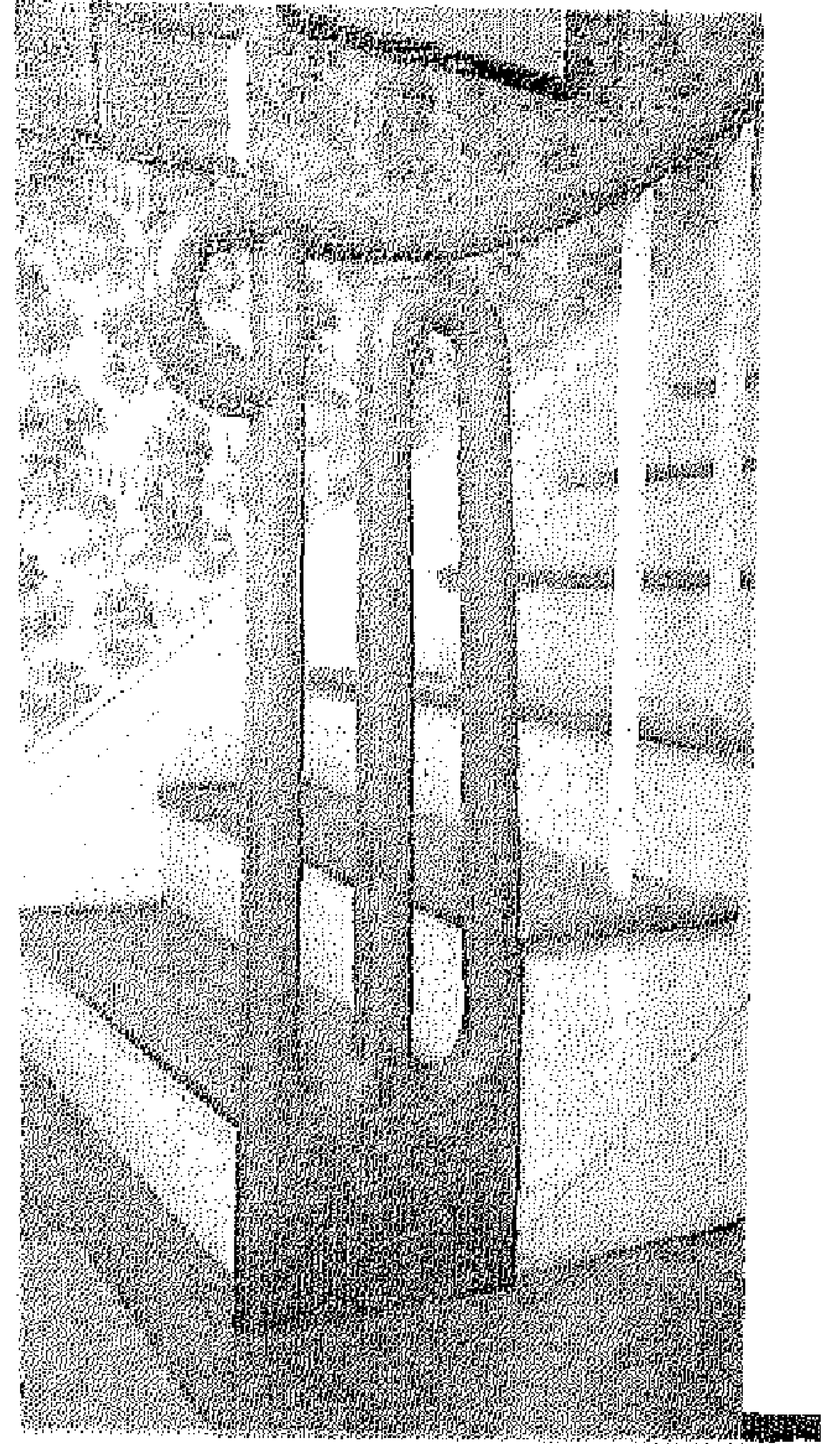


Hampton Institute, Hampton, Viginia

نتصف الصيف في هارلم" • لوحة زيتية بريشة بالمر هايدن (١٨٩٣ -
وهو احد الفنانين الذين استمدوا املا جديداً وتحقيقاً لذاتهم من حركة "نهضة
لتي برزت في العشرينات من هذا القرن•

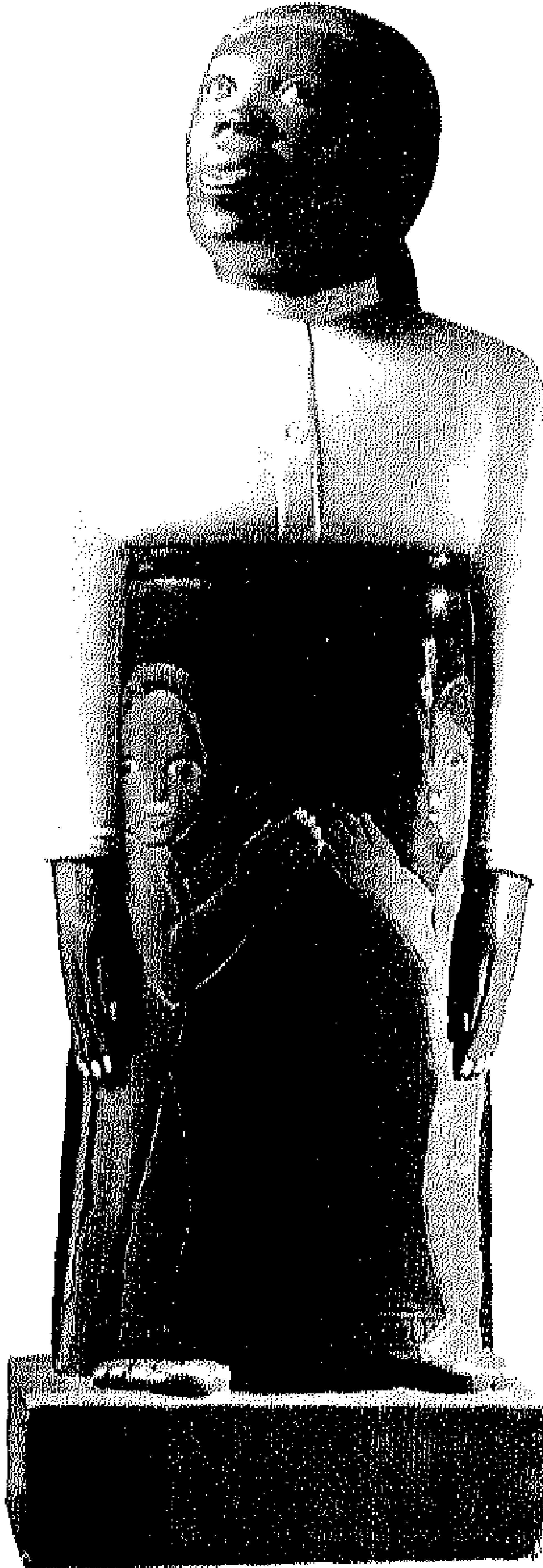


"منظر طبيعي في الخريف"، ١٩٤٠. لوحة زيتية على الخشب استخدم فيها الخشب المحروق. وهي من انتاج هوارس بيبين (١٨٨٨ - ١٩٤٦) الذي يعتبر اعظم اساتذة الفن البدائي لدى الزنوج. وكان بيبين يعمل وهو يعاني شللا جزئياً في ذراعه اليمنى نتيجة حرق اصابه في الحرب العالمية الأولى.



"بئر السلم". هذا العمل هو للفنان توماس داي، الذي اكتسب شهرته وثروته كناقش في الخشب اقام ورشته في كارولينا الشمالية عام ١٨٢٣.

"رتق الجوارب". لوحة زيتية رسمها عام ١٩٢٤ ارشيبالد موتلي الابن. وهو نشأ في رحاب "نهضة هارلم" في العشرينات، واشتهر برسومه عن حياة السود.



تمثال يتميز بقوة الملامح، من الخشب والقماش المطلي. وهو من اعمال سارجنت جونسون (١٨٨٧ - ١٩٦٧). ويرجع الى العام ١٩٣٣، ويبرز فيه تأثر الفنان بالنحت المصري.





Mr. and Mrs. Peter H. Tillon

"شابة على اريكة حمراء"• هذه لوحة زيتية تعود الى العام ١٨١٠، من رسم جوشوا جونستون (١٧٦٥ - ١٨٣٠)• وكان هذا محرراً يرسم لوحاته بطلب من الاغنياء•



Louisiana State Museum

جون اودوبون، الفنان وعالم الطيور الامريكي• نقشها على الحجر جول ليون، وهو فنان اسود يعود اليه الفضل في ادخال التصوير على الواح فضية الى نيو إنغلاند (شمال شرق الولايات المتحدة) من موطنه فرنسا في العام ١٨٤٠• ويعد اودوبون (١٧٨٣ - ١٨٥١) اعظم رسام للطيور والحياة البرية انجبته امريكا الشمالية• اما الأمر غير المعروف جيداً فهو انه ولد في هاييتي من ام خلاسية وأب كان ضابطاً في البحرية الفرنسية•

rothy B. Porter.



"عبد راكع"• هذا نقش يرجع الى العام ١٨٣٥ من اعمال النيويوركي الحر باتريك ريزون• وقد استعان ريزون (١٨١٧ - ١٨٥٠) بفنه لمناهضة نظام الرقيق؛ وكانت نقوشه ومطبوعاته الحجرية المتعلقة بالسود مرجعاً اساسياً لكتابات انصار تحرير الرقيق•

"اخي"، ١٩٤٢، رسم بالزيت على لوحة من خشب، من عمل جون ويلسون (ولد عام ١٩٢٢) مو يعمل في التدريس الى جانب ممارسة الفن.

"لعب"، ١٩٦٩، من عمل ريتشارد هنت، وهو ولد في ١٩٣٥، ويمثل الجيل الشاب من النحاتين الزنوج، واداته في العمل هي مصباح اللحام.

Photo by the Artist

"اصحب امي الى البيت"، ١٩٥٠، هذا رسم بالحبر الصيني والحبر الملون من عمل تشارلز وايت، وقد ولد في جنوب مدينة شيكاغو (ولاية الينوي) عام ١٩١٨، وبدأ يمارس الرسم على ستائر النوافذ التي خاطتها امه.

"احرار حتى النهاية"، تمثال رخامي من عمل ادمونيا لويس (١٨٤٣ - ١٩٠٠)، وهي اول الفنانين الزنوج الاوائل الذين استخدموا فنهم طريقا الى الاحتجاج على الاضطهاد العنصري. وقد ولدت لويس من اب زنجي وام هندية من قبيلة "تشيبوا"، وتجسد منحوتاتها شعور الزنوج والهنود الحمر في آن واحد.

Photo: J. Wells. Gallery of Fine Art. Howard University

"ضحية الغوغاء"، ١٩٤٤، لوحة زيتية من عمل لوييس جونز المولودة عام ١٩٠٥، وهي فنانة متعددة المواهب، وتشمل اعمالها مناظر تمثل الظلم الاجتماعي، ورسوماً على انسجة اصطناعية.

"الام وطفلاها"، ١٩٧٢، تمثال من خشب الجوز الاسود، من عمل سلمى بيرك (ولدت عام ١٩٠١)، وهي عملت ممرضة ثم انصرفت الى ادارة مدرسة الفن والنحت في مدينة نيويورك.

Collection of the Artist;
Photo: North Carolina
Museaum of Art

"الرجل"، ١٩٦٥، رسم بالفحم من عمل جون بيغرز (ولد عام ١٩٢٤)، وهو رئيس قسم الفنون في جامعة تكساس الجنوبية في مدينة هيوستون.

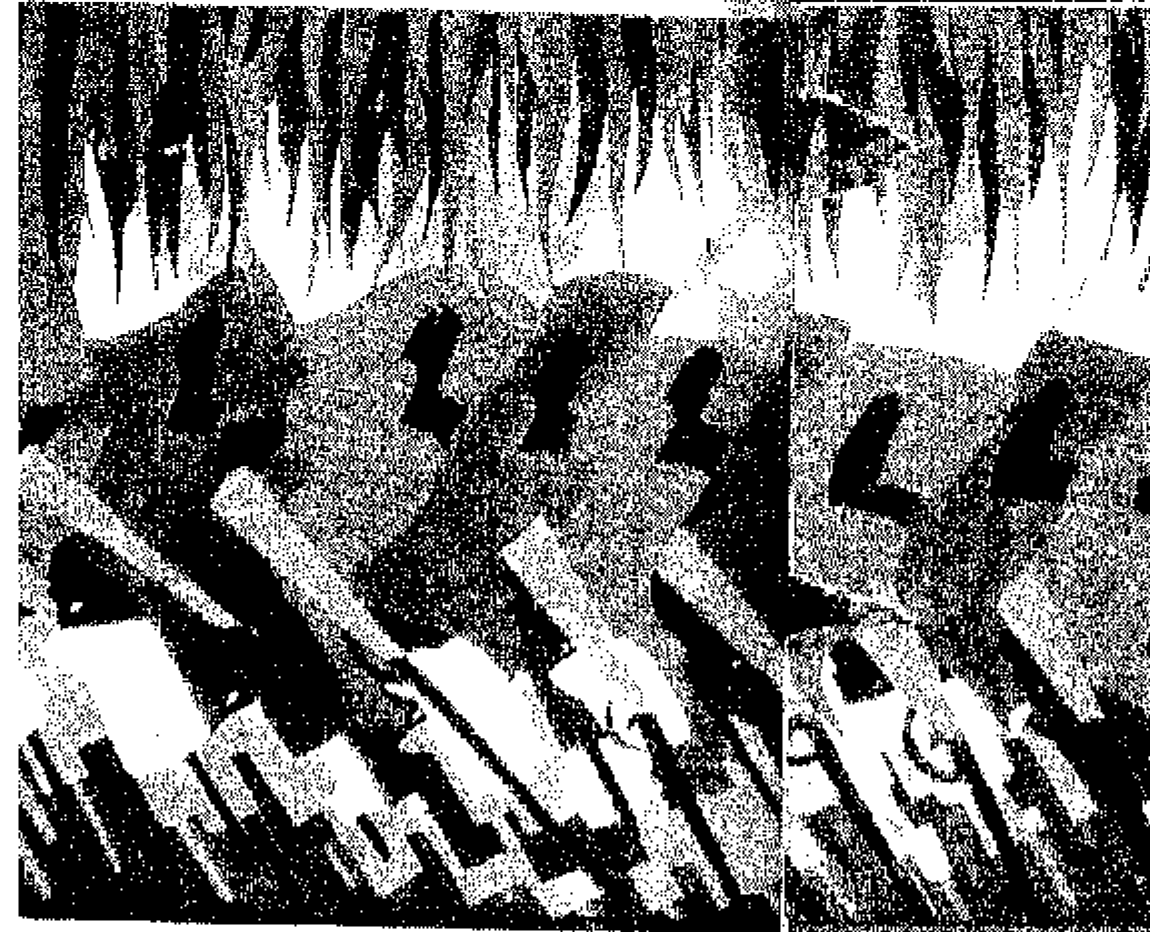
Golden State Mutual Life
Insurance Co.



"سقيفة الحطب"· لوحة ملصقة على لوح خشبي انتجها عام ١٩٦٩· رومار بيرون (ولد في ١٩١٤)، الذي ربما يعد اليوم افضل فناني الملصقات·



"دعوا شعبي يرحل"، ١٩٤٧· رسم زيتي على الخشب من عمل آرون دوغلاس· وهو رسام ومصور وصانع لوحات جدارية ولد عام ١٨٩٨· ويبرز الاثر الافريقي في كثير من اعماله من خلال الاشكال ذات الزوايا الحادة وتوزيع الضوء الذي يوحي بجو صوفي·



رسم مائي على الورق من عمل جاكوب لورنس في ١٩٣٨· وهو من رسامي الفن البدائي المحدث، ولد عام ١٩١٧ واشتهر برسمه الروائي عن تاريخ الزنوج·



"مهرجو هارلم"· رسم بالزيت والغراء على لوحة من الياف الخشب المضغوطة، من عمل تشارلز سيبري (ولد عام ١٩١٤)·

موضوعات ضعيفة الصلة بحياة السود· فقد كان اسيادهم ومناصرو فنهم من البيض· وكان فنهم، وهو من افضل ما شهدته تلك الفترة، تجمعه المتاحف والهواة في اوروبا وامريكا·

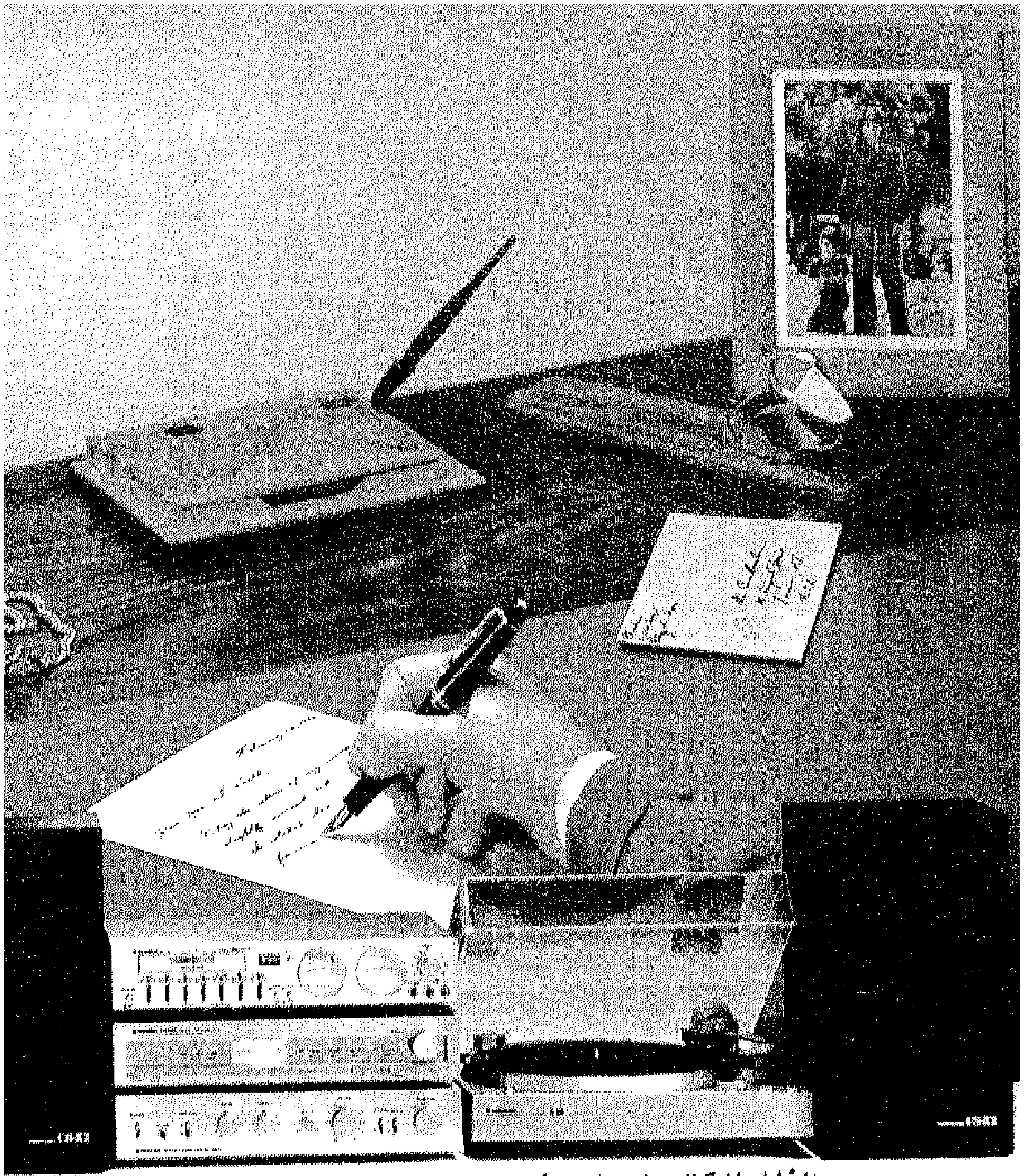
واستمر الامر على هذا النحو حتى العشرينات من القرن الحالي، حين ظهرت نهضة هارلم التي تميزت بالنشاط الادبي والابداع الفني البارزين، وحولت فن الامريكيين السود وأدبهم من المحاكاة التقليدية للكتاب والفنانين والموسيقيين البيض الى الاستكشاف الواعي الدقيق لثقافة السود على نحو ابرز المشاعر الجديدة بالثقة والاعتزاز·

وأفعمت نهضة هارلم قلوب السود بالامل المتجدد وبالاحساس بالذات والتفاخر بتراثهم الافريقي· وبدأ الفنانون السود يركزون على موضوعات ترتبط بحياة الزنوج، فأنتجوا فناً يتميز بالجمال وبالسمات العرقية·

والآن، مع ازدياد التقبل العام للفنانين السود ولاعمالهم، اصبح السود يتمتعون بالحريات نفسها التي يتمتع بها سائر الفنانين في امريكا، خصوصاً حريتهم في رسم ما يشاؤون والحصول على التقدير الذي يستحقه انتاجهم· ويقول الفنان جون بيغرز: "يتميز فن السود بدفئه وخصبه وعمقه"·

وقد نقلت معظم اللوحات المنشورة مع هذا المقال من معرض "٢٠٠ عام من فن السود في امريكا"، الذي اقامه في ١٩٧٦ - ١٩٧٧ متحف الفنون في مقاطعة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا الامريكية·

■ بونشيتا بيرس



Mini Hi-fi System النظام الجديد "ميني هاي - فاي"

هل موسيقاك من ضمن كنوزك الخاصة ؟

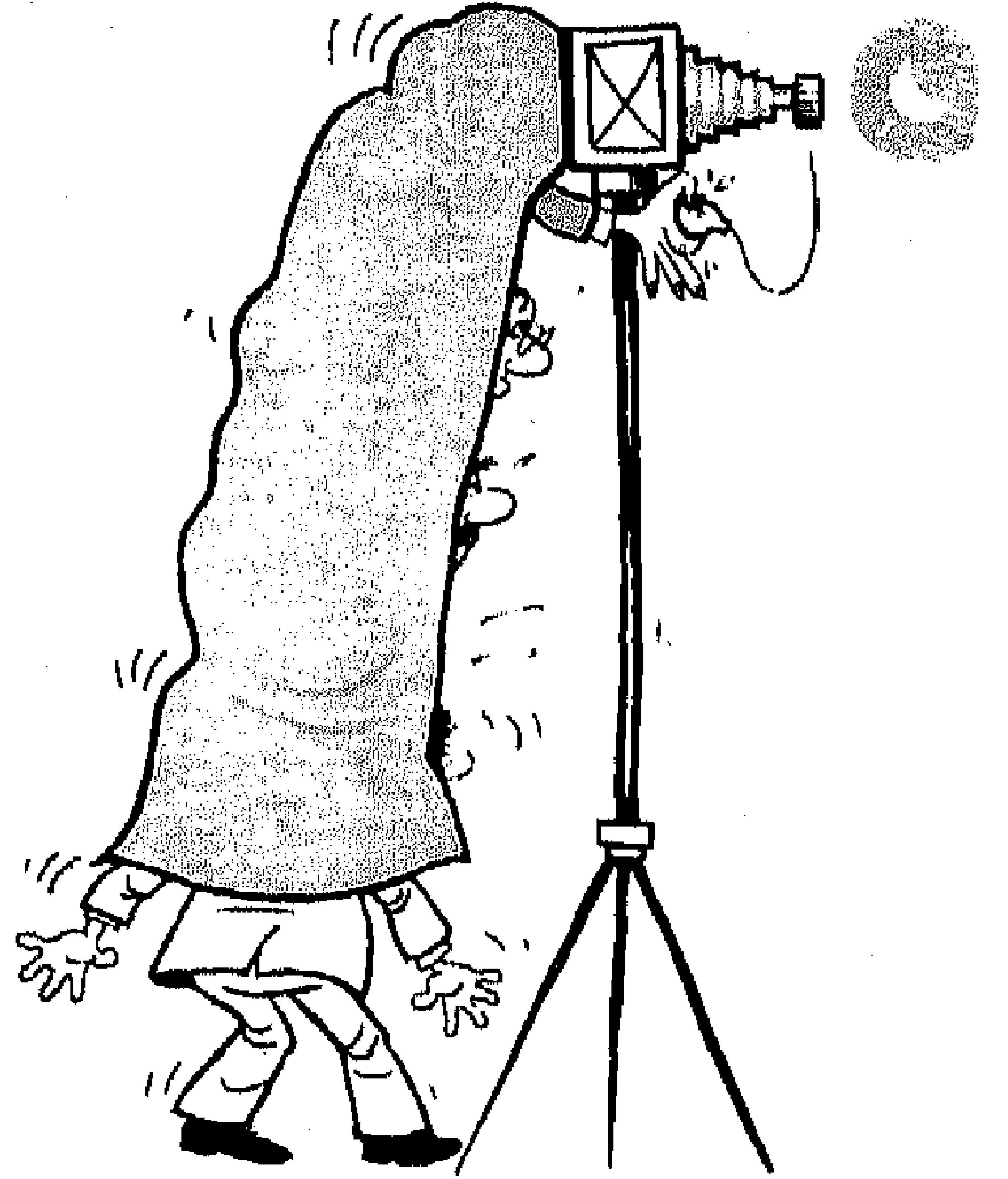
بايونير تعلم أهمية موسيقاك الخاصة. وتدأب دوماً أن لا يعكر أي شيء صفو العلاقة الشخصية بين الموسيقى ومحبيها. لذلك، تقدم لك اليوم نظام "الميني هاي - فاي" للموسيقى كنظام شخصي. صُمم بشكل تناسق ليستعمل بسهولة وليلائم متطلبات هوايتك. طاقته الموسيقية ضخمة بشكل يملأ أجواء منزلك بكل أبعاد الصوت والموسيقى.

وخلافاً للكثير من الأجهزة الأخرى، فإن نظام بايونير "ميني هاي - فاي" هو نظام كامل للموسيقى. "بيك آب" يعمل بالدفع الشريطي المباشر، مضخم للصوت بطاقة ٤٠ وات للقنال الواحدة، جهاز استقبال AM / FM، ونظام لمكبرات صوت ثنائية الاتجاه، بالإضافة إلى كاسيت "دك" فريد مناسب. ثم، فقط بايونير تحافظ كلياً على وحدة الشكل والتصميم. صغير الحجم، ليس تماماً.. فحجمه يضمن قدرته الفائقة على الأداء.

ولتحافظ على تنسيق وجمال غرفتك يمكنك أيضاً اختيار حامل خاص مناسب للنظام. لكن، لم لا تستمع لنظام "الميني هاي - فاي" الآن. إنه نظام "الهاي - فاي" الذي يظهر مدخراتك الموسيقية بلمسة شخصية.

PIONEER بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan



صور من الحياة

التهب الوداع... فأحرق!

اوحى الي مقال قرأته في صحيفة نسائية بأني اعد زوجة مخفقة ان لم اودع زوجي كل صباح بقبلة مصحوبة بتمنيات التوفيق، واجعله يشعر باهميته، واقنعه بأني مؤمنة بقدراته.
وفي الصباح التالي صحت بزوجي وهو على اهبة الخروج:"رافقتك السلامة يا حبيبي". وظللت اعانقه واقبله على طول المسافة حتى الباب الخارجي وانا اقول:"حظاً سعيداً، مع السلامة".
وكانت ابنتانا المراهقتان ترتديان ثيابهما استعداداً للذهاب الى مدرستهما حين سمعتا ضجة الوداع الحار. فاندفعتا بدورهما خارجتين وهما ترسلان القبلات وتصيحان بصوت واحد:"مع السلامة يا بابا، حظاً سعيداً".
وهنا دفع ابوهما عن نفسه ضمة اخيرة من ذراعي، ورماني بنظرة ملؤها الفزع، وصاح:"الى اين تحسبينني ذاهبا؟"

ب. و.

ثروة لا تقدر بثمن

قال رالف والدو امرسون، الاديب والشاعر الامريكي(١٨٠٣ - ١٨٨٢):"عندما اشتريت مزرعتي، كنت اجهل قيمة الصفقة الفعلية. ولم اكن ادري اني حصلت على ثروة من الطيور المغردة من انواع كثيرة. وكأني قد اشتريت كل رائع من شروق الشمس وغروبها".

م. ر.

سوء فهم

قصدت احدى الفتيات الجميلات فناناً شهيراً وطلبت اليه ان يرسمها بلا ثياب في مقابل خمسة آلاف دولار. لكنه رفض قائلا ان ذلك يتنافى مع مبادئه. وبعد اسبوع عاودت طلبها وهي تعرض عشرة آلاف دولار. لكنه رفض مرة اخرى. وفي المرة الثالثة عرضت عليه ٢٥ الف دولار، فطلب مهلة ليفكر في الامر.
وفي اليوم التالي حدثها هاتفياً واخبرها انه يوافق بشرط واحد، قائلا:"يجب ان البس جوارب على الاقل، لاني احتاج الى مكان اضع فيه فرش الرسم".

س. ب.

شريعة الغاب

كان ثلاثة من حيوانات الغابة يتجادلون حول ايهم اكثر ارهاباً. فادعى اولهم، وهو الصقر، ان قدرته على الطيران تمكنه من الانقضاض المتكرر على اي مخلوق من غير ان تتاح للفريسة ادنى فرصة. اما الثاني - وكان اسداً - فقد اسس دعواه على قوته التي لا يجرؤ على تحديها احد في الغابة. وكان الثالث قنفذاً اصر على انه لا يحتاج الى الطيران ولا الى القوة، وانما تكفيه الرائحة الكريهة التي يستطيع اطلاقها.
وفي خضم الجدال الدائر، تقدم دب ضخم وابتلع الثلاثة - الصقر والاسد والقنفذ النتن الرائحة.

على الحدود النمسوية - الايطالية تحول ممر عسكري قديم، بفضل جهود ضابط جيش نمسوي، الى نصب تذكاري للاخاء بين الشعوب، وكأنه يقول: "عفا الله عما سلف...وطوبى لصانعي السلام".

طريق السلام

عندما كان وولتر شومان يتجول مع زوجته وابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات ذات يوم من صيف ١٩٧٢ في منطقة الدولوميت على الحدود النمسوية - الايطالية، عثر على ممر حربي غطته النباتات البرية. وبصفته مؤرخاً في الجيش النمسوي، فهو كان يعلم ان الممر استخدم في حملة الدولوميت خلال فترة ١٩١٥ - ١٩١٨ من الصراع النمسوي - الايطالي كحمام دم شهد هلاك اكثر من ٧٥٠ ألف نسمة. وقاده الممر الى ما اثار في نفسه ذكريات تلك الحرب المروعة: خنادق مليئة بالانقاض وعوارض متهالكة متآكلة كانت تغطي المخابىء العسكرية وكهوف تموين اصبحت خاوية. واذ كان ينبش في احد الخنادق، التقط شومان بوصلة جيب لاحد الضباط، وكانت من الفضة المدموغة وتحمل التاريخ ١٩١٤.

وفيما كان يراقب ابنه وهو يلعب بين صفين من الخنادق، تراءى له كأنه صورة لوالده هو - ذلك الوالد الذي حارب هناك وطالما تحدث عن تلك الحرب. وطغى الانفعال على شومان الذي يتذكر انه، في تلك اللحظة، قرر تحويل المنطقة الى اثر باق ينادي، بعد مرور ثلاثة اجيال، بالصفح ونسيان الماضي.

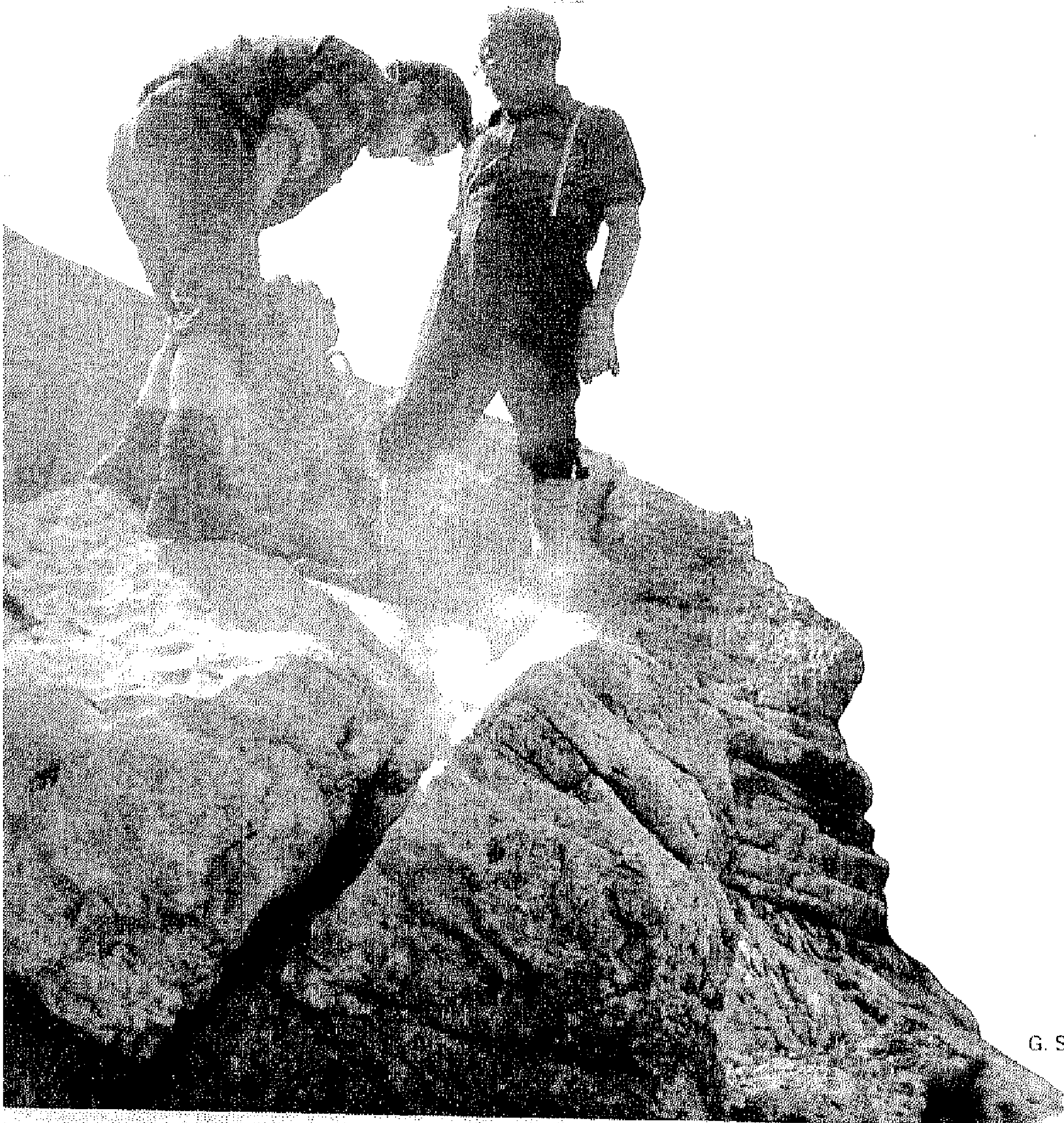
وفي طريق هبوطهم من موقع كول دي لانا الواقع على ارتفاع ٢٤٦٢ متراً، كان شومان - وعمره آنذاك ٤٩ عاماً - يعد خطة لبناء نصبه التذكاري. لقد صمم على اعادة بناء اجزاء كبيرة من الخطوط الامامية كي تستمتع بها كلتا الامتين اللتين تحاربتا يوماً عليها، وعلى تحويل وسائل النقل العسكرية الى شبكة من الممرات بين الجبال تسهيلا لاستجمام الجوالة وناشدي الخلاء والمخيمين. وسوف يكون ذلك اعظم المتاحف الحربية في اوروبا

واكثرها غرابة. وربما نجح في شفاء الجروح الدفينة والتئامها الى الابد بعد ذلك الصراع البعيد.

ولدى عودته الى فيينا، بدت الفكرة جنونية لاصدقاء شومان من اعضاء الرابطة النمسوية لجبال الالب. وذكروه بأن هناك نحو ٤٥٠ كيلومتراً من الطرق العسكرية في ذلك الموقع، وانه لم يبق شيء على حاله.

ونصحه احد اصدقائه، وهو بناء محترف، بأن ينسى مشروعه غير العملي. وقال له:"ستكون في حاجة الى مئات المعاونين. وهب انه امكنك ان تجدهم، فكيف لك أن تدفع نفقات المعدات الخاصة التي ستحتاج اليها؟ ان مشروعك غير ناجح". ورأى رفقاء السلاح في فكرة زميلهم العقيد رأياً مخالفاً له، وقال احدهم لشومان:"لنتصور فقط ما سيفعله الايطاليون عندما يجدون ضابطاً نمسوياً يحاول اعادة بناء منشآت عسكرية على الحدود. من ناحيتهم، سيعتقدون انك تدبر غزواً".

هذه الاعتراضات كانت كلها معقولة. لكن شومان صمم على المضي قدماً، فحصل على اجازة بلا راتب من



G. Schaumann

الجيش كخطوة اولى. وسحب معظم مدخراته من المصرف لتغطية النفقات الاولية، ثم اخذ من زوجته صندوقاً لحفظ النقود. وعندما سألها عن رأيها في ما يكتب عليه، اقترحت عبارة: "طريق السلام". واعجب شومان بالتسمية فاستقرت.

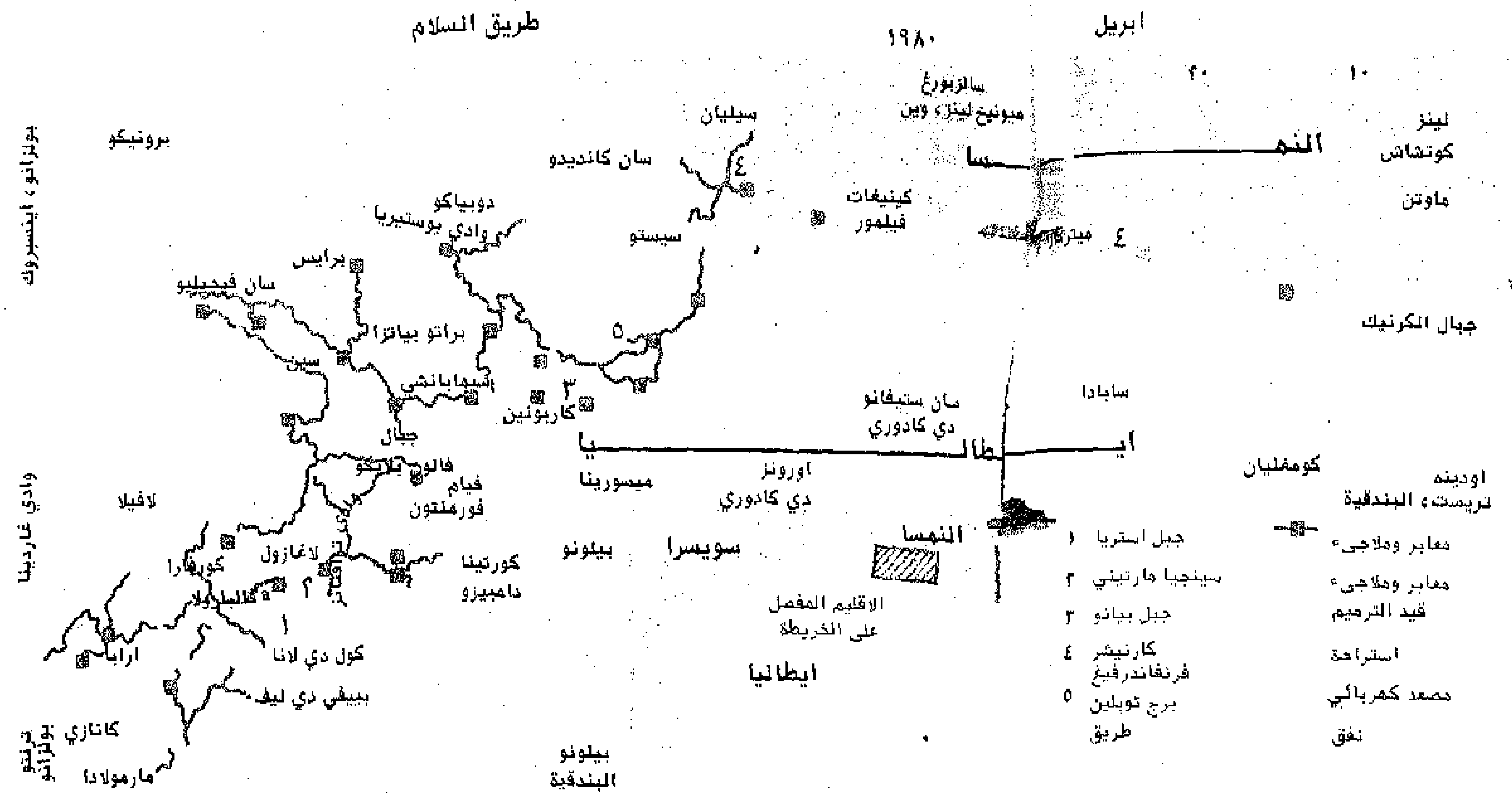
وكخطوة تالية، شرع شومان وزوجته في اعداد المادة الاعلامية للمشروع بهدف ارسالها الى دوريات رياضة تسلق الجبال وجمعيات جبال الالب. واحتوت نداء للزائرين المتطوعين كي يساهموا في المشروع. لكن آمال شومان في هذا النوع من المساعدين لم تكن كبيرة.

بريد المفاجآت – غير أن البريد العائد حمل معه المفاجآت. فقد كتب عشرات المتطوعين من النمسا والمانيا الغربية وبلجيكا وهولندا. بل ان مجموعات كاملة تقدمت، مثل قطاع الشباب في جماعة اصدقاء الطبيعة في فيينا، ومجموعة الشباب من رابطة جبال الالب النمسوية في براوناو، مسقط رأس ادولف هتلر.

وعكف شومان على التخطيط للمتطوعين بدقة عسكرية، فأعد قائمة بحاجته من المعدات، ابتداء بالمعاطف وانتهاء بالمركبات ذات العجلات الاربع، وقائمة اخرى باسماء المتطوعين النمسويين المحتملين. ثم بدأ مناشدة مديري المصارف ورجال الاعمال والرسميين الحكوميين والمقاولين ورؤساء الجمعيات العسكرية وجماعات المحاربين القدامى.

وجاء ربيع ١٩٧٣ بالمفاجأة الثانية: لقد بلغت الهبات من الاموال والمعدات حداً يكفي عمل المتطوعين في مشروع شومان طوال فصل بناء كامل. فلديه المعاطف، ولديه عدد من البغال وسيارتان أهداهما اليه اكبر منتج للسيارات في النمسا. لكن الشيء الوحيد الذي لم يحصل عليه بعد كان التعاون من جانب الايطاليين، علماً بأن معظم الاشغال التي اقترح تنفيذها كانت على الاراضي الايطالية.

ومرة اخرى صمم شومان على المضي في طريقه. فالممرات باتت مفتوحة للجميع. ثم تدخل الحظ السعيد. فقد زاره ذات يوم الحاكم الايطالي لمنطقة الالب، الكولونيل رافاييل كارليسيمو الذي كان قد سمع بنشاطات النمسويين. وحين سأله



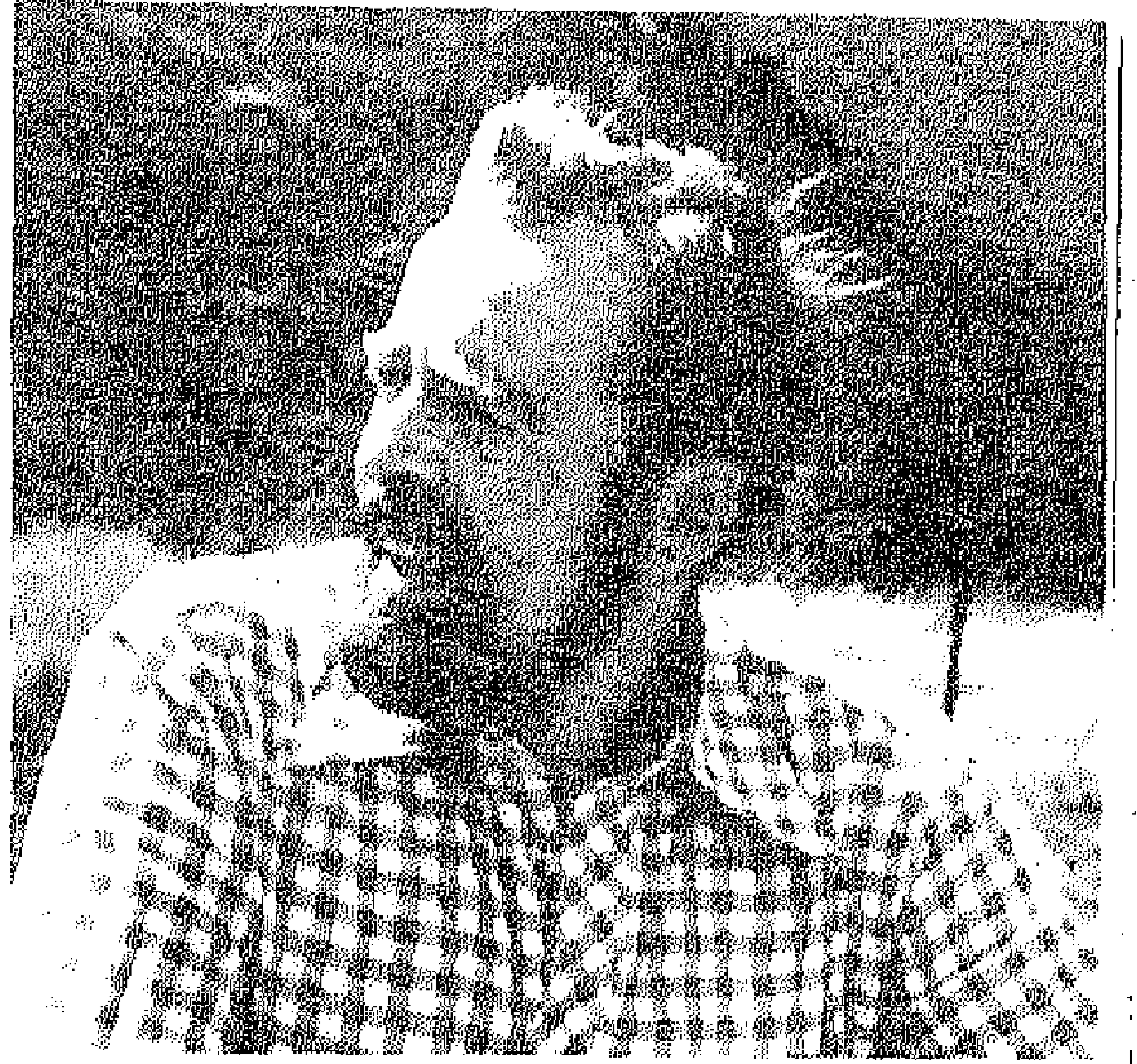
الكولونيل: "هل استطيع ان اقدم اليك اي مساعدة؟"، اجاب شومان بغير اكتراث: "شكراً على اهتمامك هذا". ثم طلب السماح باستعمال ثكنات ايطالية مهجورة، تقع في المنطقة المجاورة، كمأوى اضافي. وبعد يومين عاد القائد الايطالي بوجه يشع سروراً وهتف: "يسعدني ان تكون، ابتداء من هذه اللحظة، اول قائد نمسوي لثكنات ماريو فيريجليو".

وكان لزيارة كارليسيمو الودية آثار اخرى: مقالات في الصحف، وتعاون وثيق من النوادي الايطالية، وافواج من المتطوعين الايطاليين. والحق ان نسبة الايطاليين كانت تمثل، على الاقل، ربع المتطوعين السبعمئة والثلاثين الذين اعانوا شومان طوال سنوات، بينما كان ثلث الباقين من الناطقين الالمانية. اما الآخرون فكانوا من البلاد الاوروبية الاخرى. وكانت دوافعهم قوية، وإن تنوعت.

وحول هذا يقول برونوغالاروتي من بلدة بييف دي كادوري، وهو ابن جنرال ايطالي: "كان ذلك، بالنسبة الي، تدريباً على توحيد اوروبا". ويقول فريديريكتسيشتلر، وهو طبيب في الشرطة من بلدة لوبن النمسوية، انه حضر من اجل "روح الزمالة القديمة"، بينما تعلن طالبة من مرسيليا تدرس علم النفس انها تطوعت لتنجز شيئاً ملموساً من أجل التضامن العالمي، لا لتتكلم عنه فقط.

أفواج أفواج – وأياً تكن دوافعهم، فالمتطوعون يعملون افواجاً متناوبة

لمدة اربعة عشر يوماً: يحملون اثقالا الى قمم حادة، ويستخدمون ادوات ضخمة لمعالجة الصخر العنيد،



وولتر شومان

ويجرفون الحجار بعربات يدوية... كل ذلك في الهواء الرقيق الذي تتصف به المرتفعات العالية. وفي نهاية الاسبوعين يحل محلهم فوج جديد.

واستطاع المتطوعون حتى الآن اعادة بناء تسع قناطر وثلاثة معسكرات موقتة وكوخين، واكمال شبكة من الطرق والممرات طولها ٣٠٠ كيلومتر، ومعظمها يغري بالمشي.

ويجب على المتسلقين الاستعانة بخريطة تاريخية لحملة الدولوميت، أو بأحد الكتب السياحية التي وضعها شومان، للتعرف على الممرات نظراً الى ضآلة علامات الطرق. وقد اصبح العسكريون النمسويون والايطاليون، خلفاء المحاربين في فترة ١٩١٥ - ١٩١٨، أعظم معاوني شومان على الاطلاق. فالايطاليون يزودونه كل عام بعشرة اشخاص ذوي دراية بجبال الالب، وهم طبيب وطباخان وسبعة مكاريين للبغال. وذات مرة خف الجيش النمسوي لنجدة شومان واضعاً في تصرفه طائرتي هليكوبتر لنقل الاسمنت والخرسانة اللازمين لاعادة بناء أسس كوخ بورتسي الواقع على ارتفاع ١٩٠٠ متر على الجانب النمسوي.

وفي العام ١٩٧٥ ظل شومان، ومعه مئة متطوع، يكدحون طوال الفصل لاعادة بناء جسر خشبي بديع عبر واد يبلغ عمقه ٤٠٠ متر. وفي يوم الافتتاح شوهدت جماعة من الوجهاء المحليين يصاحبهم فريق من التلفزيون الايطالي. وعلق مقدم البرنامج التلفزيوني على المناسبة، واضعاً اياها في اطار رمزي، قائلا: "في هذا الموقع كان يقوم جسر طالما خدم اغراض الحرب". واضاف: "اما اليوم فاعيد بناؤه ليجمع شمل الناس بسلام".

وكانت هناك رموز تقدير اخرى مماثلة طوال الافتتاح. الا ان شومان سعد بنوع خاص عندما رفع الدكتور رودلف كيرشليغر، رئيس جمهورية النمسا، قبعته تكريماً له، قائلا بالالمانية: "ان طريق السلام هو المسار الذي يتخطى الخلافات القديمة ويقود الى مستقبل افضل. انه السبيل الصحيح لتعزيز التفاهم بين الشعوب".

وبفضل تفاني شومان، فان الاجيال القادمة من محبي الطبيعة وعاشقي التاريخ لن يفكروا، وهم يتجولون عبر هذه الممرات، في وحشية الانسان تجاه اخيه الانسان فحسب، بل في عبقرية السلام واثره الساحر الشافي أيضاً.

■ اينجه سانتنر



Illustration Huntley Brown

الشرطي الروحاني

انه ظاهرة غريبة: يكشف الاحداث قبل وقوعها ويتمتع بطاقة تتخطى نطاق الادراك الحسي العادي

في صباح يوم دافىء من صيف ١٩٧٣، كان فريق التصوير يعد العدة، في محل فيرفيو في مدينة تورنتو (كندا)، لالتقاط مشهد لشريط وثائقي دولي عن الظواهر الروحانية. وكان موضوع الفيلم ريغنالد ماكهيو (ريغ)، رجل الامن السري في محلات "شوبرز دراغ مارت" الذي اشتهر باعتقاله لصوص المتاجر بفضل بصيرته التي تتخطى نطاق الادراك الحسي العادي.

وبينما كان الفريق يصمم لقطات التصوير في غرفة خالية من النوافذ قال ريغ: "احس باهتزاز". ثم تنبأ بأن امرأة سمراء ترتدي ثوباً برتقالياً طويلا ستدخل المحل وتسرق صندوقاً ازرق عليه خطوط صفراء. واسرع ريغ ينذر الشرطي السري الذي يعمل في المحل.

وبعد عشر دقائق دخلت المحل امرأة ترتدي ثوب ساري برتقالياً وتوجهت الى فرع الادوية. وفي

طريقها دست في حقيبتها صندوقاً صغيراً. ولدى مغادرتها المحل القى الشرطي السري القبض عليها واصطحبها الى الغرفة الخلفية لاستجوابها. وحين طلب منها ان تفرغ حقيبتها ابرزت صندوقاً مسروقاً يحتوي على اقراص خاصة بالتهابات الحلق. وتملكت الدهشة فريق التصوير. وصاح طوني بوند، مساعد المنتج، مذهولا: "حبذا لو التقطت كاميراتنا هذا المشهد".

وفي اليوم التالي تنكر اعضاء فريق التصوير بملابس موظفي المحل، واخفوا آلة التصوير والمعدات الاخرى في العربات اليدوية الصغيرة الخاصة بنقل البضائع. واستطاعوا ان يلتقطوا، خلسة، صور ريغ وهو يتنبأ بوقوع اربع سرقات تحققت فعلا. وتمكن الفريق من تسجيل مشاهد لكل منها.

بدأت شهرة ريغ ماكهيو كشرطي سري يتمتع بطاقات خارقة عندما باشر عمله، لعشر سنين خلت، مع مؤسسات شوبرز دراغ مارت الناشئة. فتمكن، بفضل غريزته الخاصة او "العون الذي يتلقاه من العالم الآخر" من اعتقال آلاف السارقين بل كثيراً ما القى القبض على سبعة لصوص في اصيل يوم واحد، وعلى خمسين لصاً خلال شهر. وبفضله تدنت الخسائر الناتجة من السرقة في احد المحلات من ٧٥ الف دولار الى ٤٠ الفاً خلال العامين الاولين.

ويشهد كبار المسؤولين ورجال الشرطة السرية في تلك المؤسسات على تفوق ريغ. ويقول باري فيليبس، صاحب فرعي المؤسسة في شارعي جين وفينش في تورنتو: "ليس ريغ شرطياً سرياً عادياً بل لديه موهبة خاصة". ويضيف موراي غروسمان، صاحب مخزن في ساحة ايغلنتون في بلدة سكاربورو في ولاية ماين الامريكية: "لقد استخدمنا ريغ على اساس التجريب، لكننا احتفظنا به بعد التحقق من نتائج خدماته. فقد شاهدته في المحكمة مع ثلاثين من لصوص المحلات في وقت معاً".

ويصرح بوبي كاتز، مدير محل "مول" في وستوود: "ان معدل من يقبض عليهم ريغ يفوق ١٥مرة معدل الذين يعتقلهم اي شرطي سري آخر".

ويشير جيم ماكوليمز، احد مديري المبيعات في المتجر، الى قدرة ريغ على منع سرقة المحلات فيقول: "كان تلاميذ المدرسة الثانوية المجاورة يحذرون بعضهم بعضاً من الاقتراب من محلات شوبرز لان احداً لا يستطيع الافلات من هناك".

وقد تعذر على زملاء ريغ ايجاد الكلمات التي تفي بالتعبير عن موهبته، فاكتفى البعض بقولهم: "ان له عينين في مؤخر رأسه". ونسب البعض الآخر موهبته الى نوع من التخاطر (الاتصال العقلي) او الاستبصار (الاحساس بما يحدث خارج نطاق البصر) او القدرة على معرفة الاحداث قبل وقوعها.

ويذكر ريغ انه نبه، مرة، العاملين في شوبرز دراغ مارت في ساحة ايغلنتون الى أنه رأى شاباً يختلس علبتين من الانسولين من ثلاجة الادوية ويدسها في الجيب الايسر من سرواله. وبعد ساعة ونصف ساعة شاهد العاملون في قسم الادوية شاباً يدخل المحل ويسرق الانسولين بالطريقة التي وصفها ريغ.

حاسة سادسة – يقوم القسم الاكبر من عمل ريغ على حل قضايا سرقات

موظفي المحلات التيتشكل نحو ٧٠ في المئة من مجموع مفقوداتها. وكان صاحب احد محلات شوبرز دراغ مارت في تورنتو يلقي مسؤولية ٨٠ في المئة من خسائره على عاتق المستخدمين، غير ان محله بقي عرضة "لتسرب"مستمر لم يقو على تحديد مصدره. وتمكن موراي بورن، ضابط الشرطة السابق في مقاطعة اونتاريو الذي يعمل في مكافحة تسرب البضائع في شركة كوفلر ستورز من حصر الشبهةفي موظفين معينين، ثم قال: "ليس هناك سوى شخص واحد يستطيع حقاً ان يحل هذه المسألة".

فسأله صاحب المحل: "ومن يكون ذلك الرجل؟ " فأجاب: "ريغ ماكهيو".

وسرعان ما بدأ ريغ، ذلك الرجل الناحل الانيق الذي يبلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً، يستجوب المستخدمين في غرفة صغيرة. وما ان تحدث الى الموظفة الثالثة حتى اعلن اختتام التحقيق، وقال لصاحب المحل: "لقد تحدثت لتوي مع اللصة، وانتابتني رعشة وأنا اتحدث معها". وقد كان ريغ محقاً. فعلى اساس هذا القول استجوبت الشرطة تلك المرأة رسمياً، فاعترفت بفعلتها وفصلت من عملها.

ولكن ما هو سر نجاح ريغ؟

يشك بعض زملائه في ان لديه "طاقات خاصة". ويقول برني غلازير، احد نواب رئيس شركة كوفلر: "ان تدربه السابق على اعمال الشرطة يساعده على الاسراع في تقييم المواقف".

وتقول جين سميث، احدى البائعات في محل فيرفيو: "اظن انه يقوم بعمل جيد. اما عن وجود قوى خارقة للطبيعة لديه فذلك من قبيل الاخراج المسرحي". ويقول الرقيب الاول بوب وايت، الذي يعمل في قسم المحققين وحرس الامن في اونتاريو: "اذا كانت لدى ريغ قوى روحانية فأنا لا اعلم شيئاً عنها".

ومع هذا فان شرطية التحري، نانسي سورد، التي عملت مع ريغ سابقاً في محلات شوبرز والتي تشغل الآن مركز مديرة قسم حماية البضائع في محلات كوفلر في اونتاريو، تقول: "لا يمكن عزو هذه النتائج الى مجرد الملاحظة. ان عمل ريغ ليس بالامر البسيط السهل. قل لي انك لا تؤمن بالقوى التي تتجاوز الحواس فأريك سجل ريغ".

صوت خفي ـ شغف ريغ بعمل الشرطة منذ صباه في كينغستون عاصمة جامايكا. ففي مستهل مراهقته أعطاه والده، وكان ملاحاً في سفينة تجارية، صورة لمجموعة من شرطة الخيالة الملكية الكندية بمعاطفهم الحمراء. وكان ريغ يقضي الساعات الطوال في تأملها، متصوراً نفسه واحداً منهم.

وفي العام ١٩٤٦ هاجر ريغ الى كندا وهو في السادسة عشرة من عمره. وعمل موظفاً مبتدئاً في مطبعة لدى شركة تهتم باعداد استمارات العمل. ثم انتقل الى الغناء ودق الطبل في فرقته الخاصة، وتقلب بعد ذلك في سلسلة من الاعمال، فكان حمالا في محطات السكة الحديد وسائق سيارة شحن وعامل تشحيم في محطة الوقود.

وفي العام ١٩٥٦ اصبح ريغ عميلا سرياً لدى شرطة الخيالةالملكية الكندية، يلعب دور الموسيقي بينما يتحرى نشاط اولئك الذين يستخدمون المخدرات على نحو غير مشروع.

أرض السحر

انها أرض السحر الذي يتجاوز التصديق وتعجز عن وصفه الكلمات ،
(هذه هي اندونيسيا ، انها حقاً عالم آخر ،)



سافروا

على متن طائرات شركة "غارودا" التي تحملكم
الى جاكارتا من مدن كثيرة في اوروبا والشرق الاوسط ،
"غارودا" غاية في الجدارة والاتقان والبساطة ،
على متن طائرات

الخطوط الجوية الاندونيسية

رحلات منتظمة الى الشرق الاقصى من أمستردام ، باريس ، فرانكفورت
زوريخ ، روما ، اثينا ابو ظبي ، جدة ،
للحصول مجاناً على كتيب من ٣٢ صفحة يحوي صوراً ملونة ومعلومات
سياحية وافية عن اندونيسيا ،
اكتبوا الى العنوان الآتي:

Indonesian Airways, c/o P.O. Box 491, 1000 AL Amsterdam, Holland.

garuda
indonesian airways

وازاء التهديد الذي تلقاه من جانب الذين كان سبباً في ادانتهم، اضطر ريغ الى ترك شرطة الخيالة الملكية في ١٩٥٨ ليعمل في شرطة مدينة شومدي في مقاطعةكيبيك الكندية. ثم عمل شرطياً سرياً في شركة متروبوليتان للتأمين في تورنتو، حيث التقى كيت، المسؤولة عن الاستعلامات، وتزوجها.

وانضم ريغ الى العمل في محلات شوبرز دراغ مارت في العام ١٩٦٧. وذات يوم، بينما كان يجول في محل دراغ مارت في شارع البرلمانفي تورنتو،انتابه "ارتعاش مزعج "امام امرأة في المحل. ويستعيد ريغ الحادثة قائلا: "تبعتها الى الخارج في حذر، ورأيتها تخرج علبة سجائر من تحت ثيابها. وكان واضحاً انها لم تدفع ثمن العلبة. وفي اليوم التالي عدت الى المحل ذاته حيث ضبطت سارق سجائر آخر، وكان صبياً في الرابعة عشرة من عمره. عندئذ قال لي صاحب المحل في انفعال: نستطيع استخدامك بالتأكيد".

وكانت التطورات التالية مذهلة. وتروي كيت: "بدأ ريغ يشعر بالغثيان في اثناء العمل، حتى اننا اخذنا نتساءل هلسيستطيع الاستمرار. ولكن عندما بدأنا نستجمع ملاحظاتنا ونستخلص منها الوقائع، تبين لنا انه لا يشعر بالغثيان الا حين يقترب من احد اللصوص، وكلما اقترب منه ازدادت حدة الارتعاش".

وذات مرة شاهد ريغ امرأة تتناول شيئاً من فوق احد الرفوف وتضعه في حقيبتها. لكنه لم يستطع ان يتبين بالضبط ما اخذته.فراح يحدق اليها مركزاً نظره على مؤخر رأسها-كأنه عين - وهو يردد في قرارة نفسه: "لماذا لا تستديرين وتريننى ماذا تحملين ؟ وكم كانت دهشته عظيمة حين اخرجت المرأة علبة من حقيبتها ورفعتها على مرأى من الجميع، وكانت علبة دواء للمعدة، ثم اعادتها الى الحقيبة.

وقبض ريغ على المرأة خارج المحل، وسألها لماذا اقدمت على هذا التصرف، فقالت: "لو اخبرتك لظننتني مجنونة". ثم اعترفت في ذهول: "لقد سمعت صوتاً يقول لي: "اريني! استديري!"

اشبه بالمستحيل - تتخذ اساليب ريغ اشكالا شتى. فهو يجد نفسه احياناً يحدّق الى رف عامر بالبضائع، ويرى ان احدى السلع اختفت موقتاً، وتلك دلالة اكيدة على انها ستسرق لاحقاً. وأحياناً "يرى" شخصاً في زاوية المحل يسرق شيئاً، وما ان يهز رأسه ليطرد الرؤيا حتى يجد ان لا احدهناك. لكنه يدرك ان السرقة ستحدث من دون اي شك. وكانت تحدث بالفعل.

وذات مرة كانت كيت في صحبة ريغ في محل فيرفيو، فأشار ريغ الى امرأة وقال لزوجته: "ها هوذا الشخص الذي سأقبض عليه"؛ وحين بادرت الشرطةالى تفتيش المرأةعثرت في ملابسها على مسروقات قيمتها ٥،٢٥ دولارات من شوبرز دراغ مارت، كما عثرتفي سيارتها على بضائعمسروقة من محلات "سيمبسون" قيمتها ٣٥٠ دولاراً. وقال ريغ للشرطة: "هناك خاطر يحدثني بوجوب تفتيش منزلها ايضاً". وهناك وجدت الشرطة ملابس مسروقة تقدر قيمتها بثلاثمئة دولار.

وفي العام ١٩٧١ اسس ريغ وزوجته كيت شركتهما الخاصة. وهي "شركة

لتحريات والامن المتحدة". ولم يطل لوقت حتى اصبحت الشركة تستخدم ٣٠ شخصاً، وتتولى مسؤولية الامن في عدد من المؤسسات المعروفة. ومع نهاية العام الثاني بدأ الزوجان يوسعان نشاط شركتهما ليشمل انواعاً اخرى من العمل.فساعدا مرة على حل مشكلة ارث معقدة تتناول ١٩ وريثاً بين مفقود ومجهول وغير شرعي تفرقوا في انحاء العالم.

وعهد ريغ في القضية الى احد المحامين العاملين في مكتبه. لكنه خلال نهاية الاسبوع بدأ يحل اسرارها بنفسه. وقد قال في هذا الصدد: "توافدت علي الرؤى عن وينبيغ، وشاهدت امرأة كانت تعمل في شركة الطيران الكندية منذ ١٥ عاماً. وحين راجعت محفوظات شركة الطيران الكندية في وينبيغ عثرت على المفتاح الذي كنت ابحث عنه. وبدأت احل تلك الخيوط المتشابكة". وقد قال المحامي المذهول لاحقاً: "لا اعرف كيف فعل ذلك، فالحل كان اشبه بالمستحيل".

عون روحاني ـ وفي العام ١٩٧٦ عرضت شركة "كوفلر اتلانتيك" على ريغ منصب مدير قسم مكافحة السرقات لديها. فكان يشرف من مكتبه، الكائن على الساحل الشرقي من مدينة مونتون في مقاطعة نيو برونسويك الكندية، على امور ٦٥محلا، بينها ٣٦ من محلات شوبرز دراغ مارت في اقاليم الاطلسي و٢٩ محلا تعرف باسم "فارمابري" في كيبيك.

وبدأ الحديث يتردد مرة اخرى عن تلك "الحاسة السادسة" الغريبة عندما انتقل ريغ من مونريال الى بلدة غلاس باي في مقاطعة نوفا سكوتيا، ثم الى مدينة ستيفنفيل في مقاطعة نيوفاوند لاند.

وفي اليوم الأول لمجيء فيرا دويل، مساعدة ريغ الجديدة في جزيرة بريندس ادوارد، قال لها: "لن نقبض على احد في هذا المحل قبل ايام عدة، ولكن حين نفعل فان اللصوص الثلاثة الأول سيكونون من المتقدمين في السن".

وتقول فيرا: "هذا ما حدث بالضبط. فبعد ايام من الراحة التامة وقع بين ايدينا، في يوم واحد، ثلاثة رجال فوق السبعين".

ماذا عسانا نستخلص من هذا كله؟ هل يتمتع ريغ فعلا بطاقات روحانية ام ان ما يملكه هو مجرد قوة ملاحظة غير عادية؟

لقد تحدثت الصحف عن مواهب ريغ الخارقة، كما ظهر على شاشة التلفزيون في برنامج وثائقي ضم عدداً من كبار علماء النفس والاختصاصيين في التخاطر (الباراسيكولوجيا) في العالم. ويصنف المسؤولون عن الامن ريغ وفريقه في "اعلى مستويات المهنة" ويعترف له مديرو الشركات بالكفاية والفلاح ولكنهم قلما يدعون معرفة اسلوب عمله.

والآن، هل من المتوقع ان تظهر، بعد انجازات ريغ ماكهيو الرائدة، "شرطة سرية روحانية" تحذو حذوه وتقتفي آثاره المذهلة؟

يبدو من تجربة العمل في شركة كوفلر ان هذا الامر ليس مستحيلا. ويقول رون كاربنتر، احد المتدربين على يد ريغ والذي له سجل حافل في مضمار التحريات: "لقد شجعني ريغ على الاذعان لنداءاتي الداخلية، واتبعت هذه الخطة منذ ذلك الحين، فتكللت جميع تحركاتي بالنجاح".

ومنذ فترة قريبة شعر كاربنتر، وهو يسلم احد لصوص المحلات الى الشرطة، باحساس غريب مفاجىء. فخط على قصاصة من الورق: "مخدرات في الحذاء". وتولى رجال الشرطة تفتيش الرجل، فعثروا في حذائه على نحو ٩٠ غراماً من الماريوانا والحشيش.

اما ايرمغارد شميت، التي تتولى التحريات في محلين من محلات شوبرز دراغ مارت في تورنتو، فانها اكتسبت شهرة حملت احد اصحاب المؤسسة على القول: "انها الوحيدة التي بلغت مرتبة ريغ". ولو انك سألت ايرمغارد بصراحة عما اذا كانت تتلقى العون الروحاني لاجابتك ببساطة: "وهل هناك تفسير آخر؟".

■ لايل بارتليت

الكاتبة عالمة اجتماع واستاذة زائرة في جامعة بيركلي في كاليفورنيا. لها مؤلفات عدة وابحاث واسعة في ميدان الظواهر الروحانية.



الانانية

ان تكون صالحا تجاه نفسك فقط يعني الا تكون صالحا لشيء.

فولتير

درس في الاقتصاد

لا تتجاهل الشحاذ الذي يطلب منك قرشاً ليحتسي به فنجاناً من القهوة. اعطه القرش واتبعه لتكتشف المكان الذي لا يزال يبيع فنجان القهوة بقرش واحد.

ا. و.

الجغرافيا المصورة

يقول محام شهير انه يقرأ مجلة "بلاي بوي" للصور العارية للسبب نفسه الذي يجعله يقرأ مجلة الجمعية الجغرافية "ناشونال جيوغرافيك": "لارى صور الاشياء التي لن اراها على الطبيعة ابداً".

م. ب.

السيجارة والمسدس

على رغم ان التدخين كان ممنوعاً خلال مباراة في الشطرنج، الا ان احد المتسابقين اخرج بهدوء علبة سجائر ووضعها على الطاولة في بداية المباراة. ولم يكن هذا المتسابق يعتزم الخروج على القواعد المفروضة، لكنه كان يأمل في ان يؤدي التهديد بالتدخين الى اثارة اعصاب خصمه. غير ان اللاعب الآخر نظر الى علبة السجائر، ثم مد يده الى جيبه واخرج بدوره اداة تهديد اخرى وضعها على الطاولة... وكانت مسدس ماء تام التعبئة.

ج. ا. س.

خاص



ملخص من كتاب بقلم
غبرييل روي





هي معلمة لم تبلغ الثامنة عشرة بعد، في قرية صغيرة وسط سهل مانيتوبا الفسيح في كندا. وهو صبي في الرابعة عشرة، في عينيه عنف وكآبة. في هذه القصة تروي الكاتبة بحنان ما حدث بينهما خلال سنة دراسية، فتثير مشاعر الغموض والقلق التي ترافق البلوغ

خلال سنواتي التي امضيتها في التعليم لم يخفني احد كما فعل ذلك الصبي، حتى قبل ان اراه.

كنت وصلت لتوي لتسلم وظيفتي في تلك القرية المنعزلة وسط المروج. وبدا كل شيء حسناً بيني وبين تلاميذي. ولكن كلما توقفت لتسلم رسائلي من مخزن البلدة وتكلمت عن المدرسة بحماسة، برز احدهم يخمد حرارة اندفاعي: "آه ... كل شيء يسير على ما يرام، اليس كذلك؟ حسناً. تمتعي بوقتك لان الوضع سيتغير عندما يأتيك الصبي ميديريك".

أخبروني انه هدد المعلمة السابقة بمدية حملها في جيبه. ولم يبق احد الا تنبأ بمعركة لا بد من أن تنشب بيننا.

ومضى النصف الاول من سبتمبر (ايلول)· وبدأ تلاميذي الكبار الذين كانوا يساعدون أولياءهم في الحصاد، يفدون الى المدرسة واحداً بعد الآخر· كلهم ما عدا ميديريك! لكن الامر لم يطل· فقد جاء على حين غرة، وتلك كانت طريقته·

كنت واقفة بجانب اللوح الاسود· وفجأة ساد خلفي سكون تام· فالتفت· لم يكن انتباه الصف موجهاً الي· رأيت عيون التلاميذ مسمرة على بقعة بيضاء تقترب بسرعة عبر المروج البعيدة، ثم تكشفت عن حصان أبيض ذي عرف اسود· ورأيت فارساً صغيراً منحنياً على عنق جواده الجاري بأقصى سرعته وهو يحثه على المزيد· وكان يضع على رأسه قبعة كاوبوي ضخمة·

وصل الفارس الى مدخل الملعب· وبدلا من ان يتبع الطريق الخاصة، اكره حصانه على القفز فوق الاسلاك الشائكة، وتابع سيره في اتجاه السارية حيث رفرف علم الاتحاد· وبقفزة واحدة اصبح على الارض، الى جانب العلم، يربط رسن جواده الذي راح يهز رأسه بعنف فيرتجف معه العلم كأن ريحاً قوية هبت عليه·

وبدت قبعة الفارس الضخمة تغطي عينيه· ووصل الى الباب بحذاء مكسيكي ضخم عالي النعل، ورجلاه متباعدتان ويداه غارقتان فيجيبي سرواله ذي الشراريب، وقد ربط على وسطه حزاماً· وتقدم بين المقاعد، يصفر بلا مبالاة كأنه يمشي في الطريق·

وكانت غرفة الصف، كما في معظم مدارس ذلك العهد، مزودة بمقاعد مزدوجة· وقد وصل كل مقعد بطاولة طويلة، في كل من طرفيها دواة وفجوة خاصة لوضع الاقلام· وثبت في أسفل الطاولة رفان للكتب·

وصل ميديريك الى طاولة وسط القاعة حيث جلس احد أصغر تلاميذي، وارتمى الى جانبه ودفعه بعنف الى الارض· وساعدت الصغير الباكي على النهوض قائلة: "تعال· من الافضل لك ان تجلس في مكان آخر بعيداً عن ذلك الشرس الضخم"·

وكنت ارغب في مواصلة الكلام بالنبرة نفسها، لكني سيطرت على رغبتي وتابعت الدرس· كنت آنذاك في الثامنة عشرة وهو في الرابعة عشرة· ولم يتجاوز طولي ارتفاع كتفيه· لكن ذلك لم يكن الامر الوحيد الذي فاقني فيه·

ولم ادر كيف اتصرف مع صبي في ذلك العمر· لكني استطعت، بصمتي، ان اوصله الى اقصى درجات الانزعاج· فراح، لفرط ضجره، يمزق صفحات دفتره ويصنع منها كرات يغمسها في الغراء ثم يقذفها بمسطرته لتلتصق بالسقف·

وفي الساعة الرابعة، بينما كان التلاميذ ينصرفون الى بيوتهم، ناديته للمرة الاولى: "ميديريك ايمارد! اجلس من فضلك"·

واستدار بغتة، كأنه في حال دفاع عن النفس· كانت عيناه حادتين وقبضتاه محكمتين· لكنه جلس· ووقفت قرب طاولتي اتوسل رباطة الجأش، فأخذت ارتب الاوراق وانظر الى دفاتر التمارين· وفي النهاية تجرأت على النظر اليه· لقد بدا لي أنه في مثل اضطرابي· عندئذ نهضت

ومشيت نحوه وجلست بوجل على الجانب الآخر من مقعده. فتحرك قليلا ليفسح لي مكاناً أوسع. في تلك اللحظة تبين لي أنه، على رغم ذلك العنف، لا يزال ولداً هزيلا.

وفي النهاية تكلمت كأني اخاطب نفسي: "افترض يا ميديريك ان ناظر المدرسة، او الكاهن، جاء الى هنا وسألني من اين اتت هذه الزخرفة المضحكة الى السقف، فلن يكون في وسعي الا ان اقول:" هل تصدق؟ انها صنع اكبر تلاميذي. وليست لي قوة لردعه، فهو أطول مني بأكثر من ١٥ سنتيمتراً، كما انه الوحيد الذي يستطيع ازالة تلك النقوش اذا رغب في ذلك".

وللتو نهض ميديريك ليحضر سلماً نقالة. وراح يعمل بمكنسة على ازالة تعب يومه.

وعندما انتهى، وقد احمر وجهه من الجهد، نظر الي بمزيج من التحدي والخجل. ومن دون ان يتفوه بكلمة اصبح خارجاً، وقفز الى حصانه دافعاً قبعته عن رأسه الى الخلف وانطلق باقصى ما يستطيع. وسرعان ما تحول الى بقعة صغيرة على السهل العاري الفسيح.

حكمة الجواد

اخطأت في ظني اني نجحت في ترويض ميديريك. واستعملت شتى الطرق لجذب انتباهه. كان ينظر الي لحظات قصيرة احياناً، كأنه على وشك الوقوع في شرك، ثم يتيه في احد احلام يقظته كأنه يحتقرنا جميعاً.

وكنت، كلما نظرت اليه، تصورته حيواناً بريئاً على وشك الوقوع في فخ الصياد. وفي الوقت الذي تمنيت اسره خامرني شعور بالذنب، اذ لم يكن قد مر وقت طويل على تركي دنياي الطفولية. لقد استيقظت لتوي من احلام مراهقتي، ولم اتكيف بعد مع حقيقة بلوغي سن الرشد. وكلما لاح لي تلاميذي الصغار على تلك المروج في الصباح الباكر، تملكتني رغبة في اللحاق بهم والبقاء في رفقتهم الى اللانهاية بدلا من انتظارهم وسط جدران المدرسة.

وذات يوم التفت لارى ميديريك شارد النظرات يحدق الى الحقول. وكان غاسبارد، الحصان الابيض ذو العرف الاسود، مشدوداً الى سارية العلم وقد رفع رأسه الجميل في اتجاه المدرسة. وبعد لحظات سمعنا صهيله المليء باللوم كأنه يشكو لنا عذاب قضاء العمر في القيود. فهو مشدود الى سارية العلم، ونحن مسجونون في مقاعدنا. لكن النهار كان رائعاً وفاتنا ان نفهم حكمته.

وقال ميديريك:"لولا المدرسة لكنت اليوم على تلال بابكوك".

فأجبته: "بصراحة يا ميديريك، اذا كنت تكره المدرسة الى هذا الحد فلست ادري سبب مجيئك".

واستحال اللون البنفسجي في عينيه ظلاماً. ورأيت، للمرة الاولى، الصبي الغاضب الذي وصفه لي الجميع. واجابني بخشونة: "ابي هو الذي يرغمني على المجيء. وقد ارسل الشرطة في طلبي مرتين: مرة عندما حاولت العمل في احدى المزارع، ومرة اخرى عندما تسللت الى تلال بابكوك". واضاف وهو يرتجف غيظاً: "لكني سابلغ الرابعة

عشرة قريباً، ولن يستطيع ابي بعد ذلك ارغامي على المجيء الى المدرسة. سوف أنال حريتي!"

وذات يوم مررت قرب طاولة ميديريك، وسمعت نفسي أسأله: "تلالك هذه ليست سوى هضاب صغيرة، اليس كذلك؟"

وانتزع ميديريك قلمه ليرسم جبلا صغيراً نثر عليه بضع اشجار وصخور فكانت النتيجة مكاناً سحرياً في عالم آخر.

وقال متتبعا خطوطه: "هناك في الوسط جدول، وقد تبعته مرة الى منبعه. ان الماء هناك بارد كالجليد، وفيه يسبح سمك السلمون. هل تعلمين ايتها الآنسة؟ ان اغرب ما هناك..."

منذ اللحظة التي بدأ فيها يتكلم عن التلال بدا ميديريك كطفل منح حريته. وأضاف: "يسبح سمك السلمون عكس التيار أحيانا. وعندما يصل الى المنبع، حيث الماء المتجلد، يسمح لك بامساكه. فما رأيك في ذلك؟"

قلت: "ربما كان السبب ان برودة المياه تخدره".

فقال حالما: "تستطيعين ان تمسكيه وتمرري يدك عليه بلطف". ورأيت في عينيه البنفسجيتين الكسولتين حبا في أسمى درجات الرقة.

واخبرني مرة عن أعجب اكتشافاته. انه هناك على القمة، محفور في الصخر: "هل لديك تفسير لذلك أيتها الآنسة؟ انها صورة سمكة".

فقلت: "ربما كانت سمكة متحجرة. ان بحيرة أغاسيس كانت تغمر قسما كبيرا من قارتنا منذ زمن بعيد". ثم ارسلته كي يحضر احد اجزاء الموسوعة العلمية وينظر تحت عنوان "اغاسيس". وقرأنا معاً الفقرة الطويلة.

ووسط عجبه من اثبات حقيقة اكتشافه، صرخ بفرح: "ذلك هو ما رأيته تماماً!"

وسألته: "اخبرني يا ميديريك: تلالك تلك، هل هي بعيدة؟"

فقال: "ابداً. اذا تبعت طريقي المختصرة فلن تسيري اكثر من ١٤ كيلومتراً". ثم بدأ يدرك سبب سؤالي، فقال: "هل ترغبين في الذهاب الى هناك؟"

اجبته: "نعم، ولكن ليس عندي حصان".

فقال: "ان لدي فرساً صغيرة، وهي ودودة جداً".

وظهر ترددي. لم اكن افكر في الحماقة التي اوشك على القبول بها، وانما في الفائدة التي سأجنيها من الرجاء الذي اوقدته في صدر ميديريك. فقلت: "لنعقد صفقة انا وانت. انت تدرس كل هذا - واشرت الى جزء كبير من كتاب القواعد - وعندما اتأكد من معرفتك قواعد تصريف الافعال، ربما بعد اسبوعين، ارافقك الى تلال بابكوك".

انها في يدي!

لست افهم كيف فعل ميديريك ذلك في الامتحان الشهري. هل تراه نسخ ما كتبه زميله؟ لا اظن ذلك، فقد كنت اراقبه طوال الوقت. كل ما اعلمه ان علامته هذه المرة تجاوزت المعدل بقليل بعدما كانت دائماً في ادنى القائمة.

وفي الصباح الباكر من يوم السبت جاءني ميديريك ممتطياً جواده

"غاسبارد" وممسكا بعنان فرسه "فلورا" التي احببتها على الفور.

لن انسى ذلك المشهد مدى حياتي. وكلما استعدت ذكرياتي امتلأت نفسي سعادة. ما سر تلك البهجة الغريبة التي غمرتنا لدى رؤيتنا ذلك المنظر عن ارتفاع؟ لست ادري. لكنني واثقة من أمر واحد: أني لم ار المروج في تلك الرهبة والجلال والسعة من قبل، ولا رأيت حزنها النبيل كما في ذلك الصباح وقد جلست على صهوة فرسي الى جانب جواد ميديريك.

في الوادي الضيق، الذي قادني اليه ميديريك عبر تعرجات كادت لا تنتهي، رأيت سيلا من الماء يتدفق تحت شجرة ضخمة رماها الموت لتبدو كرجل يشرب من ماء الجدول.

ومرر ميديريك يده تحت جذع الشجرة اللزج يتحسس الماء. وقال: "انها هنا أيتها الانسة! لقد انزلقت احداها على يدي الآن. انظري، ها هي ثانية. انها تدعني امسك بها".

كان يصرخ في همس كي لا يخيف السمكة، وقد تملكته حماسة لم يستطع السيطرة عليها. ورجاني بلهفة: "حاولي بنفسك يا آنسة".

ووضعت يدي في الماء. وتوهمت شيئاً يلامس اطراف اصابعي، لكنني ظننت انه العشب المائي. وفجأة انزلق وسط يدي مخلوق صغير ناعم، لم يحاول الهرب مني عندما ضممت اصابعي حوله برفق. وقلت لميديريك: "لو رويت لي ذلك لما صدقتك".

وجلس ميديريك القرفصاء على العشب وقال: "لقد قرأت كتباً كثيرة يا آنسة. فكيف تفسرين جرأة سمك السلمون؟"

فأجبته: "في امكانك انت ان تجيب عن هذا السؤال أفضل مني. انت تعلم اسراراً في الطبيعة لا ادري بها".

وقال ميديريك، وفي صوته وعينيه وقار عميق: "ان هناك غموضاً في كل مكان. اليس كذلك؟"

سألت صاحبة الغرفة التي اسكنها اي نوع من الرجال كان والد ميديريك. فاخبرتني قصة مدهشة: كان رودريغ ايمارد شاباً وسيماً ثرياً، وقد تزوج سراً فتاة نصف هندية. لكن هذه السعادة الشاعرية لم تدم طويلا. فبعد ولادة ميديريك بوقت قصير اختفت المرأة الشابة. وقال البعض ان رودريغ طردها من بيته، بينما ظن آخرون انها تسللت ليلا كي تنضم الى القبيلة التي تنتمي اليها والتي تحميها من محاولة زوجها اعادتها.

وحاولت زوجة رودريغ رؤية الطفل مراراً من غير جدوى، ذلك لأن المحكمة منحت الوالد حق الوصاية عليه. ومهما يكن الامر، فقد بدأ رودريغ يشيخ منذ ذلك الحين. صار يكثر من شرب الخمر، وظهرت عليه عوارض اضطراب عقلي. وكان يحاول السيطرة على نفسه أحياناً، لكنه يعود دائماً الى الاسراف في الشراب.

وبعد رواية صاحبة الغرفة بأيام، جاءني ميديريك يحمل الي بلهفة دعوة والده الى تناول طعام العشاء مساء الاحد التالي. وقال لي عاتباً: "عائلتنا هي الوحيدة التي لم تشرفيها بزيارتك. وربما ظن الجميع ان منزل ايمارد هو الوحيد الذي لن تطأه قدماك. وقد قال ابي ان في

استطاعتي اخذك في العربة اذا كان الطقس سيئاً، وانا اتمرن على قيادتها منذ سنتين".

في الساعات الاولى من صباح الاحد بدا واضحاً ان الطقس سيكون سيئاً. وبغتة لاحت على الثلج اغرب عربة رأيتها في حياتي. كانت في الحقيقة مزلجة عالية ذات مقعد واحد يظلله جلد أسود اسدل الى مستوى العينين. وسمعت صاحبة الغرفة تقول: "يا للسماء! تلك عربة الزواج التي اوصى رودريغ بصنعها لدى نجار شهير. لم يرها احد بعد اختفاء ماريا".

وفي الطريق انهمر الثلج بغزارة. وهبت الريح من جميع الجهات، فغرقنا في حلم لذيذ كأننا على متن زورق تتلاعب به الامواج فيرتجف فوق المياه البيضاء. والتقت نظراتنا في عتمة العربة وقد امتلأت عيوننا إثارة.

حلم الطفولة

لم ار ما يدعو الى الكآبة، بعد اغنية الريح الصاخبة، اكثر من ذلك البيت الذي قصدته. وما ان وطئت العتبة حتى استقبلني رجل ضخم في افضل ثيابه وقد فاحت منه رائحة الكحول. ولم يلبث ان رفع الكلفة بيننا. وتملكتني شفقة على ميديريك. ان ذلك الولد الذي يعشق الحرية مجبر على ملازمة هذا المكان.

في غرفة الطعام المظلمة، بأثاثها الضخم وستائرها المخملية الشاحبة، بدت الوليمة بطيئة ومملة. وجلس رودريغ ايمارد على الطاولة الضخمة، كأنه ملك على عرشه، يصب الخمر من إناء امامه. وخاطبني: "يقولون انك معلمة ممتازة وتستطيعين تدبير الامور مع الاولاد. هل انا مصيب في ان اتوقع خيراً من ارسال ابني الى المدرسة، ام ان ذلك ليس سوى اضاعة وقت ومال؟ هل لمحت فيه بارقة ذكاء ايتها الآنسة؟"

والتقت عيناي عيني مديريك حيث رأيت ثانية، في البقعة البنفسجية، نظرة العداء القديمة. واجبت: "ان ميديريك، من بعض النواحي، افضل تلاميذي. انه اكثرهم اخلاصاً للامور التي تهمه، كالطبيعة".

وضرب رودريغ ايمارد الطاولة بقبضته وصرخ: "الطبيعة! لتذهب الطبيعة الى الجحيم. ما اريده هو العلم. اذا كان ميديريك ذكياً حقاً، فلماذا لا يأتي في مقدم الصف؟"

واجبته: "ربما لان قلبه ليس في الصف".

وانفجر رودريغ ايمارد بضحكة احتقار وقال: "من الضروري طبعاً ان يضع قلبه في الصف. لكن القلوب تختلف، وقد يؤدي بك القلب الى اخطاء كبيرة". ثم اضاف: "هكذا وقعت في خطئي الاول. عندما كنت في سن ميديريك احببت المدرسة، وكنت أظن ان لدي موهبة ما. والله يعلم ما كان سيحصل لو توافر لي من يرشدني وينير طريقي".

في ذلك الوجه المتجعد والعينين الثقيلتين خلت نفسي ارى العذاب الصامت، حين يذكر المرء في نهاية حياة خائبة، حلم الطفولة. ورحت اصغي بانتباه، وقد اخذتني الشفقة، الى ذلك الرجل المغرور المعذب.

وهمس لي رودريغ، وهو يجذب كم ثوبي كأنه يفشي سراً: "لهذا اريد لميديريك ان ينال ما لم استطع

نيله". ثم صرخ عالياً: "والا حطمته!"

وسرعان ما هدأ. وشعرت بأسى من اجله. لكني قلت له ان ميديريك سينال فائدة اكبر لو تركه يختار ما يحب ويتعلم على طريقته.

وفي غمرة سكره سدد الي رودريغ نظرة حقد خلت معها انه عاد الى الصواب. وقال: "سعيد على طريقته؟ هل تلك اغنيتك التي تغنينها له عندما تذهبان وحدكما الى التلال؟"

واستطعت السيطرة على اعصابي بعد تلك الاهانة، مجبرة نفسي على النظر عبر الستائر الى المشهد الرهيب في الخارج. وعندما استعدت هدوئي قلت: "ان الطقس يزداد سوءاً كل دقيقة. واظن من الافضل لي ان اذهب الآن".

فقال ايمارد: "لا، ابداً. لن تبدأ العاصفة الحقيقية قبل ساعة او ساعتين. ولدينا الوقت الكافي لشرب القهوة".

عندما دخلنا الردهة توقفت مشدوهة امام صورة لصبية جميلة. في عينيها رأيت عيني ميديريك: لوناً بنفسجياً قاتماً، مليئاً بالاحلام الحزينة، خلف اهداب سوداء طويلة.

وهنا انفجر رودريغ باحدى ضحكاته العالية وقال: "انها زوجتي الراحلة. وانا ادعوها كذلك لمجرد الشعور بالراحة. انها حية مثلك تماماً، لكنها شبه ميتة مذ تركتنا. لقد اختارت ان تقطن اكواخ الهنود". ثم هز ذقنه باحتقار نحو ميديريك وتابع: "لن اعجب اذا هو فعل مثلها يوماً. وأملي الوحيد ان يكون لك اثر فيه".

ثم أضاف: "لكني احذرك. لن تسيء اليه ملاطفة الفتيات المتوحشات. وهو، لو أخذ بنصيحتي، لقلت له ان ينتظر الفتاة التي تستحقه. وفي هذه القرية الصغيرة لا يجود الانتظار بأفضل من معلمتنا الفتية التي ربما هبطت من السماء في يوم سعيد. لو انتظرتها انا، عندما كنت في سن هذا المغفل الصغير، لرافقتها الى حفلات الرقص و... لكنها لم تأت لتوقظني من الضلال وترشدني الى الحياة. ان ابني محظوظ لمجيئك، ولذلك نبهته الى عدم اضاعة هذه الفرصة".

وهنا نهضت وقلت لميديريك: "هيا بنا. هل ستعود بي الى البيت؟"

في جنون العاصفة

على رغم بدء العاصفة التي كنا نسمع هديرها كالمياه المتدفقة من سد متهدم، لم نقاس هولها وسط الاشجار المغروسة في الممر. فهي ساعدتنا على اقتفاء طريقنا وسط الثلج الذي يعمي البصر. وجلسنا متباعدين بصمت. وفي النهاية همهم ميديريك بصوت يكاد لا يسمع: "اني آسف يا آنسة. لم اتصور انه سيهينك تحت سقف منزلنا".

ومددت يدي لالمس يده واطمئنه. لكني توقفت، فقد فكرت في ان علي الا افعل ذلك. وراودني شعور بالحرمان امتد الى المستقبل المجهول. لم اكن ادري من يستحق الشفقة: انا ام هو؟ ام أنه شخص آخر بلغ سن الرشد ليكتشف انه خسر جزءا من روحه التي تحطمت عفويتها؟

عندما خرجنا من الممر الى المرج المفتوح احسست كأننا في مركب ننتقل من رافد شبه هادىء الى نهر

هائج علينا ان نشق طريقنا فيه عكس التيار. وكان غاسبارد مقدم مركبنا، ورأيت ميديريك غارقاً في الاهتمام، يبذل اقصى جهده لتمييز اعمدة الهاتف التي كانت دليلنا الوحيد. وقررت مساعدته في رؤية علامات مميزة. وكنا، إذا طال بنا الامر، سادنا خوف من ان نكون قد تهنا وسط الحقول واننا سنبقى ضائعين الى الابد. ثم لا يلبث احدنا ان يرى عموداً فينادي الآخر.

وفجأة قال، كأنه لم يستطع مواصلة التكتم: "اظن من الافضل الا اعود الى المدرسة ... بعد ما قاله ابي". وامتدت يدي ثانية لتمسك بيده، لكنها توقفت في منتصف الطريق. وقلت له: "بل على العكس. عليك ان تأتي الآن اكثر من اي وقت مضى. انها طريقك الى الهرب".

ومن غير ان يجيب، راح يحث غاسبارد على الاسراع. ورفع الحيوان الشجاع رأسه ومضى يشق طريقه تحت وابل مخيف من الثلج ووسط صفير الرياح. واختفت اسلاك الهاتف، كذلك الارض الصلبة، تحت تلال الثلج الناعمة. ورأينا غاسبارد يغوص فيها الى صدره ثم يستعيد توازنه ليقع ثانية. وقال لي ميديريك: "أظن اننا اضعنا الطريق يا آنسة".

تلك هي الكلمات التي تفوه بها. لكن نبرة صوته كانت تقول لي خفية: "لقد نجونا أيتها الآنسة". وشعرت بنفسي ارتجف كأني سمعت خبراً ساراً.

وذهب ميديريك الى غاسبارد، فاستسلمت الى حلمي وسط دفء الاغطية. حلمت باننا غادرنا هذا

العالم، وباننا سألمان وقد نجونا من الشر ومن الفساد الموروث ومن تشوه الروح الذي يخافه الانسان، اكثر من اي شيء، في كبرياء شبابه. وخلتنا، ميديريك وانا، تمثالين جميلين طاهرين عندما يجدوننا، بعد هدوء العاصفة، وقد زين الثلج شعرنا واهدابنا.

وفجأة تحرك الجواد الابيض وخرج بالعربة من الثلج الذي غرست فيه، وقفز ميديريك الى العربة وارخى العنان وقال: "لقد عدنا الى الطريق ثانية".

واغمضت عيني، لا رغبة في النوم بل في مواصلة حلمي. لقد غادرتني فكرة الموت، كذلك فكرة الكبر، ورحت احلم بحياة تطول ولا ترافقها شيخوخة.

وفتحت عيني لارى امامي احد المصباحين الجميلين اللذين ثبت زجاجهما بالرصاص في كل من جانبي العربة. وانعكست صورة وجهي على الزجاج القاتم، ورأيت فيه عينين غامضتين تنظران بعيداً الى الثلج المنهمر، وقد تدلت على الجانبين خصل شعر متلألئة. ولم استطع ان ازيح نظري.

والى جانب وجهي رأيت وجه ميديريك الذي اقترب مني، من دون ان يدري ان الزجاج يعكس وجهه ايضاً، ومال برأسه الي، ربما ليرى ان كنت نائمة. ورحت اراقبه، بعينين نصف مغمضتين، في زجاج المصباح حيث بدا وجهانا، خلف الغشاوة، كأنهما صورة زواج قديمة.

وافلتت خصلة شعر من قبعتي ولامست وجهه. وحدقت الى زجاج القنديل لاراه يخلع قفازه كي يمسك بالخصلة الهائمة. وكاد ان يمسكها، لكنه توقف وفي يده حيرة. كان في نظرته تلك دهشة عميقة وحنان لا يتذوق الانسان لذته ثانية بعد ارضاء ثورة حبه، او حتى بعد ان يدرك ان ما يشعر به هو الحب بعينه.

بدا ميديريك كأنه يعوم على جزر من ثلج. وسادني شعور غريب بان كل ما اراه لم يحدث الا في زجاج المصباح. لكني رأيت وجهه وقد اغمض عينيه بذعر لدى رؤيته المنظر للمرة الاولى.

خلف حجاب العمل

لم تعد علاقتنا ابداً كما كانت سابقاً. ومع ان ميديريك بلغ الرابعة عشرة، فقد تابع المجيء الى المدرسة. ولكن لماذا؟ كان انتباهه يخف يوماً بعد يوم. ولم يحاول مصادقة احد اذ كان أكبر سنا من معظم التلاميذ. وابتعد عن الجميع ولم يرض الا بجواده رفيقاً.

وذات يوم، بينما كان ميديريك يقرأ بصوت عال، تغيرت نبرته فجأة حتى ان الجميع التفتوا ليروا من ذلك الغريب. وكانت البنات الصغيرات اول من ادرك انه صوت ميديريك. وانفجرن بالضحك. وتابع ميديريك القراءة، وسط ارتباكه، بهمهمة خافتة لم استطع معها سماعه من طاولتي اذ توقفت عن الجلوس بجانبه على المقعد. واقتربت منه وامسكت بيده. لقد كان يحتاج الي اكثر من اي وقت مضى.

وذات مساء، بعد انتهاء الدروس، عرض علي ميديريك ان يساعد في ترتيب الغرفة. وكنت اطلب ذلك من

التلاميذ الكبار، لكنني استثنيت ميديريك لانه كان يسكن بعيداً. فان اقل تأخير يعني انه قد يصل الى بيته ليلا. لكن ساعات النهار صارت أطول الآن.

وخامرني شك في انه يريد ان يكلمني على انفراد. فعزمت على مساعدته. وسألته، والقلم في يدي كأن لا وقت لدي: "هل تحسنت علاقتك بأبيك الآن؟" وكنت احاول ان اتكلم بعفوية.

وارتفع عن ميديريك حمل تردده الثقيل. فاقترب وقال: "آه، ايتها الآنسة! ان أبي نادم كثيراً على ما حدث عندما زرتنا. انه لا يشرب الى هذه الدرجة عادة. وهو مستعد للتضحية بكل شيء في مقابل محو اساءته بعشاء آخر اذا كنت تقبلين".

فقلت: "لكني ظننت اننا طوينا تلك الصفحة يا ميديريك".

وهنا نظر الى الارض وقال: "اخبرني ابي ان في امكاني مرافقتك بالعربة الى اي مكان تريدين، هذا اذا لم ترغبي في زيارتنا ثانية. هناك مسرح في القرية المجاورة واشياء جميلة اخرى. وأبي يظن أنك تضجرين هنا، فانت فتاة وحيدة وليس عندك من يرافقك".

وحاولت ان اظهر كأني مغرمة بوظيفتي، فقلت: "ان عملي ليس مملا يا ميديريك. انه حياتي وحبي".

وحدق الي بعينيه البنفسجيتين بلون الغروب، وقال بحزن كأنه يطلب النجدة بصمت: "انك لم تعودي تحبينني ايتها الآنسة".

ونظرت اليه طويلا. وادركت انه،

من دون ان يعلم حقيقة شعوره، كان يقصد اني لم أعد أهتم به في الصف كما كنت أفعل سابقاً. فابتسمت له وقلت: "طبعاً احبك يا ميديريك. واذا كنت ترغب في معرفة المزيد فاعلم أني لا أفكر في أي من تلاميذي كما أفكر فيك. واذا نجحت في دروسك فسوف أكون أسعد معلمة في العالم".

فقال: "لكنك لن ترافقيني ثانية الى التلال، ولا حتى في نزهة بالعربة".

أجبته: "كلا يا ميديريك. كل ذلك انتهى بالنسبة إلي. ومنذ الآن سأكرس وقتي للصف. واذا اردت ارضائي فعليك ان تفعل الامر نفسه".

كان ميديريك واقفاً قرب طاولته يجمع كتبه وأوراقه. وخطر لي انه ربما كان يختبر حقيقةشعوري، لذلك علي الا أحمل الامر محمل الجد. وهكذا تظاهرت باللامبالاة على رغم ان قلبي كان يتمزق أسى. ذلك لان مجرد التفكير في فقدانه أظهر لي أن وجوده بجانبي هو أغلى كثيراً مما تصورت.

وربط ميديريك كتبه بحزام جلدي، وحدق الي بتلك النظرة الغريبةالتي تحمل التعب والوحدة، وقال: "أيتها الانسة، لست ارى فائدة في بقائي هنا. وأظن اني لن آتي الى المدرسة بعد الآن".

وثارت في قلبي آلاف الكلمات، اردت ان أتفوه بها لاردعه عن قراره. لكنني، أنا ايضاً، كنت صغيرة وتنقصني البراعة، فقلت: "اذا كان مجيئك الى المدرسة لا يغير شيئاً ولا يزيدك معرفة، فلست ادري لماذا..."

ولم يكن هناك وقت لقول المزيد. فقد استدار ميديريك وغادر الغرفة بذلك العنف القديم، يجر كتبه العالقة بطرف الحزام الجلدي كأنها كرة حديد في سلسلة أصبح على وشك التخلص منها.

ذلك الطفل الشاب

جاء الربيع، وقد لاحت تباشيره منذ أسابيع عبر غيم كثيف وسماء رمادية ومطر غزير. في ذلك اليوم سطعت الشمس للمرة الاولى، فظهر لنا الربيع بكل جلاله. لكن مجيئه احيى في نفسي شعوراً بالندم. ولم يكن هناك ما يعزيني بعد خيبتي مع ميديريك، فتوقفت عن الرجاء. ولكن عندما انحنيت على حافة النافذة ذات يوم، اذا بي ارى في البعيد ذلك العرف الاسود للجواد الجميل.

وقفز ميديريك عن ظهر جواده غاسبارد، وربطه الى سارية العلم وركض في اتجاه المدرسة. وارتجفت إذ رأيته يحمل كتبه، فقد اسعدني أني انتصرت اخيراً.

ورأيت ظل ميديريك يسبقه الى عتبة الباب. وهناك وقف ذلك الشاب الطفل، وفي عينيه نظرة قلقة كمن ضل طريقه أياماً. وبدا لي كأنه استنفذ طاقاته كلها، فعاد بعد أن لم يبق أمامه مكان آخر.

لم يلق ميديريك تحية على أحد، بل مشى وسط الغرفة وهوى على مقعده. كنت أريد بحرارة ان أجد كلمة رقيقة كي ارحب به، لكن التغير الذي رأيته فيه اذهلني فلم استطع ان افتح فمي.

وازدادت دهشتي ساعة الانصراف. فقد بقي ميديريك جالساً على مقعده.

وكان واضحاً أنه اراد التحدث الي، لكن خجله عقد لسانه. وعندما لم اعد استطيع احتمال ذلك الصمت، سألته: "ما الامر يا ميديريك؟"

ورأيت شفتيه ترتجفان. وللحظة ظننت ان سؤالي البسيط سيدفعه الى البكاء. ولم اكن قد رأيت الدمع في عينيه من قبل. ودفعني ذلك الفيض من الانفعال الذي تعذر على الطفل الشاب ضبطه، الى الجلوس بجانبه على المقعد كما فعلت منذ فترة وجيزة. لكني لم أعرف ماذا أقول. وبقينا صامتين فترة طويلة نحدق الى الفراغ. وخلت أننا مسافران نجلس على مقعد واحد في قطار يمتنع عن مغادرة المحطة.

ونظرت اليه أخيراً. فرأيت في عينيه وقد تسمرتا في عيني، حيرة الحب الاول وعذابه، ذلك الحب المتفتح الذي لم يكتشف ذاته بعد، بل هو يرتجف خوفاً وسعادة ورغبة.

وكما لو أنه لم يعد يحتمل ذلك المجهول، ومن دون ان يعي ما يحدث، ترك ميديريك رأسه يتكىء برفق على كتفي.كان وجهه شاحباً، وقد وضع يديه على ركبتيه. وفجأة رفعهما الى قلبه كأن الالم الذي يعانيه قد انبثق من هناك. وقال: "آه، ايتها الانسة! أخبريني ماذايحدث لي. أشعر كأني واقع في... ليس الذنب ذنبي، فلم اقصد ذلك".

وشعرت به يغص خجلا. وتجرأت على لمسة صغيرة، فرحت أمسد شعره القاتم بحنان، وقلت: "ما من أحد قصد ذلك يا ميديريك".

وقبل ان يعي ما حدث، أخذت رأسه بين يدي وأسندته برفق الى ظهر المقعد. ثم عدت الى طاولتي. في تلك اللحظة أحسستبأني أشهد موت الصبي تحت ضغط الرجل الذي ينبثق منه، وان علي انقاذ ذلك الجانب المهدد من ميديريك مهما يكن الثمن. لكني لم أكن أدري كيف أبدأ.

وفتح ميديريك عينيه، فرآني جالسة على طاولتي وقد شغلني العمل ووقفت الاوراق والكتب سداً بيننا. ورأيت في عينيه دمعتين حجبتهما أهداب كثيفة. ثم بدأ يجمع كتبه. ولم يفعل ذلك غاضباً هذه المرة، بل متردداً. ثم قال بأدب: "لقد كان وقتاً جميلا بالنسبة الي".

وخانه صوته،فقلت له:"لماذا تتكلم كذلك يا ميديريك؟ ما الذي يمنعك من العودة؟ ان مقعدك سيكون دائماً في انتظارك".

وهز ميديريك رأسه بحزن، كأنه يشير الى انه خسر مقعده بسبب خطأ ارتكبه منغير قصد. فقلت: "بحق السماء، ماذا ستفعل يا ميديريك؟"

فالتفت الي وقد أظلمت عيناه، وقال: "وماذا يهمك في ذلك؟"

فقلت: "لقد أخبرتنيأنك تفكر فيّ كثيراً. لكن ذلك لا يدفعك حتى الى محاولة تحقيق ما أرجوه لك".

واستدار ميديريك بعنف هذه المرة. ورأيت في نتوء فكيه شبح رودريغ ايمارد. وقال: "ماذا تريدين بعد؟ قولي!"

وانتظرت حتى هدأت ثورته، وقلت كأني أخاطب نفسي: "قبل ان ترحل - اذا كان لا بد من الرحيل - أريد ان التقي رفيقي الى التلال. هل أراه ثانية يا ميديريك؟"

ورفع ميديريك الي عينين سكنهما

الالم وامتزج فيهما الغضب والحنان، ثم غادر المدرسة يعدو كطفل مذعور.

الهدية الغالية

حلت نهاية العالم الدراسي من غير ان أشعر. لم أكن قد رأيت ميديريك منذ ذلك اليوم الربيعي المحموم. وكنت اشعر بالاسى من أجله، لكني وجدت من الحكمة ان يبقى بعيداً. ومع ذلك تمنيت رؤيته قبل رحيلي، بعدما عرضت علي وظيفة في مدرسة في المدينة. وكان علي مغادرة القرية نهائياً في أواخر يونيو (حزيران)، وقد اعدت لي حفلة وداع في الصف. وفكرت في ان ميديريك سوف يسمع بذلك ويأتي لوداعي.

كانت الحفلة بسيطة ومؤثرة. وقد زين الاولاد المدرسة بالاوراق والزهر، وأرسل أهلهم الحلوى والمآكل الشهية. وأحاطتني طفلة بذراعيها وانفجرت باكية: "ماذا سيحل بنا بعد رحيلك؟" فطوقتها بذراعي وقلت لها: "سوف تأتي سيدة اخرى في السنة المقبلة، وقد تحبينها أكثر مني".

وراحت الطفلة تنتحب كأني انتهكت حرمة ذلك الحب الذي تكنه لي، وقالت: "كيف تستطيعين قول ذلك؟"

وعندما انحنيت كي أقبل الطفلة أدركت أني، بذلك، أعزي نفسي لعدم استطاعتي مواساة الولد الآخر. وأمضيت النهار بطوله أراقب السهل علني المح فارساً صغيراً يجري في اتجاه المدرسة.

وفي اليوم التالي جاء الاولاد الى المحطة لوداعي. ومددت رأسي عبر نافذة القطار، وقد بدأ يتحرك، لأرى تلك الاجساد الصغيرة تشير الي كأني في باخرة تبحر بعيداً. وبدأت صور الاولاد تختفي عن ناظري. وشعرت كأني تخليت عن اطفالي المساكين، وأن المسافات المتزايدة أصبحت سداً بعيدا بيننا.

ورحت انظر بلا مبالاة الى الريف الذي اجتازه. كانت افكاري سابحة في مكان آخر. ولاح لي أن الطريق الموحلة والموازية لخط السكة الحديد، هي نفسها التي اجتزتها مع ميديريك في تلك الليلة العاصفة. لقد بدت طريقاً هادئة، لكن صفير الرياح بقي يتردد في أذني، وعاودتني انفعالات تلك الليلة العنيفة.

وفكرت في ميديريك، وقد انعكست صورته على زجاج المصباح، وهو ينظر الي بوجه ملأته الحيرة. وتسمرت صورته أمامي فوق الزهر المنتشر في حقول القمح والشوفان. ومع أني لم اقصد أبداً تشجيع ميديريك على اذكاء جذوة حبه المتفتح، الا أني، في تلك اللحظة، ادركت كم سيكون حزني كبيراً لو علمت بموت ذلك الحب. ولم أكن أتمنى سوى ان يهيم بي، من بعيد، كما لو كنت نجمة تقوده في طريق الحياة. فأنا أيضاً ما زلت طفلة.

في تلك اللحظة بينما كنت القي نظرتي الاخيرة على ذلك المكان، رأيته آتياً من السهل البعيد. كان منبطحاً على حصانه الجاري بسرعة خطرة وقبعته ترقص على كتفيه. وكان يرتدي الثياب نفسها التي رأيتها عليه في اليوم الاول من لقائنا، ويمتطي حصانه الابيض ذا العرف الاسود والحقول حوله عارية. لقد حفر في نفسي صورة هي ذاتها

تلك التي تركها في اليوم الاول. تلك كانت المرة الاخيرة التي رأيت فيها ميديريك.

ورحت أحثه في خيالي وقد خامرني اليأس. ثم رأيته يعبر نقطة كان القطار سينحرف عندها. ولمحت على السرج شيئاً كان ميديريك يحميه باحدى يديه. وخامرني شعور قوي بأن ذلك الشيء لي.

وعندما انحرف القطار حول تلك النقطة كان ميديريك ينتظر فوق تلة صغيرة. ورأيت في وجهه قوة لم أرها من قبل. كان يبحث عني بيأس بين وجوه الركاب. وبما ان الوقت كان صيفاً، فقد تركنا نوافذ القطار مفتوحة. ومددت رأسي كي يراني. وبخفة، رفع ميديريك ما في قبضته وادار يده مرتين او ثلاثاً، زيادة في قوة الزخم، وقذف به بدقة رائعة ليستقر في حجري. تلك كانت باقة ضخمة من زهر الحقل، خفيفة كالفراشة، تكاد أعناقها الجميلة تتبعثر. لكنها وصلت الي سالمة وقد تفككت قليلا لتظهر وريقاتها مكللة بالندى.

لم يسبق لي ان رأيت تشكيلة من زهر الحقل جمعت من ذلك الريف كهذه. ولا شك في ان بعضها جمع من الحقول المجاورة، لكن بينها زهراً لا ينمو الا في منابت خفية، كزهر السحلبية الآتي من ناحيةالجدول حيث يتوافر له الظل طوال الصيف. وتخيلت ميديريك يبحث بين الاشجار، مع بزوغ الفجر، كي لا تغيب زهرة من ذلك الفصل الحنون عن هديته.

والتقت عيوننا. ورأيت في وجهه، تحت قبعته البالية، يقظة وجدية وحباً كما في ذلك اليوم، منذ أجيال، عندما سمح له سمك السلمون بمداعبته فسألني حينئذ: "ان هناك غموضاً في كل مكان، اليس كذلك؟"

وتحركت شفتاي بصمت لترسما الكلمات الوحيدة التي صرخ بها قلبي: "آه، ميديريك... ميديريك..."

ورفع ميديريك يده عالياً الى السماء الصافية بحركة بدت كأنها أبدية. وحياني غاسبارد بطريقته الخاصة، رافعاً رأسه بعصبية مرتين. ثم انحرف القطار واختفيا عن ناظري.

وحدقت الى باقة الزهر الراقدة في حجري، وقد جدل حولها رباط من العشب وفاح منها أريج رائع. لقد حدثتني عن الصيف الفتي الذي ما ان يولد حتى يموت.

■ غبرييل روي



في حياة كل امرأة فترة لا بد من ان تكون فيها جميلة لكي تكون محبوبة، ثم تصل الى عمر لا بد من ان تكون فيه محبوبة لكي تبقى جميلة.

فرانسواز ساغان، صحيفة "ويست فرانس".

يتوق الشباب الى المزيد من المراعي الخضر، وما ان يطل منتصف العمر حتى نتعثر في حصاد المتوافر لنا منها.

أ.ث.

رحلة في أدغال الأمازون

بقلم
اليكس تومانوف

رحلة في أدغال الأمازون

ان الادغال الواسعة في امريكا الجنوبية، الحاملة اسم "امازونيا"، تعتبر، حتى في يومنا هذا، قارة ضائعة تلفها الاسرار والاساطير.

منذ زمن قريب تغلغل فيها طولا وعرضا شاب امريكي خبير بعلم الطبيعة، اسمه اليكس شوماتوف. وهو يروي هنا احدى المغامرات الفريدة التي عاش مراحلها خلال رحلته في هذا العالم المجهول المليء بالمتناقضات.

طرحت السؤال على نفسي: هل يجوز ان اضع ثقتي بهذا الرجل، ابن الادغال الحافي القدمين، الذي لا تتجاوز قامته متراً ونصف متر والذي يسمي نفسه "البيروانو"؟

لقد عرض علي ان يقودني في زورقه المقدود من الشجر في رحلة تستغرق عشرة ايام على مجرى نهر امازوني مهجور. قال لي انه ينوي زيارة مسكنه هناك والعودة حالا.

كنت آنئذ في رحلة استطلاع في وادي الامازون كلفني بها نادي "سييرا"، وهو جمعية امريكية خاصة تعنى بالحفاظ على نوعية المناخ وصفائه وعلى صيانة البيئة، خصوصاً في جبال سييرا نيفادا في المنطقة الشرقية من ولاية كاليفورنيا. وبدا لي عرض هذا الرجل فرصة مناسبة اطلع فيها على نوعية الحياة التي يعيشها شعب الادغال في الامازون.

جلسنا في كوخ سقفه من قش النخل، في جزيرة تقوم على مصب نهر كاتريماني وتبعد نصف درجة عن شمال خط الاستواء. يبلغ طول هذا النهر نحو ٦٤٠ كيلومتراً، وينحدر متعثراً من الاعالي الجبلية في فنزويلا لينساب في الادغال والبراري في اقصى شمال منطقة الامازون

البرازيلية المسماة رورايما، ثم يصب في نهر برانكو الذي يصب بدوره في نهر نيغرو، اكبر روافد نهر الامازون.

قدم البيروانو الى منطقة رورايما عام ١٩٤٣ ليعمل في مزارع المطاط. ومنذ ١٩٦٨ عاش بين جماعة "الأيكا"، وهي قبيلة هندية تنتمي الى شعب يانومامو في المنطقة العليا من نهر كاتريماني، وتصطاد النمور المرقطة وتبيع جلدها بطريقة غير مشروعة في ماناوس، المدينة العصرية الكبيرة القائمة على مصب نهر نيغرو.

والد هذا الرجل ابن البيرو، ووالدته ابنة القبيلة الهندية توكانو. عمره يناهز الخمسين، وعظام خديه مرتفعة وحنكه متهدل ينتأ نحو الخارج فيسهل عليه عملية فتح قناني الكاشاسا، وهو نوع من شراب الروم الابيض المسكر. وقد سكر به البيروانو في هذه اللحظة مع ان الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة صباحاً.

لم يكن لدي سبيل لمعرفة ما اذا كان البيروانو اهلا لان اسلمه حياتي. واخيراً كان لا بد من القرار، فقررت ان اجازف.

في هذه الليلة اقيمت في الكوخ حفلة رقص، دارت فيها اسطوانات السامبا على آلة فونوغرافية تحركها بطاريات. ورقص اهل كاتريماني حتى بزوغ الفجر.

عدد اكواخ هذه المستعمرة لا يزيد على الثلاثة. غير ان اسمها يبرز واضحاً على معظم خرائط امريكا الجنوبية المقبولة الحجم. والسبب انه لا منافس لها على وجه الخريطة على مدى ١٥٠ كيلومتراً من الجهات المختلفة.

تناولت قيثارتي ولحقت بهم، فنقرت على اوتارها عدداً من الاغاني. وحولت انتباهي نحو فتاة هندية في سن المراهقة اخذت تلعب مع الاولاد الى حين، ثم مالت عنهم وغرقت في صمت عميق. سألتها، باللغة البرتغالية، عن اسمها، فارتبكت ارتباكاً شديداً ورفعت طرف ردائها تستر به وجهها. وبعد برهة سألت البيروانو عنها فقال: "هي زوجتي. وقد وهبتني اياها قبيلة الايكا بعد وفاة زوجتي "المتمدنة" منذ تسع سنوات. كانت وقتئذ في الثامنة من عمرها، وكانت تحمل اسماً ذا علاقة باحد الحيوانات. فاخترت لها اسماً "متمدناً" هو ماريا، وعلمتها ان تكتسي الثياب وان تتكلم اللغة البرتغالية".

قلت: "لماذا اخذها الحياء حين سألتها عن اسمها؟"

فاجاب: "لأن اهل الايكا يعتقدون ان معرفتك لاسمهم الاصيل يخولك سلطاناً عليهم".

وكان الصباح. فزودنا الزورق، الذي يبلغ طوله اربعة امتار، باكياس من السكر والملح والبارود والملابس، وبمجموعة من الهدايا اختارها البيروانو لأصدقائه الايكا. فرزح الزورق تحت العبء وبقي منه ١٥ سنتيمتراً فقط فوق سطح الماء. وركبناه ودفعناه بعيداً عن الضفة، ضاربين الماء ضربات رشيقة بمجاذيفنا. وجلس البيروانو القرفصاء في مقدم الزورق واخذ يفرش في الماء راحة مجذافه العريضة المعينة الشكل، وجلست انا في الوسط اساعد ما استطعت بمجذاف اصغر، بينما تربعت ماريا

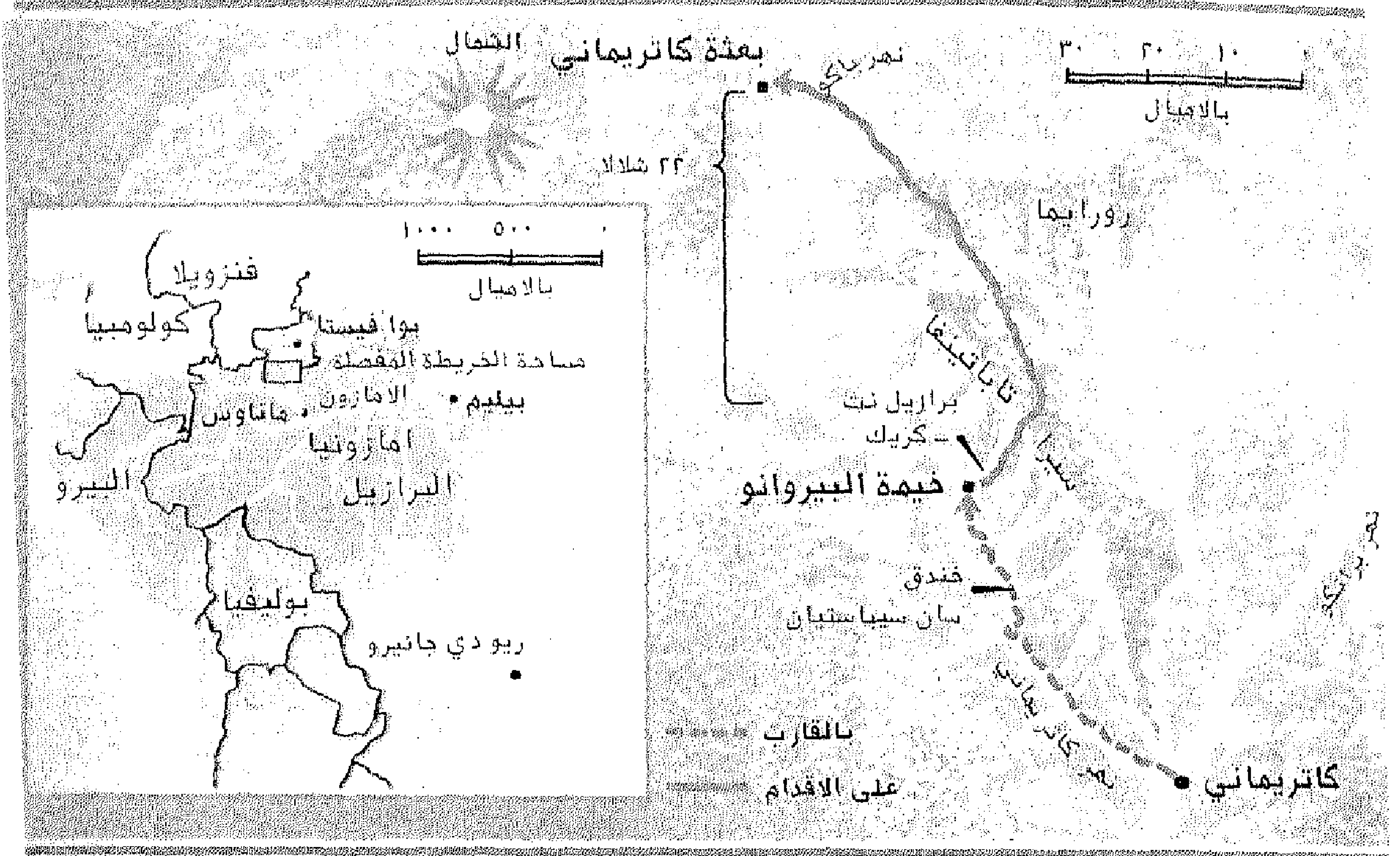
في المؤخر، ترنم الحانا لنفسها وتلون اظافر رجليها، وحينا آخر ترفع الماء الراشح الى الزورق بطاسة من خشب.

لم يمض قليل من الوقت حتى انصبت علينا قوافل من الذباب الدقيق الطنان المدعو "بيوم"، تجمهرت حول كواحلنا ومرافقنا تمتص منها الدم لتغذي بطونها الشفافة حتى تكاد جوانحها تعجز عن حملها. وسرعان ما غطتني بلسعاتها. لكن الاذى الناجم عن هذه اللسعات لا يولد خطراً في ذاته، كما انها، معظم الاحيان، لا تنقل معها الامراض. الا انه، بعد ساعات من لسعاتها، يستحكك جلدك الى حد لا يطاق، وتزداد فيك الحاجة الى الحك فتتضخم اللسعة لتصبح في حجم حبة المشمش وتتحول، بفعل ما تحوي الاظافر الوسخة من "الاميبا" وسواها من الجراثيم الخطرة، الى تلوثات متفشية تؤدي حتماً الى الموت اذا لم تعالج في الحال. وهذه المرة لم تترك لسعات البيوم اثراً لدى البيروانو وماريا لانه سبق لهما ان اخذا نصيبهما الوافر منها. لكنهما لاحظا امارات البؤس على وجهي. فقال البيروانو معزياً: "سنيور، سيعجبك المسكن الذي نعيش فيه: انه خال من ذباب البيوم".

واصلنا رحلتنا اياماً يكتنفنا فيها قفر تام لا يعكر جوه شيء. ولحقت بنا دلافين قرنفلية اللون تحوم حول الزورق مداعبة وتقفز فوق سطح الماء نافخة. ودارت حولنا على مرمى سهل المنال من رمح البيروانو، لكنه تركها وشأنها. وتتعدد الخرافات حول هذه الحيوانات عند شعب الادغال، ويعتقد ان فيها شبهاً بشرياً. ولكن مهما يكن من هذا كله، فان لحمها لزج وقاس، وكل من يتجاسر على اصطيادها فانما يقدم عليه كي يستخرج من عيونها الشمالية المشعرة مشروباً سحرياً يولد الحب في اعتقادهم.

كان الموسم جافاً جرت فيه مياه النهر ثلاثة امتار تحت مستواها العادي بالنسبة الى شهر يوليو (تموز). سال التيار ضمن خنادق طويلة مستقيمة متوازية مع الاشجار العالية المتكاثفة في هذه الادغال الغزيرة بامطارها. وسرنا نحن متلاصقين احياناً مع جدار من الطين الشفاف، وجذفنا تحت قوس متواصل من الجذور العالقة والعرائش المتدلية. وفاجأتنا احياناً اخرى منعطفات واسعة كاشفة، فالتوينا مع مجرى النهر وقطعناه من ناحية الى ناحية متلمسين دوماً حماية الظل. واعترضتنا ايضاً سدود وافرة من الرمل، فترجلنا ومشينا جارين وراءنا الزورق. والتقينا على طول مسيرتنا سمك "الراي" النهري الذي كان يهب من مخابئه الرملية ثم يغوص في بطن المياه الكثيفة الخضراوية. ان ضربة واحدة من ذيل هذا السمك المنشاري كافية لان تسبب اوجاعاً لا تحتمل تدوم اياماً بكاملها. اما اليوم فبدا الراي غير آبه بنا لحسن طالعنا.

صوبت ماريا اهتمامها الاكبر الى السلاحف، اذ كنا في ختام الموسم الذي تطرح فيه سلاحف الامازون بيضها. فأخذت تقتفي آثار زحفها على الرمال الى حيث تقوم اعشاشها، حتى جمعت مقدار مئة بيضة. وهذا



البيض مليء بالبروتيين ولذيذ الطعم، خصوصاً اذا جبل بدقيق "الكاسافا". وعلى رغم ان السلاحف تتمتع بحماية القانون البرازيلي، إلا ان هذه الحماية لم تكن لتوقف شعب الادغال عن اصطيادها والاستيلاء على بيضها.

اما أدهش الحيوانات التي صادفناها فكان صنفاً من القوارض الضخمة المسماة "كابيبارا". انها بنية اللون وذات خطم مربع، وهي تهجم منتفضة من بطن اعشاب الغابة لتقفز الى عمق الماء وتختفي عن الانظار. وقد قال لي احد العلماء في وقت لاحق ان هذه الحيوانات تستطيع ان تحبس انفاسها تحت الماء مدة ثلاثين دقيقة. اما البيروانو فصرح بانها تهيىء لنفسها حجوراً تحت المياه تأوي اليها هرباً من اعدائها.

واشار البيروانو بحركة واسعة من يده الى الطيور: هناك طائر الطوقان بالوانه الغنية ومنقاره العريض، يتعالى صراخه من قمم الاشجار. وهناك رفوف اوزات "الاورينوكو" الرشيقة تحلق بانتظام فوق رؤوسنا. وهناك ايضاً مختلف اصناف الببغاء: الببغاء القرنفلي الناري اللون، المدعو "ماكاو"، يملأ الفضاء بنداءاته الخشنة، والببغاء الاخضر الزمردي يطير من ضفة الى ضفة حاملا وراءه ذيله الطويل... وفي اختصار، لقد اتيح لي ان احصي ثمانين صنفاً من الطيور، اغربها ذاك الصنف المدعو "اورو بوندولاس". وتحط افراده على شجرة حتى تمتلىء بأعشاشها الشبيهة بالجوارب، التي يزيد طول الواحد منها على المتر.

ويتفرد هذا الطائر بنغم خاص، فيه قرقرة دامعة يتبعها صوت كصوت الوقواق، يرن في الاذن كأنه ساعة الكوكو السويسرية بالذات.

والتقينا حيوانات اخرى لاعد لها، منها ثعالب الماء (القضاعة)، يلاحق بعضها بعضاً على طول ضفة النهر، نتحملها، نميل الى أحد الروافد الكثيرة التي تغذي نهر كاتريماني ونحط رحالنا. واحاول ان اغطس في ماء الرافد سابحاً، فيصدني البيروانو ويذكرني بأنها تعج بسمك الراي السابق ذكره والانقليس الكهربائي الذي له القدرة على ان يوزع في الجسم هزات عنيفة تبلغ قوتها ٦٠٠ فولت، كذلك بأفاعي "الاناكوندا" التي تحبس انفاس فريستها في طياتها، فضلا عن اصناف الحيتان الشرسة، وهي اربعة اكبرها الصنف الأسود. ان عضة واحدة من هذا الصنف تقلع من فخذ الانسان قطعة لحم توازي حجم الدولار الفضي. ويسكن اخيراً في هذه النهيرات ارهب الخلائق على الاطلاق، وهو صنف من السمك دقيق جداً يبدو في حجم المسواك ويدعى "كانديرو". وهو يتغلغل في فتحات الجسم ويشق طريقه، مخلفاً صفاً متواصلا من الشوكات الحادة، لا يستطيع الانسان التخلص منها الا بواسطة عملية جراحية.



ماريا زوجة البيروانو على ضفة نهر كاتريماني.

ومنها الافاعي التي تلف امتارها الثلاثة حول الاغصان، ومنها الخفافيش الصغيرة، ينتابها الاهتياج لدى مرورنا ضمن جناح شديد العتمة من الغابة فتضرب الفضاء بأجنحتها ضرباً عشوائياً، ثم لا تبرح ان تعود فتغط متجمعة بعضها على بعض، لا يميز بينها وبين الغاب شيء.

يعتبر علماء الطبيعة ان اصناف سمك نهر الامازون المعروفة لديهم حتى اليوم لا تتجاوز ثلثي عددها الكامل، علماً بأن عدد الاصناف المعروفة يراوح بين ١٣٠٠ و١٤٠٠.

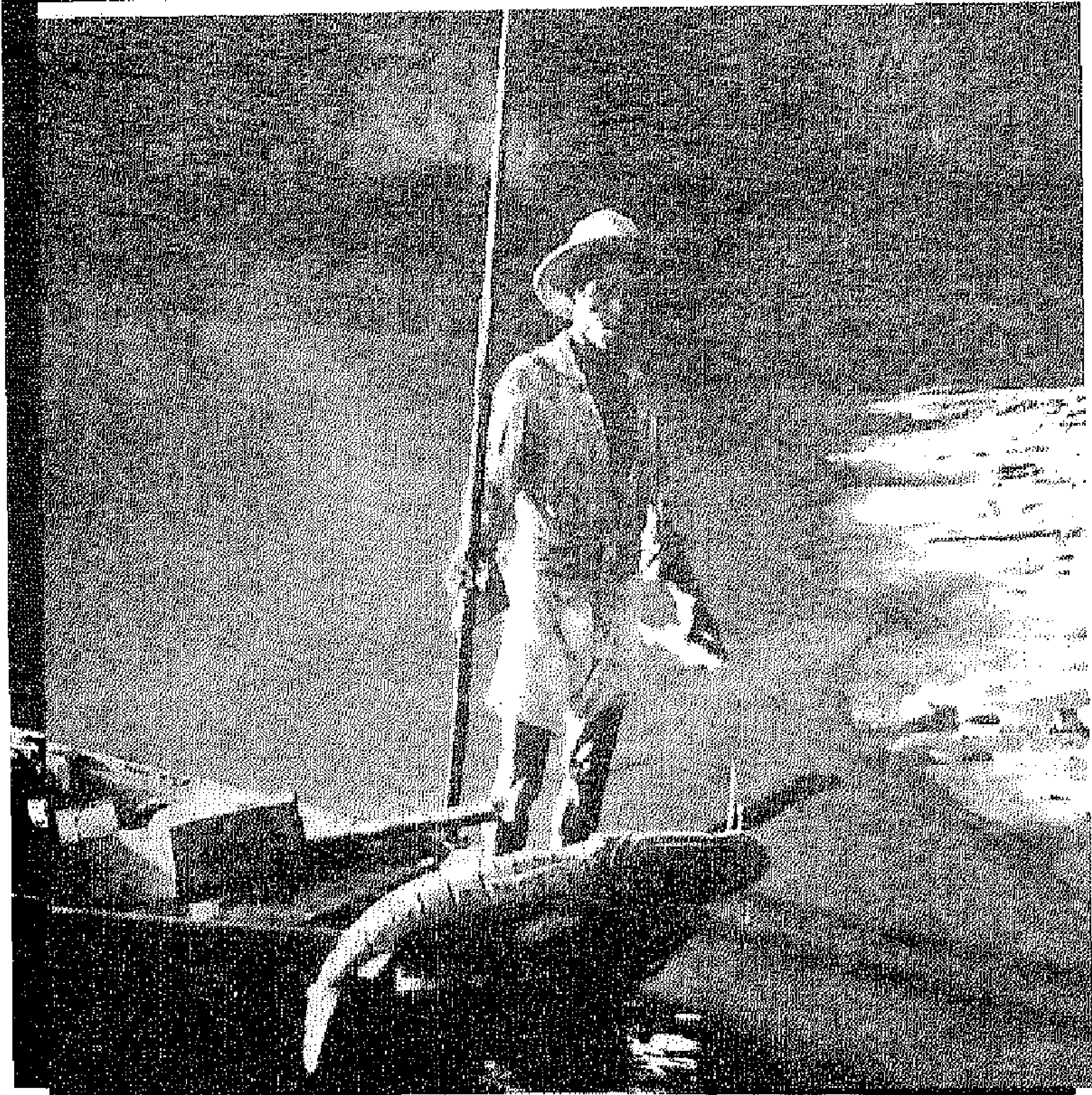
هذا الشح في المعرفة ليس جزءاً من جهل كثيف متراكم حول وادي

ارض مجهولة

في الحادية عشرة من كل صباح، عندما تشتد حرارة الشمس فلا نعود

الامازون، وتعادل مساحة هذا الوادي مساحة اراضي الولايات المتحدة القارية، وهو القفر الاخير والاوسع الذي تغطيه الاشجار بهذه الكثافة على وجه الارض، ولا يعرف من اصناف نباتاته سوى ٢٥ ألفاً، اي نصف عددها الاجمالي، فيما لم يتعرض للتحليل العلمي اكثر من ١٠ في المئة من المقومات الكيميائية لهذه النباتات، ومن يدري كم صنفاً من الادوية العجائبية، الشبيهة بتلك المادة الصمغية "الكوراري" التي يستخدمها الهنود لاسهمهم المسممة، لا تزال تنتظر من يكشف عن اسرارها؟ الشعوب الهندية ذاتها لم تُحَدَّد مواقع اقامتها بعد، كما ان الانهر الرئيسية لم تكتشف بكاملها، وحدث في العام ١٩٧٦ ان حلقت طائرة تابعة للقوى الجوية البرازيلية فوق القاطع الجنوبي الغربي من ادغال امازونيا وصورتها، فكشفت الصور عن نهر مجهول تماماً يبلغ طول مجراه ٦٤٠ كيلومتراً، تغطيه الاشجار من البداية حتى النهاية.

ذات يوم تتبعت بنظري السحابة البيضاء الرقيقة التي تجرها وراءها الطائرة النفاثة في الفضاء الازرق، انها، بلا شك، الطائرة الاسبوعية التي تنقل المسافرين كل ثلثاء من مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل الى مدينة ميامي في الولايات المتحدة، وفكرت في المسافرين وهم ينهمكون بالكشف عن طعامهم المعد سابقاً والملفوف بورق السيلوفان الصقيل الشفاف، واستولى علي شعور قوي باني بعيد فعلا كل البعد عن العصر الذي تعيش فيه هذه الطائرة وركابها.



البيروانو مع سمكة من صيده.

اعتدنا ان نأوي عند الغسق الى احد النهيرات الجانبية، فنصف زورقنا على ضفته ونبدأ قطع اغصان الشجر من حولنا بالفؤوس لكي نعد مكاناً لاستراحتنا ونعلق اراجيحنا المشبكة، اما ماريا فكانت تهتم باشعال النار، توقدها من قشارات الحطب ثم تغذيها بقضبان ضخمة، فيعلو اللهب ويقينا لمعانه الباهر خطر النمور المرقطة.

بعد ايام من الرحلة كانت خطتنا

مرسومة بانتظام: ننهض باكراًنحو الثالثة والنصف ونبدأ مسيرتنا بعد ساعة، فنسعى الى قطع مسافة طويلة قبل بزوغ الفجر. وكلما تركنا وراءنا بضعة كيلومترات، كنت اسمع البيروانو يهمس وهو ينظر وراءه: "عشرة اخرى منها اليوم".

بقي امامنا الشوط الثاني من الرحلة، وهو شاق، قويم الخط. طوال الايام الثلاثة اللاحقة لم نجد في مسيرتنا اي اثر لضفة النهر. لقد ضاق مجراه واشتدت سرعة التيار، تعترضنا وتمنعنا احياناً من التقدم على رغم ضربات مجاذيفنا العنيفة. وبدا التعب على وجه البيروانو، فاعترف قائلا: "انني رجل مسكون بالامراض". ثم دخلنا سان سيباستيان، وهو خندق مستقيم طويل يبلغ عمق المياه فيه خمسين ذراعاً على حد قول البيروانو. وراح يخبر انه في موسم الامطار، تعج الماء هنا بقوة يعجز الانسان عن مجابهتها في زورقه: هنا يعيش الصل الكبير، وهو هول خرافي يتحدث عنه الفولكلور الامازوني: يمتد ثلاثين متراً ويغرق الزوارق ويبتلع البشر. وقال البيروانو: "لم ار قط في حياتي الصل الكبير. ولكن يخبر الناس ان لعينيه لمعان الحباحب الناري".

"إياكم ان تقتلوه"

سألت البيروانو عن قبيلة ماريا. قال انه تعرف على جماعة الأيكا للمرة الاولى عام ١٩٤٨ حين كان يعمل في مزارع المطاط. كان عددهم آنذاك نحو مئتين، وكانوا يسكنون ضفة نهر آخر. وفي اواخر الخمسينات لقي رئيس القبيلة وعدد كبير من افرادها حتفهم من جراء "حمى" حملها اليهم احد رجال الادغال. وتجدر الاشارة الى ان عبارة "حمى" قد تعني، لمواليد الامازون، اي نوع من الامراض، من الملاريا حتى السل. وقد تمكنوا من التكيف مع بيئة الادغال القاسية، لكنهم فقدوا اي مناعة ضد الامراض التي تصل اليهم من عالم ليس بعالمهم. ففي عصرنا هذا وحده هبط عدد هؤلاء الهنود من ٢٥٠ ألفاً الى ٧٥ ألفاً.

ثم رحلت قبيلة الأيكا في اتجاه نهر كاتريماني. وانتقل البيروانو عام ١٩٥٩ ليسكن معهم هناك. وكان هدفنا في هذه الرحلة احدى مستعمراتهم، "برازيل- نت كريك"، حيث تعيش ثلاث عائلات. وعلى مسافة ست ساعات من تلك المستعمرة يعيش ثلاثون هندياً آخر، بينما يعيش بعض العائلات الباقية على ضفاف نهر باكو، احد روافد كاتريماني. ويجتمع هنود هذه المنطقة من وقت الى آخر لاقامة الاحتفالات. انهم شعب يعشق الطرب. وهم يسترخون في اراجيحهم ويتبادلون النكات طوال الليل. وينهض احدهم من حين الى آخر ويباشر الرقص او يروي احدى الروايات، بينما يظل الباقون منصتين اليه. وقال البيروانو: "انهم سيحبونك. وستكون هذه المرة الاولى في حياتهم التي يسمعون نغم القيثارة".

في اليوم العاشر من رحلتنا تراءت لنا المستعمرة المقصودة. وهرع نحونا ثلاثة من رجال الهنود فيما تعالت صرخة ابتهاج من حنجرة البيروانو لدى رؤية مسكنه. وما ان ترجلنا الى

ضفة النهر حتى تناولت يده واخذت اهزها بحرارة، كما كنت اتصرف مع دليل من جبال الالب يقودني الى تسلق احدى قمم جبال بلاده. وللحال خامرتني فكرة العودة التي تبدو سهلة جداً لانها في اتجاه تيار النهر من بدايتها الى نهايتها. ولكن سرعان ما تبين لي ان مغامراتي لما تنته، واني ما زلت في المراحل الاولى منها.

جلسنا في الغرفة الرئيسية من الكوخ المرتفع، مع روبي ومانويل وبدرينيو، وهي الاسماء التي اختارها البيروانو للهنود الثلاثة. اما اسماؤهم القبلية الاصيلة فقد علمتني خبرتي السابقة ان امتنع عن السؤال عنها.

ووزع البيروانو هداياه عليهم: سراويل قصيرة وشراب الكاشاسا وقبضة من قذائف بندقية الخردق. وجلسنا في اراجيحنا نمضغ قطعاً مجففة من اللحم. وقال البيروانو: "لا اظن اني سأعود حالا الى كاتريماني. لن اترك هذا المكان عاجلا، اذ لا داعي الى ذلك. ان ظهري يؤلمني من جهة، ومن جهة اخرى انوي زرع بعض حبوب الكاسافا".

وحاولت ان احافظ على هدوء اعصابي عند سماع هذا الكلام، فسألت: "متى تنوي العودة اذاً؟"

– من يدري؟ ربما عدت "غداً".

لكن الغد ههنا قد يمتد من النهار الآتي حتى السنة المقبلة. فقلت له: "هل يمكنك ان تكون أكثر وضوحاً، فتقول لي متى تنوي العودة الى كاتريماني؟"

– من يدري؟

بعد شهرين او ثلاثة!

قلت محاولا السيطرة على اعصابي: "انت تعلم جيداً انه لا بد لي من الرجوع حالا والا سيقلق الاهل في امريكا على مصيري".

فأجاب: "لا داعي الى هذا القلق. اذا كانت امريكا تبعد مسافة اربع سنوات بالزورق عن هذا المكان، كما صرحت لي سابقاً، فما الفرق اذا طال غيابك شهرين او ثلاثة؟"

واصابتني الملاحظة في الصميم، فلم اجرؤ على اضافة اي كلمة. لكني صممت على ان اعمل كل ما في وسعي لئلا ابقى دفيناً هنا هذه الاشهر كلها. ان مهمتي العلمية، من جهة، لم تنته بعد، ولا يزال امامي مناطق كثيرة اخرى تدعو الى الاستكشاف. وان مناخ هذا المكان، من جهة اخرى، لا يدعو الى الارتياح، بل يوهن العزائم. فالمسكن وزريبته هما ملعب تسرح الصراصير فيه وتمرح، كما تفوح منه الرائحة الكريهة المتصاعدة من اللحم العفن.

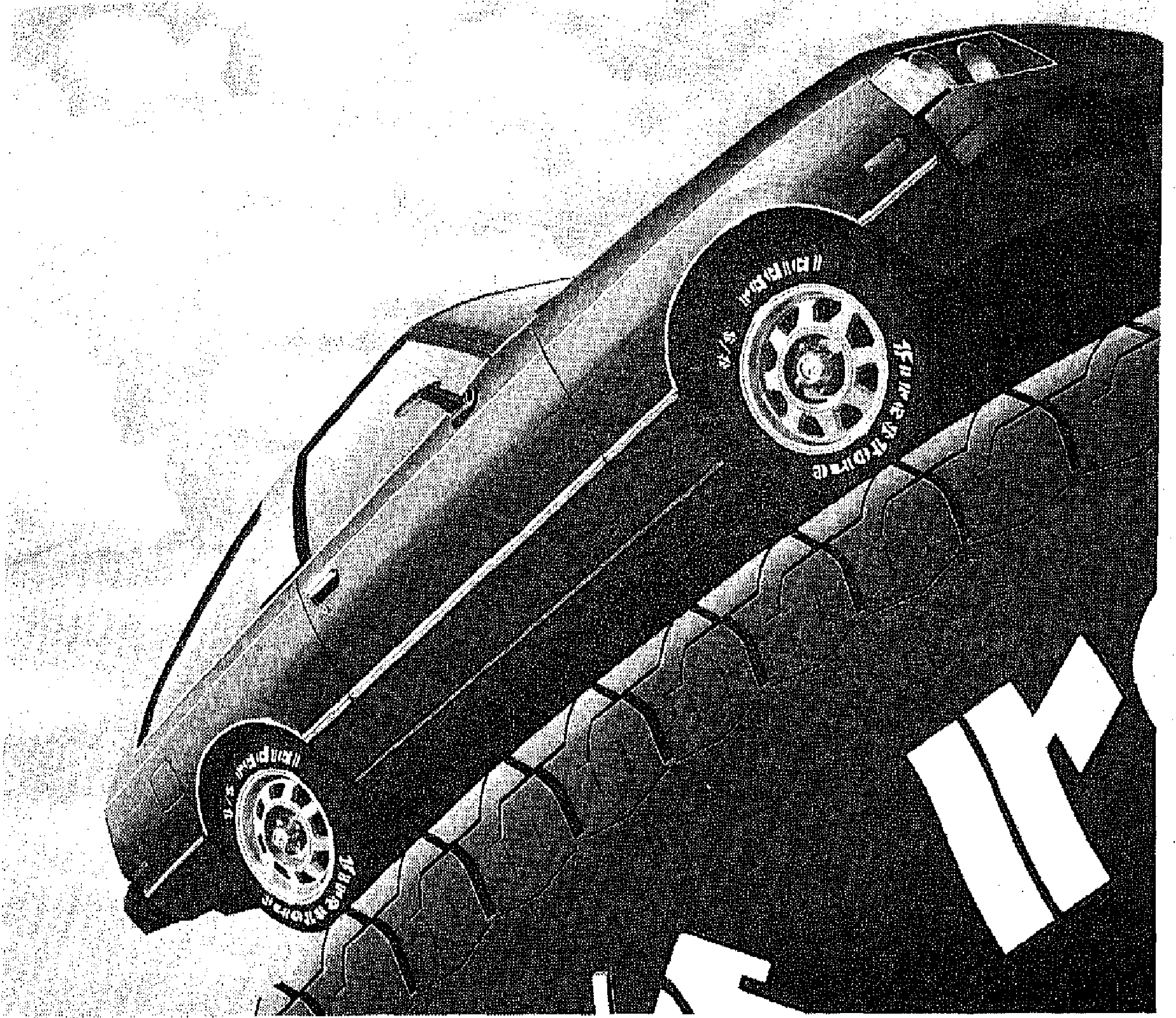
وفي النهاية افشيت كربي، فقلت: "اذاً، ما العمل؟ وكيف السبيل للخروج من هنا؟"

اجاب البيروانو: "اذا سلكت مجرى النهر، فانك على مسافة اسبوع من ارسالية كاتريماني. ولكن يعترضك في طريقك اليها اثنان وعشرون شلالا، لا رغبة لي الآن في مواجهتها. واذا سلكت اليابسة عن طريق الجبال، فانت امام المسافة ذاتها".

سألته: "هل ترافقني؟"

قال: "لا. ان المسافة طويلة بالنسبة الي. لماذا لا تسأل الاصحاب هنا؟ اطلب مساعدتهم وقدم اليهم بدلا عنها، فيطيب لهم الامر".

وهكذا كان. ووقع اختيار مانويل على بطاريتي، ولعبت عين روبي على فأسي الجديدة. اما بدرينيو فارتضى



هدية من فايرستون

أعبر الطرق انيقاً مع اطارات س/س من فايرستون ، تلك الاطارات العريضة تلامس الارض بعنف لتلتهم المسافات ، انها الاطارات المثلى للقيادة القوية ،

اطارات س/س متفوقة في متانتها ، صممت الكترونياً لفعالية أكبر وجودة لا تضاهى ، كما أن الحروف البيضاء على الاطار تلفت الانظار وتثير الاعجاب ،

تفحص اطارات س/س الجديدة ، انها ضخمة وأنيقة ،

يعكس مظهرها الرائع عظمة ادائها ، وهي تصلح للسيارات الصغيرة والكبيرة ، انها هدية فايرستون اليك ،

Firestone
INTERNATIONAL COMPANY

S/S Radial

الحصول بدوره على قميص بنصف كم.
بلغ مانويل الثامنة عشرة من عمره، وهو ذو رجلين ضخمتين وشعر محلوق على هيئة طاسة. وكان روبي في السابعة عشرة، وهو يتقن استعمال نحو مئة كلمة من اللغة البرتغالية. وراقبته في ساعة الظهر وهو يسلخ جلد هرة برية، فبدت لي عيناه فارغتين، لا حس فيهما ولا نور، مع شيء يجلب الرعب. اما بدرينيو فظهر اللطف.

وبعدما تم الاتفاق بيننا وزع البيروانو عليهم ارشاداته الاخيرة، فقال: "اياكم قتله. انه رجل ذو شأن. واذا حدث ان قضيتم عليه، فستأتي طائرة تحوم فوق رؤوسكم وترميكم بوابل قذائفها".

لقاء مع ساحر

في الصباح الباكر خرجنا، نحن الاربعة، الى مرعى تعلو اعشابه خمسة امتار. حمل مانويل سلة من دقيق الكاسافا، اضافة الى قيثارته وبندقية محشوة بالخردق. وحمل روبي بندقية اخرى مع صرتي ورفعها معكوسة كي يلف حزامها حول رأسه. وحمل بدرينيو قدراً للطبخ مع حزمة من ثمار استوائية شبيهة بالموز. اما انا فعلقت على كتفي حقيبتي الملأى بالتجهيزات التصويرية والتسجيلية المختلفة مع دفاتر مذكراتي.

سرت وسار الهنود الثلاثة وشفاههم السفلى منتفخة بأوراق الدخان الملفوفة. وقطعنا الغابة نماشي مجرى النهر، وأشرفنا على سهل واسع ارتفعت اعشابه بكثافة، وهو ذو أرض رملية تعترضها هنا وهناك بعض الاشجار القصيرة الملتوية. وانتصبت امامنا في الافق البعيد قمم سييرا تاباتينغا الصخرية الناتئة، يؤلف اعلاها مثلثاً كامل الهندسة، وقامت في ظل الجبل قرية تخص قبيلة الايكا.

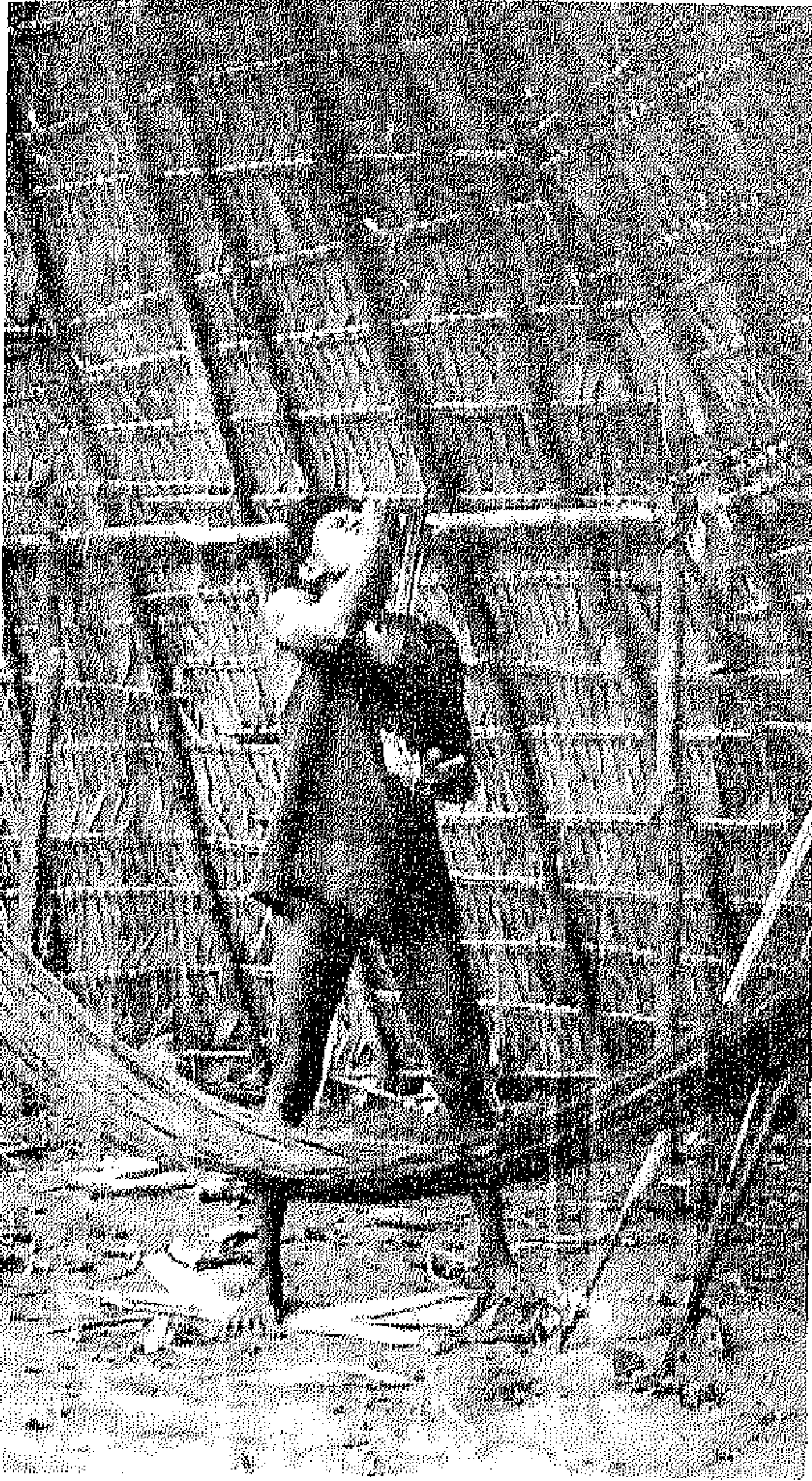
وسألتهم: "ما المسافة بيننا وبين القرية؟" فمد بدرينيو يده بحركة واسعة، مشيراً الى الموضع الذي تصل اليه الشمس عند الساعة الخامسة. وكان خط السير الذي يقطع السهل المعشب ممراً ابيض ضيقاً، لا يتجاوز عرضه العشرة سنتيمترات. ويعود ضيقه الى الطريقة التي يتبعها الهنود في سيرهم. فهم يضعون رجلهم الواحدة امام الاخرى من دون أن يحيدوا عنها، ويمكنون في الارض اصابع ارجلهم العريضة ويقطعون المسافات ركضاً لا مشياً. ويبلغ معدل سيرهم على هذا النحو ٦٥ كيلومتراً في النهار. واجهدت نفسي كل الجهد كي الحق بهم، غير اني تعثرت مراراً بالجذور والعرائش، وانبطحت ارضاً بملء قامتي. وعندما كنت أنهض وانتصب على رجلي، كان الهنود يغيبون عن نظري من جديد وتضيع علي معالم الطريق. فاناديهم بصوت يسجع كهديل الحمام كي استرعي انتباههم، فيرجعون على خطاهم وينتصبون حولي وايديهم على خواصرهم للدلالة على نفاد صبرهم... اني مقتنع بان اي انسان في حالي الخرقاء هذه يعرض نفسه للهلاك المحتم في عالمهم.

وكانت الغابة عند الطرف الآخر من السهل المعشب فتغلغلنا فيها وسلكنا طريق الصعود في اتجاه قمم الجبال. وتسلق روبي شجرة كاكاو وقطف من ثمارها الناعمة المشوكة،

فتلذذنا بلبها الابيض الشهي. وأظهر مهارته في تسلق الاشجار على الطريقة الهندية: تناول بيديه جذع الكاكاو العاري ورفع رجليه الى مستواهما، ثم رفع اليدين الى مستوى اعلى والحقهما سريعاً بحركة مماثلة من الرجلين، واخذ يصعد هكذا الى ان بلغ القمة.

دخلنا القرية في الخامسة بعد الظهر حسب الموعد المحدد، فوجدناها خالية من سكانها. لقد خرجوا جميعاً للاعتناء بحدائقهم. وبدا مسكنهم الجماعي رائع البناء، مصنوعاً من سعف النخل المنسوج حول هيكل من السواري يبلغ قطره ٤٥ متراً وعلو محوره ١٢ متراً. ويعيش في هذا المسكن ثمانية رجال وست نساء وستة اولاد. ولكل عائلة منهم منطقة خاصة مقطوعة على شكل اسفين، تحتوي على مقود مع عدد من الدعامات التي تصلح لتعليق الأراجيح والطعام والمقتنيات الاخرى. ووجدنا حول المواقد قدوراً معدنية اكتسبوها من البيروانو، وهي المظهر الوحيد لديهم الذي كان يدل على الحضارة الغربية ومنتجاتها.

بعد غروب الشمس عاد جماعة الايكا من عملهم في ضوء البدر الكامل. وبدا رجالهم طوال القامة بالنسبة الى المقياس الهندي العادي. وكانت رؤوسهم حليقة الشعر على هيئة طاسة وأسنانهم لماعة. اما رقابهم واعالي اذرعتهم فبرزت مزينة بجدائل من الخيزران الصغيرة البيضاء. وحمل كل منهم قوساً طولها متران ونصف متر مع سهامه. وبدت النساء قصار القامة، مع مسحة حياء على وجوههن، وقد ارتدين مآزر



ليونسا الساحر يتنشق مسحوق "واشاهاروا" المخدر.

منسوجة قصيرة. اما الاولاد فقد زينوا شحمات آذانهم واعالي اذرعهم بعناقيد من ريش الطوقان.

استقبلني شاغاس، وهو شقيق مانويل الاكبر ورئيس القبيلة، ببشاشة، وتوصل الى افهامي ان عدد الايكا بلغ ١٤٠ شخصاً لثلاث سنوات خلت، وان معظم الذين توفوا ذهبوا ضحية "الحمى". وبلغني في وقت لاحق ان البيروانو ابتلي بداء السل، وهو داء مجهول لدى قبيلة الايكا والبيروانو بالذات. فراودتني فكرة أن البيروانو، الذي يعتبره الهنود

صاحب اليد البيضاء عليهم، هو في الحقيقة المسبب لوفاة معظمهم.

بعد ظهر اليوم التالي عاد ساحر القرية ليونسا من رحلة الى بطن الغابة قام بها وحده. هذا الهندي عمره اربعون سنة، وجهه منبسط كوجه الطفل وجسمه صلب مثل جسم الراقص. طرح قوسه وسهامه على الارض ومد يده الى جعبته الخيزرانية، وطولها ٤٥ سنتيمتراً، متناولا غطاء مصنوعاً من جلد الخنزير. ووضع في طياته ثلاثة انواع من اسنان الاسهم: سن من الخيزران العريض لاصطياد الخنزير، وسن شائك من عظم السعدان لاصطياد الطيور، واخيراً سن من خشب مستقيم شبيه بالصنارة لاصطياد السعادين. وطلى كلا من هذه الاسنان بمادة صمغية مسحوقة لها، من جهة، مفعول السم، ومن جهة اخرى مفعول مخدر يولد الهذيان.

تناول ليونسا قبضة من هذه الاسنان واخذ يفركها فوق ورقة موز، الى ان تجمع لديه ركام كاف من مسحوق يراوح لونه بين الاحمر والبني. ورفع المسحوق الى انفه وتنشقه من منخريه، ثم اوى الى ارجوحته. وما ان مضت عليه خمس عشرة دقيقة حتى هب من مكانه واخذ يغني ويبصق ويئن ويرقص مؤدياً حركات رشيقة من يديه وملقياً نظرات مستعطفة الى اعلى. وقام غناؤه على نغمة جميلة هادئة، شبيهة بالاغاني الروحانية الخاصة بزنوج امريكا، ترافقها مقاطع طويلة من الكلمات الغريبة تنطلق متدحرجة من فمه. وأسر روبي في اذني: "هو وحده يدرك ما يقول".

ان هذه التنشيقة، التي يسميها الايكا "واشاهاروا"، يتناولها رجالهم فقط، ولاسيما السحرة منهم. وقال روبي: "انها تزجك في عوالم اخرى، فترى الأفاعي الطويلة (الاناكوندا) تسبح في الفضاء، وترى عيون النمور المرقطة تهيج باللمعان من خلال الاغصان". ويعتقد جماعة الايكا ان الموت والمرض ليسا مصادفة، وانما تسببهما روح شرير او عدو بشري. ويتنشق الساحر الواشاهاروا لمعرفة هوية المذنب، لانها تساعده على ادراك الاسباب الخفية للأحداث.

أفعى "سن الرمح"

ضم روبي ومانويل جهودهما كي يقنعا ليونسا بمرافقتنا الى الارسالية، فقبل. وقمنا نسير تاركين وراءنا بدرينيو بعدما فقد الرغبة في مواصلة الرحلة. واظهر ليونسا براعة في استعمال القوس، من دون ان ننتظر ذلك. ولدى سماعه نداء من مجموعة اشجار، صادراً من حنجرة طائر الكوراسو، هيأ واحداً من سهامه ثم قفز نحو مصدر الصوت برشاقة. وتنقل بقفزات طويلة وهو ينحني نصف انحناءة. وقبل ان يشعر الطائر به، انتصب على مقربة منه وصوب اليه ضربة جعلته يهوي على الارض والسهم معلق في عنقه.

واكلنا كل ما وقعت عليه ايدي الهنود. في احدى الليالي اكلنا سلحفاة سلخ روبي جلدها وقلبها يضرب حياً، وفي ليلة لاحقة اكلنا القاطور، وهو تمساح امريكي هرّم روبي ذيله بضربات متتالية من فأسه. ثم وضعه فوق النار، فأخذ الذيل

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحرًا وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

١٠٤٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. رحلة أسبوعين من اللهو والمرح
في ثلاث مدن آسيوية مشهورة ..
للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٧٠٤ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة ..
وسوقها الأسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف
بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

١٠٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل
سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث
يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه،
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في
جولات خلوية في الأرياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب
وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين
من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية،
وبخدمة لا يقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الأسعار والحصول على كتيب الرحلات من أقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٧٢١٠٦ - الدوحة ٣٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٣٦١٢٣٠ - دمشق ٢٢٨١٠٠ - عمان ٢٤٣٦٣ - القاهرة ٤٣٣٢٦

يلتوي وينتفض فوق لهبها. وسألت روبي اذا كان هناك شيء يمتنعون عن اكله، فقال: "اننا لا نأكل الايل والنمور السوداء او المرقطة لانها حيوانات مقدسة، تسكنها ارواح الموتى".

في هذه الليلة بعينها، بينما كنت مستلقياً في ارجوحتي، ادركت اخيراً اني نلت مبتغاي واتممت المهمة التي من اجلها قدمت الى بلاد الامازون. واستولت علي الرغبة في ان اهجر عالم حضارتنا لمدة معينة، وانتقل الى حضارة اخرى اقدم منها في الزمن واقرب الى الطبيعة، حضارة لا يزل الناس يعيشون فيها عيشة الطبيعة بالذات. ووجدت في شخص ليونسا الانسان الطبيعي الذي ابحث عنه. ولمست من خلال الوهج اللطيف الذي تشع به شخصيته انه مدرك كل الادراك حقيقة الوحدة الضمنية التامة التي تربط بينه وبين بقية الكائنات الحية حوله. وفي الوقت نفسه لمست من خلال انقطاعي التام عن الحضارة التي نشأت فيها، العزلة الرهيبة حولي، فثارت فيّ هزة خفيفة من الوجل والرهبة.

ان الكتاب الوحيد الذي حملته معي يروي تفاصيل رحلة الى بلاد الامازون هذه، وقد كتبه أحد الرحالة منذ مئة سنة. والجدير بالذكر أن كل ما وصفه الكتاب عن هذه البلاد لا يزال هنا اليوم، ثابتاً على حاله الاولى، كما لا يزال مهيمناً عليها ذاك السأم المخيف الذي يجر البشر الى شفير الجنون. واستولى علي شعور غريب بأني غدوت سجين تلك الرتابة التافهة في لونها الاخضر الذي تفرضه هذه الادغال الغزيرة الامطار. وشعرت بالتعب يلوعني من جراء طنين الذباب الذي يحوم حولي دونما انقطاع، كذلك من هجمات الاسهال المتتالية. وادركت ان اعضائي بدأت تنضح بالنتانة المتفشية في جسم لا يكف عن إفراز السوائل. واقلق راحتي اخيراً هاجس المحافظة على حلق ذقني ونظافة اظافر يدي والعناية بكل ما من شأنه ان يعيد الي ذكرى انسانيتي "المتمدنة".

في اليوم التالي اشرفنا على مطل بني اللون، يكشف عن مشهد شامل للغابات الممتدة اميالا وراء اميال والمتراصة بعضها على بعض، مع قمة جبل شاهق تنتصب وراءها عند حدود الافق. وكانت تلك المرة الاولى التي نرى كرة الشمس ونورها الذي جرح وهجه عيني. وهبطنا مرة اخرى نحو عتمة الغابة والامطار تهطل من جديد.

في اليوم التالي بلغنا نهر باكو الذي يجري بعرض ٤٥ متراً ويتقلب فوق ركام من صخور ملساء ضخمة، تتلألأ بسوادها تحت رذاذ الماء، فاتيح لنا، للمرة الاولى منذ ايام، ان نغسل ثيابنا التي امتصها العرق، ثم نضربها على الصخور وننشرها في عين الشمس الى ان تنشف. وهرع روبي ومانويل وليونسا الى متابعة مسيرتهم من غير شفقة. وجريت وراءهم مترنحاً كالسكران وباذلا غاية جهدي، خصوصاً بعد ليلة قضيتها اعاني اوجاع الاسهال.

فجأة توقف ليونسا كالمصعوق واوقفني معه. هنا امامنا، وسط الممر الضيق، ربضت الافعى المسماة "سن الرمح"، بطولها البالغ ٧٤ سنتيمتراً.

فوق رؤوسنا، فاخذنا نركض غير مبالين بها. وحين توقف المطر، توقفنا بدورنا وحططنا رحالنا للاستراحة. وقال لي روبي: "على اثر المطر، تخرج الافاعي من اوكارها. وهي، اذا لسعتك، اماتتك حتماً. فاحذرها".

وهذا الصنف هو اكثر الافاعي السامة انتشاراً في امازونيا. ويعرف عنه انه شديد الشراسة وقادر على ان يحقن في جسم الانسان كمية هائلة من السم الاصفر القتال. لكن أفعانا تلك لم تبد اي مقاومة عندما تقدم منها ليونسا وتناولها بلطف على سن سهمه ليلقيها على جانب الممر. وكان نظره الحاد اكتشفها بين الاوراق الزيتية اللون، فاوقفني عن السير لئلا ادوسها فتلسعني. وكنت احمل ستة انابيب للحقن المضادة للسم، لكن مفعول الدواء لن يحميني تماماً من سم الافعى. وانا مقتنع باني مدين بحياتي لليونسا.

نهاية الطريق

مرت ساعات قبل ان نصل الى مستعمرة الايكا على نهر باكو. وهي مؤلفة من اربع سقائف هزيلة او خمس وسط حديقة موز. ووجدناها خالية، فتوجه ليونسا ومانويل وروبي الى الصيد. واذ لم يحالفهم الحظ، عادوا بسرعة وهم يحملون كومة من جذور الكاسافا الحلوة الطعم. وكان أكلنا في اليومين السابقين قليلا وحقيراً، والآن هذه الجذور وحدها.

وتكلم روبي باسم الهنود الثلاثة، قائلا ان التعب اخذ منهم كل مأخذ وانهم عائدون الى مسكن البيروانو في مطلع الصباح. وأضاف: "عليك ان تجد سبيلك بمفردك الى الارسالية". فاستولى علي الرعب وصرخت بهم: "كيف يكون ذلك وانا لا اعلم اين تقع الارسالية؟" فاجاب روبي: "اما ان تجد سبيلك واما ان تموت جوعاً". فاستحال الرعب فيّ الى غيظ، واخذتني رغبة في ان امنع عنهم البطارية والفأس وبقية الاشياء التي وعدتهم بها. ثم فكرت في نفسي: ولكن من يمنعهم عن قتلي والاستيلاء على كل شيء؟

وبدا مانويل اقلهم تصلباً في موقفه. كان ينام خلال رحلتنا على قطع خشب ضبط بعضها مع بعض بحبل لانه لم يكن يملك ارجوحة. فعرضت عليه ان يرافقني في مقابل ارجوحتي. فقبل العرض.

لم تكن الارسالية بعيدة عنا، بل كانت على مسافة ثلاث ساعات فقط كما تبين لي لاحقاً. وسلكنا مزارع واسعة من الموز والكاسافا. وفي العاشرة صباحاً أخذ يبلغ آذاننا ضجيج الشاحنات من الوادي على الطريق العام تحتنا. فتوقف مانويل وارتدى افضل ما عنده من لباس وصبغ وجهه بعصير لامع، احمر وبرتقالي معاً، اسمه "اوروكتو"، ثم شك ريشة في شحمة اذنيه وهو يفسر لي موقفه قائلا: "يؤم الارسالية نساء قادمات من القرى البعيدة. ومن يدري؟ قد يسعدني الحظ فاجد بينهن واحدة تناسبني".

وصلنا الى مسكن مستدير يبلغ علو سقفه ٢٣ متراً، وجدنا في داخله هنوداً يحركون بمجاذيفهم معجوناً من الموز الحار في زند من الخشب واسع مجوف. ولمعت عيونهم اهتياجاً لدى

رؤيتنا، ثم اقتادوني توا الى المستشفى حيث التقيت حسناء بيضاء في الاربعين من عمرها. انها كلوديا اندوجار، احدى شهيرات فن تصوير الهنود في البرازيل. وعرفتني على رجل ايطالي ملتح اسمه كارلو زاكيني. وهو يعيش هنا منذ ثماني سنين، يمارس خدمة الكهنوت ويقدم العناية الطبية الى قبيلة يانومامو، وفي الوقت نفسه يهتم بدراسة حضارتهم وأساطيرهم. ويبلغ عدد أفراد قبيلتهم العشرة آلاف هندي، وهي تعد من اضخم المجموعات البشرية البدائية في عالمنا اليوم.

أجفل كلوديا وكارلو في البداية لرؤيتي. فهما يعلمان كل العلم انه ليس من السهل اطلاقاً ان يحل على هذه الارض زائر. وتبعد الارسالية ١٤٣ كيلومتراً عن الطريق العام الذي يشق حالياً وينتظر ان يلف اطراف الحدود الشمالية من منطقة الامازون البرازيلية. وعند حدود الكيلومتر ٤٩، اقامت المؤسسة الهندية القومية حاجزاً لتمنع المرور على كل انسان لا يحمل تفويضاً رسمياً. وقبل اقامة هذا الحاجز، غزا المنطقة جماهير من المنقبين عن الاورانيوم وحملوا معهم داء الحصبة الذي مات بسببه عشرون هندياً من قبيلة يانومامو.

واطلعني كارلو على النظام الذي تتبعه الارسالية في علاقاتها مع الهنود. وقال: "اياك ان تهبهم شيئاً من غير بديل من صنع ايديهم او من غير خدمة يؤدونها". والغاية من هذه القاعدة منع الهنود من ان يتحولوا الى طلاب حسنة ويخسروا مميزات حضارتهم. ووزع عليهم كارلو



روبي وبدرينيو: اثنان من مرافقي الكاتب.

بطاقات تحمل نقاطاً متعددة الالوان يبدلونها بفؤوس ومرايا وقدور من الالومينيوم. اما الشيء الوحيد الذي يحصلون عليه مجاناً فهو العناية الطبية التي كرس لها كارلو وكلوديا معظم اوقات النهار. الى ذلك يعمل كارلو، ببعض المرارة، على مقاومة الدور الذي يقوم به اناس مثل البيروانو، إذ يقنعون الهنود بهجر الاعمال الاساسية المرتبطة بحضارتهم، كالعناية بحدائقهم والانصراف الى صيد النمر المرقط وابدال جلده بزوج من السراويل.

ويدرك كارلو تماماً ان نظام المكافأة هذا سينهار يوم افتتاح الطريق العام. فعلى هذا الطريق بالذات سيعود ابناء الادغال النازحين الى مساقط رؤوسهم، حاملين معهم شراب الروم والالبسة والبنادق، والامراض حتماً. ويأمل كارلو اليوم

في ان يتعلم الهنود في الارسالية، بواسطة نظام البطاقة ذات النقاط والالوان، قيمة المال وطريقة استعماله، اذ ان مفهوم المال مفقود تماماً من حضارتهم. لكن تفاؤله ضئيل. فهو يعلم ان ادخال البنادق، مثلا، سيقضي على مهارتهم في الرمي بالقوس - تلك المهارة التي مارسوها وطوروهامنذ آلاف السنين - وبالتالي سيكون قاضياً على مستقبل القبيلة بكاملها... عندما يفتح طريق الاستعمار سيرحل كارلو من هنا الى مكان آخر.

واخبرني كارلو ان اليانومامو يعتقدون ان الكون مركب من ثلاثة مستويات:الأرض، ما فوق الأرض، ما تحت الارض. الكائنات استمدت وجودها من المستوى الأعلى،الا ان قسماً منها سقط على الأرض، تاركاً وراءه ثقباً واسعاً فيالفضاء، وهوى قسم آخر من الارض الى عالم اللاوعي. وبعد الموت تعود بعض الارواح الى المستوى الاعلى، مرتقية سلماً من العرائش. وهذا المستوى مرتع سعيد يحفل بالمآكل والنساء الحسان، كما انه ملتقى اعضاء العائلة الواحدة الذين فرقتهم الايام. وهناك ارواح تستحيل حيوانات بسبب افعالها الرديئة.

وفي عقيدتهم ان اسم الانسان الاول "أوماما"،وان هذا ضاجع رجلا آخر فحبل في فخذه. اما المرأة الاولى فقد اصطيدت في نهر او طلعت من الصخر. وهناك روايتان مختلفتان في هذا الشأن. ويبدو انالمرأة في حضارة اليانومامو لم تخطر في البال الا في وقت لاحق. ومهمتها ان تحمل الموز وخشب الموقدة، وان تكون فريسة الخطف. وتتعرض الزوجة عندهم للضرب المستمر او للحرق بجمر متوهج. وهي تنتظر مثل هذه الخشونة في المعاملة وتقيس اهتمام زوجها بها بعدد الضربات التي تتلقاها منه.

والنساء هن المسبب الاكبر لحروب اليانومامو. فخطفهن من قرية الى قرية يعني، من جهة، القضاء على اجيال المستقبل لدى العدو، ومن جهة اخرى زيادة عدد افراد القبيلة وتسرب دم جديد الى دمها يحول دون انقراض النسل.

وختم كارلو حديثه قائلا ان شعب اليانومامو منتشر في قرابة مئة قرية، هنا في منطقة رورايما وفي جنوب فنزويلا، وان نصف هذه القرى فقط تعرض حتى اليوم لغزو الاجانب. لكن الطريق العام الجديد سيغير هذه الحال نهائياً.

في صباح اليوم التالي هبطت طائرة تنقل جمهوراً من المرسلين الايطاليين يقومون برحلة استطلاعية على منشآتهم في امريكا الجنوبية، فطرت معهم. وبعد ظهر اليوم نفسه كنت في بوافيستا، عاصمة رورايما، اغازل كأساً من البيرة الباردة.

وجلس قربي رجلان، سمعت احدهما يتذمر من شعب الهنود الذين يربضون على سطح ارض زاخرة بالمعادن وقادرة على ان تجعل من البرازيل بلداً غنياً،واردف:"لو كان الحكم في يدي لقطعتهم عن بكرة ابيهم".

في تلك اللحظة بدا عالم اصدقائي الهنود بعيداً عني مسافة أجيال...

■ **اليكس شوماتوف**

